
الأربعون
في
الاستعاذات النبوية ﷺ

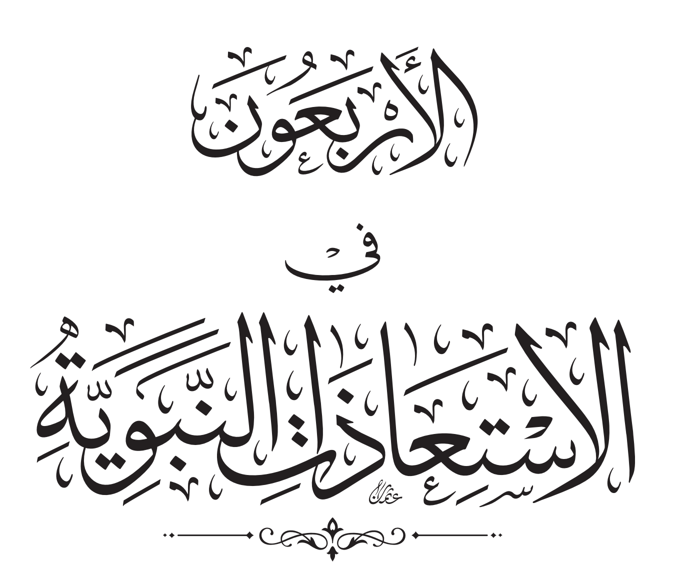



محمد صالح المنجد


مجموعة زاد
ZAD GROUP
للنشر


العبيكان
Obeikan




الأربعون
في
الاستعاذات النبوية ﷺ


محمد صالح المنجد


مجموعة زاد
ZAD GROUP
للنشر

ⓒ **مجموعة زاد للنشر، ١٤٤٠هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد، محمد صالح

الأربعون في الاستعاذات النبوية./ محمد صالح

المنجد.- الرياض، ١٤٤٠هـ

٢٤٨ص. ١٦,٥×٢٤سم

ردمك: ٠-٤٤-٨٢٣٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي: ٢١٣ ١٤٤٠/١١٥٧

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

نشــر 

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الشاطئ - بيوتات الأعمال - مكتب ١٦

موبايل: ٦٤٣٢ ٤٤٤ ٥٠ ٩٦٦+، هاتف: ٦٩٢٩٢٤٢ ١٢ ٩٦٦+

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

توزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧





المحتويات



مُقـدّمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمَدُهُ، ونسْتعينُه، ونستغفِرُهُ، ونعُوذُ باللهِ من شُرُورِ أنفُسِنا، ومن سَيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ إلا إلهَ إلا اللهُ، وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أما بعد:

فهذِه جملةٌ منَ الأحاديثِ النبويَّةِ الصحيحةِ الواردَةِ في الاستعاذاتِ النبويَّةِ، ممَّا كان من سنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القوليةِ، والفعليةِ، وممَّا كان يعلِّمُه أصحابَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والأئمَّةَ من بعدِهِم؛ تحرُّزًا من وساوسِ الشَّيطانِ، وحصولِ الشرِّ، ووقوعِ الضَّرِّ.

وهذا من تمامِ التوحيدِ، وكمالِ العبوديةِ، والافتقارِ إلى اللهِ تعالى، وطلبِ حصُولِ الخيرِ، باستِدْفاعِ الشرِّ، ولا يُطلَبُ ذلك من أحدٍ من دونِ اللهِ، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

نسألُ اللهَ أنْ يعصِمَنا منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، ويُعيذَنا من شرِّه، وشِرْكِه، ويكشِفَ عنَّا الضرَّ، ويصرِفَ عنَّا الشرَّ؛ بتوفيقِنا إلى حُسْنِ التوكُّلِ عليه، وتمامِ الاستعانةِ به، وصِدْقِ اللُّجوءِ إليه، ولزومِ الإلحاحِ عليه، إنَّه سميعٌ مجيبٌ.





تمهيد

أرسلَ اللهُ رسولَهُ محمدًا ﷺ للناسِ كافَّةً؛ ليخرجَهُم منَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ، ويَهديَهُم إلى صراطٍ مُستقيمٍ، وعلَّقَ الهدايَةَ والفلاحَ والنَّجاحَ، في الدُّنيا والآخِرةِ، بالإيمانِ به، وطاعتِهِ، واتِّباعِهِ؛ فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وقد كان رسولُ اللهِ ﷺ أكمَلَ الخلْقِ، وأكرَمَهم على اللهِ تعالى، وأعلَمَهم به، وأفقَرَهم إليه، وأشدَّهُم له خشيَةً، وأكثَرَهم له التِجاءً، وأصدَقَهُم به اعتِصامًا، وأعظَمَهُم له عبوديَّةً، وأخلَصَهُم له نيَّةً، وأبعَدَهُم عن الشرْكِ، والاستعانَةِ بغيرِ اللهِ، والاستعاذَةِ بمَنْ سِواهُ.

فإذا استعانَ استعانَ باللهِ، وإذا استعاذَ استعاذَ باللهِ، وإذا لجَأَ لجَأَ إلى اللهِ، فهُوَ سبحانه مَعاذُهُ، ونَصيرُه، ومَوْلاهُ.

فكَمَلَ توحيدُهُ، وكَمَلَتْ عبوديَّتُه لربِّهِ، وكملَ فَقرُهُ إليه، وكملَ توكُّلُه عليه، فكان إمامَ الحُنفاءِ، وقُدوةَ الموحِّدينَ.

فكان ﷺ لا يَستعيذُ بغيرِ اللهِ، ولا يَستنصِرُ بِسواهُ، ولا يلجأُ إلى غيرِ حِماهُ، ولا يدعو ولا يخافُ ولا يرجُو سواهُ، ولا يُذِلُّ نفسَه إلا لَه، ولا يتوكَّلُ إلا عليه، تبارك وتعالى، وتقدَّسَ شأنُه؛ فهُوَ كافيهِ، وحَسْبُه، وناصِرُه، ووليُّه.

وقد أعاذَهُ اللهُ تعالى من كلِّ فتنةٍ، وعصَمَهُ من كلِّ سوءٍ، وكفاهُ كلَّ شرٍّ، فسَبيلُهُ سبيلُ المُهتدينَ، وطريقُهُ طريقُ السالِمينَ المُعاذينَ الغانِمينَ.

قال ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميعُ أبوابِ الاستعاذَةِ تدلُّ على أنَّه ينبغي سؤالُ اللهِ، والرَّغبةُ إليه، في كلِّ ما ينزِلُ بالمَرءِ من حاجاتِهِ، وأنْ يُعَيِّنَ كلَّ ما يدعو فيهِ؛ ففي ذلك إطالةُ الرَّغبةِ إلى اللهِ تعالى، والتضرُّع إليه، وذلك طاعةُ اللهِ تعالى.

وكان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يتعوَّذُ باللهِ من كلِّ ذلكَ، ويُعَيِّنه باسمِهِ، وإنْ كان اللهُ قد عصَمَه من كلِّ شرٍّ؛ ليُلْزِمَ نفسَه خوفَ اللهِ تعالى، وإعظامَه، وليَسُنَّ ذلك لأمَّتِه، ويُعَلِّمَهم كيفَ الاستعاذَةُ من كلِّ شيءٍ.

وقد رَوى ثابِتٌ، عن أنَسٍ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لِيَسْأَلْ أحَدُكُمْ رَبَّهُ حاجَتَهُ كُلَّها، حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إذا انْقَطَعَ**»[1]؛ ليستَشْعرَ العبدُ الافتقارَ إلى ربِّه في كلِّ أمرٍ وإنْ دقَّ، ولا يَستَحيِي من سؤالِهِ ذلكَ»[2].

معنى الاستعاذَةِ:

العَينُ والواوُ والذَّالُ: أصْلٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ على معنى واحِدٍ، وهو الِالتِجاءُ إلى الشيءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه كُلُّ شيءٍ لَصِقَ بِشَيءٍ، أو لازَمَهُ.

قال الخَليلُ: «تقول: أعُوذُ باللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ، أي: ألْجَأُ إليه تبارك وتعالى، عَوْذًا، أو عياذًا».

ويقولون: فُلانٌ عياذٌ لَكَ، أي مَلْجَأٌ.

وقولهم: مَعاذَ اللهِ، مَعْناهُ: أعُوذُ باللهِ، وكذا أسْتَعيذُ باللهِ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٤)، وضعفه الألباني.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١١٧-١١٨).

فـ«العَوْذ»: الالتِجاءُ إلى الغَيرِ، والتعلُّقُ به، والاستجارَةُ به، ثِقةً به.

فمعنى: «أعوذُ باللهِ» أي: ألجأُ إليه، ويُقال: «فلانٌ عياذٌ لكَ» أي: ملجأٌ.

ويقولون لِكُلِّ أُنْثَى إذا وضَعَتْ: عائِذٌ، وتَكُونُ كَذا سَبْعَةَ أَيَّامٍ، والجَمْعُ عُوذٌ، وإنَّما سُمِّيَتْ بذلك؛ من مُلازَمَةِ ولَدِها إيَّاها، أو مُلازَمَتِها إيَّاهُ.

ويُقال: «أطيبُ اللَّحمِ عُوَّذُهُ»، وهو: ما عاذَ بالعَظمِ، ولَزِمَه.

وفُلانٌ عَوْذٌ لبَني فُلانٍ، أي: ملجأٌ لهم، يَعُوذُونَ به[١].

وقال القرطُبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى الاستعاذَةِ في كلامِ العرَبِ: الاستجارَةُ، والتَّحَيُّزُ إلى الشيءِ على معنى الامْتِناعِ به منَ المَكْرُوهِ، يُقال: عُذْتُ بِفُلانٍ، واسْتَعَذْتُ به، أي: لجَأْتُ إليه، وهو عياذي، أي: ملجَئي، وأعَذْتُ غَيري به، وعَوَّذْتُهُ بِمَعْنًى.

ويُقال: عَوْذٌ باللهِ منكَ، أي: أعُوذُ باللهِ منكَ»[٢].

والاستعاذَةُ شرعًا لا يَختلِفُ معناها عن المعنى اللُّغويِّ، فهي: الالتِجاءُ إلى اللهِ تعالى، والامتِناعُ به.

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستعاذَةُ هي الِالتِجاءُ إلى اللهِ، والِالتِصاقُ بِجَنابِهِ من شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ، والعياذَةُ تَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ، واللِّياذُ يكونُ لِطَلَبِ جَلْبِ الخَيرِ»[٣].

وقال الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستِعاذةُ هي استِدفاعُ الأذَى باللهِ الأعلى، على وجْهِ الخُضُوعِ، والتَّذلُّل»[٤].

---

(١) ينظر: الصحاح (٢/ ٥٦٦)، مقاييس اللغة (٤/ ١٨٣)، مفردات ألفاظ القرآن (ص٥٩٤)، لسان العرب (٣/ ٥٠٠)، عمدة الحفاظ، للسمين الحلبي (٣/ ١٣٩).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٨٩).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

(٤) النكت والعيون (٣/ ٢١٣).

وقال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلَمْ أنَّ لفظَ: «عاذَ» وما تصرَّفَ مِنها، يدلُّ على التحرُّزِ، والتحصُّنِ، والنَّجاةِ، وحقيقةُ معناها: الهرُوبُ من شيءٍ تخافُهُ إلى مَنْ يعصِمُكَ منه؛ ولهذا يسمَّى المُستعاذُ به مَعاذًا، كما يُسمَّى ملجَأً، وفي الحديثِ: «**أنَّ ابنةَ الجونِ لمَّا أدخلَتْ على النبيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فوَضَعَ يدَهُ عليها، قالت: أعوذُ باللهِ منكَ، فقال لها: «قَدْ عُذْتِ بمَعاذٍ، الحَقي بأهْلِكِ»**[1]. رواهُ البُخاريُّ.

فمعنى أعوذُ: ألتَجِئُ، وأعتصِمُ، وأتحرَّزُ، وفي أصلِهِ قولانِ، أحدُهُما: أنَّه مأخوذٌ منَ السِّترِ، والثاني: أنَّه مأخوذٌ من لُزومِ المُجاورةِ، فأمَّا مَنْ قال: إنَّه منَ السِّترِ، قال: العرَبُ تقول للبيتِ الذي في أصلِ الشَّجرةِ التي قَدِ استَتَرَ بها: عُوَّذٌ -بضَمِّ العينِ، وتشديدِ الواوِ وفتحِها- فكأنَّه لمَّا عاذَ بالشَّجرةِ، واستتَرَ بأصلِها، وظِلِّها، سَمَّوْه عُوَّذًا، فكذلكَ العائِذُ قدِ استترَ من عدوِّهِ بمَنِ استعاذَ به منه، واستجنَّ به منه.

ومَنْ قال: هو لُزومُ المُجاورَةِ، قال: العرَبُ تقول للَّحمِ إذا لَصقَ بالعَظمِ، فلَمْ يتخلَّصْ منه: عُوَّذٌ؛ لأنَّه اعتصَمَ به، واستمسَكَ به، فكذلكَ العائِذُ قدِ استَمسَكَ بالمُستعاذِ به، واعتصَمَ به، ولَزمَهُ.

والقولانِ حقٌّ، والاستعاذةُ تنتظمُهُما معًا، فإنَّ المُستعيذَ مستترٌ بمَعاذِه، مُتمسِكٌ به، مُعتصِمٌ به، قدِ استمسَكَ قلبهُ به، ولزمَهُ كما يلزَمُ الولدُ أباهُ، إذا أشهَرَ عليه عَدُوُّه سيفًا، وقصدَهُ به، فهرَبَ منه، فعرَضَ له أبوهُ في طريقِ هرَبِه، فإنَّه يُلْقي نفسَهُ عليه، ويستمسِكُ به أعظَمَ استمساكٍ، فكذلكَ العائِذُ، قَدْ هرَبَ من عدُوِّه الذي يبغي هلاكَهُ، إلى ربِّهِ، ومالِكِه، وفرَّ إليه، وألقَى نفسَهُ بين يدَيهِ، واعتصَمَ به، واستجارَ به، والتجَأ إليه.

وبَعدُ: فمعنى الاستعاذَةِ القائِمُ بقلبِهِ وراءَ هذِه العباراتِ، وإنَّما هي تمثيلٌ، وإشارةٌ،

---

(١) رواه البخاري (٥٢٥٥).

وتفهيمٌ، وإلا فما يقومُ بالقلبِ -حينئذٍ- منَ الالتجاءِ، والاعتصامِ، والانطراحِ بين يدَيِ الربِّ، والافتقارِ إليه، والتذلُّلِ بين يدَيه، أمرٌ لا تُحيطُ به العبارَةُ»[١].

وقال أيضًا: «السينُ والتاءُ دالَّةٌ على الطَّلبِ، فقولُهُ: أستعيذُ باللهِ، أي: أطلُبُ العياذَ به، كما إذا قُلت: أستَخيرُ اللهَ، أي: أطلُبُ خيرتَهُ، وأستغفرُهُ، أي: أطلُبُ مَغفرتَهُ، وأستقيلُهُ، أي: أطلُبُ إقالتَه، فدخَلَتْ في الفعلِ؛ إيذانًا لطلَبِ هذا المعنى منَ المَعاذِ»[٢].

وقال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنى: «أعُوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ»، أي: أسْتَجيرُ بِجَنابِ اللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، أنْ يَضُرَّني في ديني، أو دُنْيايَ، أو يَصُدَّني عن فِعْلِ ما أُمِرْتُ به، أو يَحُثَّني على فِعْلِ ما نُهيتُ عنه؛ فَإِنَّ الشَّيطانَ لا يكفُّه عن الإنْسانِ إلا اللهُ؛ ولهذا أمرَ اللهُ تعالى بِمُصانَعَةِ شَيطانِ الإنْسِ، ومُداراتِهِ، بِإسْداءِ الجَميلِ إليه؛ ليَرُدَّهُ طَبْعُهُ عمَّا هو فيه منَ الأذَى، وأمرَ بالِاسْتِعاذَةِ به من شَيطانِ الجِنِّ؛ لأَنَّهُ لا يَقْبَلُ رِشْوَةً، ولا يُؤَثِّرُ فيه جَميلٌ؛ لأَنَّهُ شِرِّيرٌ بالطَّبْعِ، ولا يَكُفُّهُ عنك إلا الذي خَلَقَهُ»[٣].

وقد حُكيَ عن بَعْضِ السَّلَفِ، أنَّهُ قال لِتِلْميذِهِ: «ما تَصْنَعُ بالشَّيطانِ إذا سَوَّلَ لك الخَطايا؟»، قال: أُجاهِدُهُ، قال: «فَإِنْ عادَ؟»، قال: أُجاهِدُهُ، قال: «فَإِنْ عادَ؟»، قال: أُجاهِدُهُ، قال: «هذا يَطُولُ، أرَأيتَ لو مَرَرْتَ بِغَنَمٍ، فنَبحكَ كلبُها، ومنعكَ منَ العُبُورِ، ما تَصْنَعُ؟»، قال: أُكابِدُهُ، وأرُدُّهُ جَهْدي، قال: «هذا يَطُولُ عليك، ولكنِ اسْتَغِثْ بِصاحِبِ الغَنَمِ، يَكُفُّهُ عنك»[٤].

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَمَّا كان الشَّيطانُ على نَوْعَينِ: نَوْعٍ يُرَى عيانًا، وهو

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٠-٢٠١).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

(٤) تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٨).

شَيطانُ الإنْسِ، ونَوْعٍ لا يُرى، وهو شَيطانُ الجِنِّ، أمرَ سبحانه وتَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يَكْتَفيَ من شَرِّ شَيطانِ الإنْسِ بالإعْراضِ عنه، والعَفْوِ، والدَّفْعِ بالتي هي أحْسَنُ، ومن شَيطانِ الجِنِّ بالاِسْتِعاذَةِ باللهِ منه، وجَمَعَ بين النَّوْعَينِ في سورةِ الأعْرافِ، وسورةِ المُؤْمِنينَ، وسورةِ فُصِّلَتْ.

والاِسْتِعاذَةُ في القِراءَةِ، والذِّكْرِ، أبْلَغُ في دَفْعِ شَرِّ شَياطينِ الجِنِّ، والعَفْوُ، والإعْراضُ، والدَّفْعُ بالإحْسانِ، أبْلَغُ في دَفْعِ شَرِّ شَياطينِ الإنْسِ، قال:

فَما هو إلا الاِسْتِعاذَةُ ضارِعًا
أوِ الدَّفْعُ بالحُسْنَى هُما خيرُ مَطْلُوبِ
فَهذا دَواءُ الدَّاءِ من شَرِّ ما يُرَى
وَذاكَ دَواءُ الدَّاءِ من شَرِّ مَحْجُوبِ[1]

الاستعاذةُ لا تكونُ إلا باللهِ، وأسْمائِهِ، وصِفاتِهِ:

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاِسْتِعاذَةُ لا تَكُونُ إلا باللهِ، في مثلِ قولِ النبيِّ ﷺ: «**أعُوذُ بِوَجْهِكَ**»، و«**أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ**»، و«**أعُوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ**»، ونَحْوِ ذَلِكَ، وهذا أمْرٌ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَ العُلَماءِ»[2].

وقال أيضًا: «إنَّما يُسْتَعاذُ بالخالِقِ تَعالى، وأسْمائِهِ، وصِفاتِهِ؛ ولهذا احْتَجَّ السَّلَفُ -كَأحْمَدَ، وغيرِهِ- على أنَّ كَلامَ اللهِ غيرُ مَخْلُوقٍ -فيما احْتَجُّوا به-، بِقولِ النبيِّ ﷺ: «**أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ**»، قالوا: فَقَدْ اسْتَعاذَ بِها، ولا يُسْتَعاذُ بِمَخْلُوقٍ»[3].

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُستعاذُ به، وهو اللهُ وحدَه، ربُّ الفلَقِ، وربُّ الناسِ،

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٢٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٧٣).
(٣) المصدر السابق (١/ ٣٣٦).

مَلِكُ الناسِ، إلهُ الناسِ، الذي لا ينبغي الاستعاذةُ إلا به، ولا يُستعاذُ بأحدٍ من خلقِه، بل هو الذي يُعيذُ المستعيذينَ، ويعصِمُهُم، ويمنَعُهم من شرِّ ما استعاذُوا من شرِّه، وقد أخبرَ اللهُ تعالى في كتابِه عمَّنِ استعاذَ بخَلْقِه أنَّ استعاذَتَه زادَتْه طغيانًا، ورهَقًا؛ فقال حكايةً عن مؤمِني الجنِّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

جاءَ في التفسيرِ: أنَّه كان الرَّجُلُ منَ العربِ في الجاهليَّةِ، إذا سافرَ فأمسَى في أرضٍ قفرٍ، قال: «أعوذُ بسيِّد هذا الوادي من شرِّ سفهاءِ قومِه»، فيبيتُ في أمنٍ وجوارٍ منهُم، حتى يُصبِحَ.

أي: فزادَ الإنسُ الجنَّ باستعاذتِهم بسادَتِهم رهقًا، أي: طُغيانًا، وإثمًا، وشرًّا، يقولون: سُدْنا الإنسَ، والجنَّ، والرَّهَقُ في كلامِ العربِ: الإثمُ، وغِشيانُ المحارمِ، فزادوهُمْ بهذِه الاستعاذَةِ غشيانًا؛ لِما كان محظورًا منَ الكِبْرِ، والتَّعاظُمِ، فظنُّوا أنَّهم سادُوا الإنسَ، والجنَّ.

واحتجَّ أهلُ السُّنةِ على المعتزلَةِ في أنَّ كلماتِ اللهِ غيرُ مخلوقةٍ، بأنَّ النبيَّ ﷺ استعاذَ بقولِه: «**أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ**» رواهُ مسلمٌ، وهو لا يَستعيذُ بمخلوقٍ أبدًا»[1].

الاستعاذةُ استعانةٌ باللهِ، واعْتِرافٌ له بالقُدْرَةِ، وللعبدِ بالضَّعْفِ:

الاستعاذَةُ في حقيقتِها استعانةٌ باللهِ تعالى في دَفعِ المكرُوهِ، والعبدُ فقيرٌ بذاتِه إلى اللهِ، مُحتاجٌ إلى اللُّجوءِ إلى كَنَفِه، وحِفْظِه، ورعايتِه، في كلِّ لحظةٍ، فهوَ مَعاذُه، ومَلاذُه، يعلَمُ أنَّه لا ملجأ منه إلا إليه، وأنَّه لو تركَه غيرَ مُعاذٍ، لم يُعِذْهُ من دونِه مَعاذٌ.

ولذا أوصَى النبيُّ ﷺ ابنتَه فاطمةَ رضي الله عنها، فقال: «**ما يَمْنَعُكِ أنْ تَسْمَعي ما**

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٣).

أُوصيكِ به: أنْ تقولي إذا أَصْبَحْتِ، وإذا أَمْسَيتِ: يا حَيُّ يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغيثُ، أَصْلِحْ لي شَأْني كُلَّهُ، ولا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرَفَةَ عَينٍ»[1].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ: «**من لَطائِفِ الِاسْتِعاذَةِ**: أنَّها طَهارَةٌ للفَمِ مِمَّا كان يَتَعاطاهُ منَ اللَّغْوِ، والرَّفَثِ، وتَطْييبٌ لَهُ، وتَهَيُّؤٌ لِتِلاوَةِ كَلامِ اللهِ، وهيَ اسْتِعانَةٌ باللهِ، واعْتِرافٌ له بالقُدْرَةِ، وللعبدِ بالضَّعْفِ، والعَجْزِ عن مُقاوَمَةِ هذا العَدُوِّ المُبينِ الباطِنيِّ، الذي لا يَقْدِرُ على مَنْعِهِ، ودَفْعِهِ، إلا اللهُ الذي خَلَقَهُ، ولا يَقْبَلُ مُصانَعَةً، ولا يُدارَى بالإحْسانِ، بِخِلافِ العَدُوِّ من نَوْعِ الإنْسانِ، كما دَلَّتْ على ذلك آياتُ القُرْآنِ في ثَلاثٍ منَ المَثاني، وقال تَعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقد نَزَلَتِ المَلائِكَةُ لِمُقاتَلَةِ العَدُوِّ البَشَريِّ يَوْمَ بَدْرٍ، ومَنْ قَتَلَهُ العَدُوُّ البَشَريُّ كان شَهيدًا، ومَنْ قَتَلَهُ العَدُوُّ الباطِنيُّ كان طريدًا، ومَنْ غَلَبَهُ العَدُوُّ الظَّاهِرُ كان مَأْجُورًا، ومَنْ قَهَرَهُ العَدُوُّ الباطِنُ كان مَفْتُونًا، أو مَوْزُورًا، ولَمَّا كان الشَّيطانُ يَرَى الإنْسانَ من حَيثُ لا يَراهُ، اسْتَعاذَ منه بالَّذي يَراهُ، ولا يَراهُ الشَّيطانُ»[2].

وقال البُجَيرميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**من لَطائِفِ الِاسْتِعاذَةِ**: أنَّ قولَهُ: «أعُوذُ بِاللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيمِ»، إقْرارٌ من العبدِ بالعَجْزِ، والضَّعْفِ، واعْتِرافٌ من العبدِ بِقُدْرَةِ الباري عَزَّوَجَلَّ، وأنَّهُ الغَنيُّ القادِرُ على رَفْعِ جَميعِ المَضَرَّاتِ، والآفاتِ، واعْتِرافُ العبدِ -أيضًا- بِأنَّ الشَّيطانَ عَدُوٌّ مُبينٌ.

فَفي الِاسْتِعاذَةِ التِجاءٌ إلى اللهِ تَعالى، القادِرِ على دَفْعِ وَسْوَسَةِ الشَّيطانِ، الغَويِّ، الفاجِرِ، وأنَّهُ لا يَقْدِرُ على دَفْعِهِ عن العبدِ إلا اللهُ تَعالى»[3].

---

(١) رواه الحاكم (٢٠٠٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٨)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

(٣) حاشية البجيرمي (٢/ ٦٢).

أركانُ الاستعاذَةِ:

للاستعاذَةِ خمسةُ أركانٍ، هيَ:

١. **المُستَعيذُ**: وهو المؤمِنُ الذي ينطِقُ بالاستعاذةِ، يُواطِئُ قلبُه لسانَه، متوكِّلًا على اللهِ تعالى، ومُستجيرًا به، ومُستدْفِعًا به الأذَى، على وجْهِ الخُضوعِ، والتَّذلُّلِ.

٢. **المُستعاذُ بِهِ**: وهو اللهُ تعالى، الذي مَنِ استعاذَ به أعاذَه، وأجارَه، وعَصمَه، وحَفِظَه، وحَماهُ.

والاستعاذةُ إنَّما تكونُ بالله تعالى، وأسمائِه الحُسنَى، وصفاتِه العُليا، وكلماتِه التامَّةِ، التي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ، ولا فاجرٌ.

وقد أجمعَ العلماءُ على أنَّه لا تجوزُ الاستعاذةُ بغيرِ الله تعالى، فيما لا يَقْدِرُ عليه إلا اللهُ تعالى؛ ولهذا نَهَوْا عن الرُّقَى التي لا يُعرَف معناها؛ خشيةَ أنْ يكونَ فيها شيءٌ من ذلكَ(١).

والاستعاذةُ بالمخلوقِ في أمرٍ لا يقدِرُ عليه إلا اللهُ شِرْكٌ، وهيَ -مَعَ ذلكَ- لا تدفَعُ شرًّا، ولا تجلِبُ خيرًا، بل هي ممَّا يَزيدُ المُستعيذَ خوفًا، ورَهَقًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

٣. **المُستعاذُ منه**: وهو الشَّيطانُ الرَّجيمُ، وسائرُ ما يُستعاذُ منه؛ لحصُولِ الضَّررِ به، كالهَمِّ، والحزَنِ، والعَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، وعذابِ القبرِ، وعذابِ النارِ، والمأثَمِ، والمغرَمِ، والحَورِ بعدَ الكَورِ، والجوعِ، والخيانةِ، وغيرِ ذلكَ.

٤. **صيغةُ الاستعاذةِ**: وهيَ: «أعوذُ باللهِ من كذا»، كقولِكَ: «أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ»، أوْ: «أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ من شرِّ ما خلَقَ»، وغيرِ ذلكَ.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٢١١).

٥. المَطلبُ الذي من أجلِه يَستعيذُ المسلمُ: وهو السَّلامةُ في دينِه، ودُنياهُ، منَ الشَّيطانِ، ووسَوْسَتِه، ومكايِدِه، ومن جميعِ الشُّرورِ، وأنواعِ الضّرِّ(١).

فضلُ الاستِعاذةِ في الشَّرعِ:

*** الاســـتعاذَةُ باللهِ عبادَةٌ من أجلِّ العباداتِ، وطاعَةٌ من أعظمِ الطَّاعاتِ، بل هي من حقائقِ توحيدِ الإلهيَّةِ.**

قال اللهُ تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣].

«فإذا كان اللهُ وحدَه هو ربُّنا، ومالِكُنا، وإلهُنا؛ فلا مَفزعَ لنا في الشَّدائدِ سِواهُ، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبودَ لنا غيرُه؛ فلا ينبَغي أنْ يُدعَى، ولا يُخافُ، ولا يُرجَى، ولا يُحَبُّ، سِواهُ، ولا يُذَلُّ لغيرِه، ولا يُخضَعُ لسِواهُ، ولا يُتوَكَّلُ إلا عليه.

لأنَّ مَن تَرجُوهُ، وتخافُه، وتَدعُوه، وتتوكَّلُ عليه، إمَّا أنْ يكونَ مُرَبِّيَكَ، والقَيِّمَ بأمورِكَ، ومتوَلِّيَ شَأنكَ، وهو ربُّك، فلا رَبَّ لك سِواهُ.

أو تكونَ مملوكَه، وعبدَه الحقَّ؛ فهوَ مَلِكُ الناسِ حقًّا، وكلُّهُم عبيدُه، ومماليكُه.

أو يكونَ معبودَك، وإلهَك، الذي لا تستغني عنه طرفةَ عينٍ، بل حاجتُكَ إليه أعظمُ من حاجتِكَ إلى حياتِكَ، وروحِكَ؛ وهو الإلهُ الحقُّ، إلهُ الناسِ، الذي لا إلهَ لهم سِواهُ.

فمَنْ كان ربَّهم، ومَلِكَهم، وإلهَهم، فهُمْ جديرونَ أنْ لا يَستعيذُوا بغيرِه، ولا يستنصِرُوا بسِواهُ، ولا يلجَؤُوا إلى غيرِ حِماهُ، فهوَ كافيهِم، وحَسْبُهم، وناصِرُهم،

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (١/ ٧٠)، وغرائب القرآن للنيسابوري (١/ ١٥)، واللباب في تفسير الاستعاذة، لسليمان اللاحم (ص٢٢).

ووليُّهم، ومتولِّي أمُورهم جميعًا بربوبيَّتِه، ومُلْكِه، وإلهيَّتِه لهُمْ، فكيفَ لا يلتجِئُ العبدُ عندَ النَّوازلِ، ونُزُولِ عَدُوِّه به، إلى رَبِّه، ومالِكِه، وإلهِهِ؟!»[١].

* **والاستِعاذةُ باللهِ تعظيمٌ لَه**؛ لأنَّ المُستعيذَ يشعُرُ بالخوفِ، فليجأُ إلى المُستعاذِ بهِ؛ حتى ينصُرَه، ويحفظَه، وهذا هو التعظيمُ بعينِه، والتعظيمُ عبادةٌ.

والمُستعيذُ في الحقيقةِ ضعيفٌ؛ لأنَّه يشعُرُ بعجزِهِ بنفسِه، فلذلكَ يلجَأُ إلى ربِّه، ويصاحِبُ الاستعاذَةَ ذُلٌّ، وخوفٌ، واستكانةٌ، فلا يَصلحُ ذلك إلا للهِ تعالى.

* **وقد أمرَ اللهُ تعالى بالاستعاذَةِ، ورغَّبَ فيها**، في آياتٍ عديدةٍ منَ القرآنِ الكريمِ، وأمرَ نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، وتواترَتِ السُّنَنُ بذلكَ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وقال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧].

وقال تعالى عن كَلِيمِه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما ذكرَ اللهُ عنه: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

وقال يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا راودَتْهُ امرأةُ العزيزِ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣] أي: عياذًا باللهِ.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٨).

وقالتِ امرأةُ عِمرانَ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وقالت مريمُ عليها السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥].

وقال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٤].

وثبتَ عنه صلى الله عليه وسلم: أنَّه استعاذَ منَ الهَمِّ، والحزَنِ، والعَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، ومن عذابِ القبرِ، ومن عذابِ النارِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ، ومن فِتنةِ المَحْيا، والمماتِ، ومنَ المأثَمِ، والمغرَمِ، وجَهدِ البلاءِ، وشماتةِ الأعداءِ، ومنَ الحَورِ بعدَ الكَورِ،... إلخ، كما سيأتي معَنا إنْ شاءَ اللهُ.

*** وعلَّمَ صلى الله عليه وسلم أصحابَه أنْ يَستعيذُوا باللهِ تعالى:**

فلمَّا قال له أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: علِّمْني ما أقُولُ إذا أصْبَحْتُ، وإذا أمْسَيتُ، قال: «**يا أبا بَكْرٍ، قُلْ: اللهُمَّ فاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ، عالِمَ الغَيبِ والشَّهادَةِ، لا إلَهَ إلا أنْتَ، رَبَّ كُلِّ شيءٍ ومَليكَهُ، أعُوذُ بكَ من شَرِّ نَفْسي، ومن شَرِّ الشَّيطانِ، وشِرْكِهِ، وأنْ أقْتَرِفَ على نَفْسي سُوءًا، أو أجُرَّهُ إلى مُسْلِمٍ**»(١).

وعلَّمَ زوجَه أمَّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها، أنْ تقول: «**اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ منَ الخَيرِ**

(١) رواه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٥٢٩)، واللفظ له، وصححه الألباني.

كُلِّه، عاجِلِه، وآجِلِه، ما عَلِمْتُ منه، وما لم أعْلَمْ، وأعُوذُ بكَ منَ الشَّرِّ كُلِّه، عاجِلِه، وآجِلِه، ما عَلِمْتُ منه، وما لم أعْلَمْ...»[١].

وعلَّمَ شَكَلَ بنَ حُمَيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا قال: علِّمني تعوُّذًا أتعوَّذُ به، قال: فأخذَ بكَفِّي، فقال: «**قُل: اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ سَمْعي، ومن شَرِّ بَصَري، ومن شَرِّ لِساني، ومن شَرِّ قَلْبي، ومن شَرِّ مَنيِّي**»، يَعني: فَرْجَه[٢].

ومن فضائلِ الاستعاذةِ:

أنَّها تتضمَّنُ كثيرًا منَ الأعمالِ القلبيَّةِ، التي تكونُ بها حياةُ القلُوبِ، مِثل: الإخلاصِ، والإحسانِ، والتوكُّلِ، واليقينِ، والخُشُوعِ، والخُضُوعِ، والتضرُّعِ، والاستعانَةِ، والاعتصامِ باللهِ تعالى، والرَّغبةِ، والإنابةِ إليه، والرِّضا باللهِ، والانقيادِ، والتَّسليمِ، ومحبَّةِ اللهِ، والرَّجاءِ فيما عندَه عَزَّوَجَلَّ.

والاستعاذةُ باللهِ نوعٌ من أنواعِ الدُّعاءِ، وحتى يبلغَ أثرُها، فلا بُدَّ فيها من حضورِ القلبِ، وقوةِ الإيمانِ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأدْعيَةُ والتَّعَوُّذاتُ بِمَنْزِلَةِ السِّلاحِ، والسِّلاحُ بِضارِبِهِ، لا بِحَدِّهِ فَقَطْ، فَمَتَى كان السِّلاحُ سِلاحًا تامًّا لا آفَةَ به، والسَّاعِدُ ساعِدًا قَوِيًّا، والمانِعُ مَفْقُودًا؛ حَصَلَتْ به النِّكايَةُ في العَدُوِّ، ومَتَى تَخَلَّفَ واحِدٌ من هذه الثَّلاثَةِ، تَخَلَّفَ التَّأْثيرُ، فَإِنْ كان الدُّعاءُ في نَفْسِهِ غَيرَ صالِحٍ، أو الدَّاعي لم يَجْمَعْ بين قَلْبِهِ ولِسانِهِ في الدُّعاءِ، أو كان ثَمَّ مانِعٌ منَ الإجابَةِ؛ لم يَحْصُلِ الأثَرُ»[٣].

والاستعاذةُ مِن حيثُ المُستعاذُ منه، تأتي على نوعَين:

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، والإمام أحمد (٢٥٠١٩)، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢)، والنسائي (٥٤٤٤)، وصححه الألباني.

(٣) الداء والدواء (ص١٥).

* الاستعاذةُ مِن شرٍّ موجودٌ بالفعلِ، فهذا يُطلَبُ رفعُهُ، وإزالتُهُ، أو تخفيفُه، مثلَ: «**أعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ، وقُدْرَتِهِ، من شَرِّ ما أجِدُ، وأُحاذِرُ**».

* الاستعاذةُ مِن شرٍّ يخافُ وقوعُه في المستقبَلِ، فهذا يُطلَبُ منعُه، مثلَ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من عَذابِ جَهَنَّمَ، وعَذابِ القَبْرِ**».

فالاستعاذةُ تكونُ لدَفْعِ الضَّررِ الحاصلِ، أو المُتوقَّعِ.

والتَّعوذاتُ النبويةُ أهمُّ منَ الوصفاتِ الطِّبِّيَّةِ؛ لأنَّها أسبابُ وقايةٍ، وأسبابُ علاجٍ، فَينبغي للإنسانِ أنْ يحرِصَ عليها، ويقتديَ بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها.

أنواعُ الاستعاذةِ من حيثُ المُستعاذُ به:

الأوَّلُ: **الاستعاذةُ باللهِ تعالى.**

وهيَ المتضمِّنةُ لكمالِ الافتقارِ إليه، والاعتصامِ به، واعتقادِ كفايتِهِ، وتمامِ حمايَتِه، من كلِّ سوءٍ وشرٍّ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَٰهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ.

الثاني: **الاستعاذةُ بصفةٍ من صفاتِه، ككلامِهِ، وعظمَتِه، وعزَّتِه، ونحوِ ذلكَ.**

ودليلُ ذلكَ: قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ**»، وقولُه: «**أعوذُ بعظَمَتِك أنْ أُغتالَ من تحتي**»، وقولُه في دعاءِ الألَمِ: «**أعوذُ بعزَّةِ اللهِ وقُدرتِه من شرِّ ما أجِدُ وأُحاذِرُ**»، وقولُه: «**أعوذُ برضاكَ من سخَطِك**»، وقولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ نزلَ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾؛ فقال: «**أعوذُ بوجهِك**».

الثالثُ: الاستعاذةُ بالأمواتِ، أو الأحياءِ غيرِ الحاضرينَ القادرينَ على العوذِ.

فهذا شِركٌ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

الرابعُ: الاستعاذةُ بما يمكِنُ العوذُ به منَ المخلوقينَ منَ البشَرِ، أو الأماكِنِ، أو غيرِها.

فهذا جائزٌ، ودليلُه: قولُه ﷺ، في ذِكْرِ الفتنِ: «**مَنْ تَشَرَّفَ لَها تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وجَدَ منها مَلْجَأً، أو مَعاذًا، فَلْيَعُذْ به**»[1].

وقد بيَّنَ ﷺ هذا المَلْجأ، والمعاذَ، بقولِه: «**فَمَنْ كان له إبلٌ، فَلْيَلْحَقْ بإبلِهِ، ومَنْ كانَتْ له غَنَمٌ، فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، ومَنْ كانَتْ له أرْضٌ، فَلْيَلْحَقْ بأرْضِهِ**»[2].

وعن جابرٍ رضي الله عنه، أنَّ امْرَأةً من بَني مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بِها النبيُّ ﷺ، فَعاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النبيِّ ﷺ، فَقال النبيُّ ﷺ: «**واللهِ لو كانَتْ فاطِمَةُ، لَقَطَعْتُ يَدَها**»، فَقُطِعَتْ[3].

وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يَعُوذُ عائِذٌ بالبَيتِ، فَيُبْعَثُ إليه بَعْثٌ...**» الحديثَ[4].

ولكِنْ، إنِ استعاذَ من شرِّ ظالمٍ، وجبَ إيواؤُه وإعاذَتُه بقَدْرِ الإمكانِ، وإنِ استعاذَ؛ ليتوصَّلَ إلى فِعْلِ محظورٍ، أو الهربِ من واجبٍ: حَرُمَ إيواؤُهُ[5].

(١) رواه البخاري (٧٠٨١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٧).

(٣) رواه مسلم (١٦٨٩).

(٤) رواه مسلم (٢٨٨٢).

(٥) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص٦٣-٦٥).

جِماعُ الشُّرورِ التي يَستعيذُ منها المُسلمُ:

جَمَعَتِ المُعوِّذتانِ كلَّ الشُّرورِ التي يَستعيذ منها المسلمُ، فيسأَلُ ربَّه بربوبيَّتِه، وألوهيَّتِه، أنْ يُعيذَه منها، ومَنْ أعاذَه اللهُ منها، فقَدْ كُفيَ كلَّ شرٍّ، ومَنْ كفاهُ اللهُ كلَّ شرٍّ نجا، ومَنْ نجا فازَ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «تضمَّنتِ المُعوِّذتانِ: «الفلَقُ، والناسُ» الاستعاذةَ منَ الشُّرُورِ كلِّها، بأوجزِ لفظٍ، وأجمَعِه، وأدلِّه على المُرادِ، وأعمِّه استعاذةً؛ بحيثُ لم يبقَ شَرٌّ منَ الشُّرورِ، إلا دخلَ تحتَ الشَّرِّ المُستعاذِ منه فيهِما»[1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ خُبَيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**قُلْ: قُلْ هو اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَينِ، حينَ تُمْسي، وحينَ تُصْبِحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفيكَ من كُلِّ شيءٍ**»[2].

أي: تدفَعُ عنك كلَّ سوءٍ، ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ المعنى: تُغْنيكَ عَمَّا سِواها[3].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعُقبَةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيلَةَ، لم يُرَ مثلُهُنَّ قَطُّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[4].

فالمعوِّذاتُ لا يَستغني عنهُما أحدٌ قطُّ، فلهُما تأثيرٌ خاصٌّ في دَفعِ السِّحرِ، والعَينِ، وسائرِ الشُّرورِ، وحاجةُ العبدِ إلى الاستعاذةِ بهاتَينِ السُّورتَينِ أعظمُ من حاجتِه إلى النَّفَسِ، والطَّعامِ، والشَّرابِ، واللِّباسِ[5].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٤).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، وصححه، وحسنه الألباني.

(٣) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢١).

(٤) رواه مسلم (٨١٤).

(٥) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٩).

مدارُ الاستعاذاتِ:

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مدارُ المستعاذاتِ على الآلامِ، وأسبابِها، ولمَّا كان الشرُّ هو الآلامَ، وأسبابَها، كانَتْ استعاذاتُ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعُها مدارُها على هذَين الأصلَين، فكلُّ ما استعاذَ منه، أو أمرَ بالاستعاذةِ منه، فهوَ إمَّا مؤلِمٌ، وإمَّا سببٌ يُفْضي إليه»[1].

وأخطَرُ ما يُستعاذُ منه، هوَ: الشَّيطانُ الرَّجيمُ.

وقد وردَتِ الاستعاذةُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ في مواضِعَ كثيرةٍ، منها: عندَ تلاوةِ القرآنِ، وعندَ الغضَبِ، وعندَ الوسوسةِ، وعندَ سماعِ نُباحِ الكِلابِ ونهيقِ الحُمُرِ باللَّيلِ، وعندَ دُخولِ المسجدِ، والخُروجِ منه، وإذا نزَغَ الشَّيطانُ الإنسانَ بمعصيةٍ، وإذا خشيَ من حضورِه، وإذا وسوسَ له في الصَّلاةِ.

ولها عدَّةُ صيَغٍ، منها:

* **«أعوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ».**

* **«أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ».**

* **«أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، من همْزِه، ونَفْخِه، ونَفْثِه».**

وهَمْزُه: وسوسَتُه، أو سِحْرُه، أو الجنونُ، ونَفْخُه: الكِبْرُ، والعُجبُ، ونَفْثُه: السِّحْرُ، أو الشِّعْرُ القبيحُ[2].

والمُستعيذُ باللهِ العظيمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، مُعتَصِمٌ بحَبلِ اللهِ المتينِ.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٦).

(٢) مرقاة المفاتيح (٣/ ٩٢٠).

والاستعاذَةُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، من أنفعِ ما يَعتصِمُ به العبدُ منَ الشَّيطانِ، ويَستَدفِعُ به شرَّه.

فهيَ أحصَنُ حِصْنٍ لدينِ المؤمنِ من كَيدِ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وأحْرَزُ حِرزٍ لقَلبِه من وسواسِ العدوِّ اللئيمِ[١].

والاستعاذةُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، مَنجاةٌ من نَزْغِ الشَّيطانِ، وفيها تذكيرٌ بواجبِ مجاهدَتِه، والتيقُّظِ لكيدِه، وهذا التيقُّظُ سُنَّةُ المتَّقينَ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فالرَّسولُ ﷺ -وأمَّتُه من بعدِه- مأمورٌ بمجاهدَةِ الشَّيطانِ؛ لأنَّه مُتَّقٍ، ولأنَّه يبتهِجُ بمتابعَةِ سيرةِ سَلَفِه منَ المتَّقينَ؛ كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠][٢].

معنى: «الشَّيطانِ الرَّجيمِ»، واشتقاقُه:

«الشَّيطانُ»: أصلُ الشرِّ كلِّه، ولولاهُ ما عُصيَ الرَّحمنُ تبارك وتعالى، كما قال عمرُ بنُ عبدِالعَزيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ أرادَ اللهُ تعالى أنْ لا يُعْصَى ما خَلَقَ إبْليسَ، وهو رَأْسُ الخَطيئَةِ»[٣].

وأصلُ اشتقاقِه مِنَ «شَطَنَ»، إذا بَعُدَ؛ لبُعدِه من رحمَةِ اللهِ، أو من «شاطَ»، إذا غَضِبَ، أو هَلَكَ، واحْتَرَقَ.

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُمِّيَ شَيطانًا؛ لِتَمَرُّدِهِ، وعُتُوِّهِ، وكُلُّ مارِدٍ عاتٍ: شَيطانٌ،

---

(١) بستان الواعظين، لابن الجوزي (ص١٠-١٢).

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ٢٣١).

(٣) رواه الآجري في الشريعة (٢/ ٧١٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٤٠١)، وإسناده صحيح.

والأظْهَرُ: أنَّهُ مُشْتَقٌّ من شَطَنَ، إذا بَعُدَ؛ لِبُعْدِهِ منَ الخَيرِ، والرَّحْمَةِ، وقيلَ: مُشْتَقٌّ من شاطَ، إذا هَلَكَ، واحْتَرَقَ»[١].

وقال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّيطانُ في لُغَةِ العَرَبِ مُشْتَقٌّ من شَطَنَ، إذا بَعُدَ، فهوَ بَعيدٌ بِطَبْعِهِ عن طِباعِ البَشَرِ، وبَعيدٌ بِفِسْقِهِ عن كُلِّ خَيرٍ، وقيلَ: مُشْتَقٌّ من شاطَ؛ لأنَّهُ مَخْلُوقٌ من نارٍ، ومنهُمْ مَنْ يقولُ: كِلاهُما صَحيحٌ في المَعْنَى، ولكنَّ الأوَّلَ أصَحُّ، وعَلَيهِ يَدُلُّ كَلامُ العَرَبِ.

وقال سيبَوَيهِ: «العَرَبُ تقول: «تَشَيطَنَ فُلانٌ»، إذا فَعَلَ فِعْلَ الشَّيطانِ، ولو كان من شاطَ لَقالوا: تَشَيَّطَ».

فالشَّيطانُ مُشْتَقٌّ منَ البُعْدِ على الصَّحيحِ؛ ولهذا يُسَمُّونَ كُلَّ ما تَمَرَّدَ من جِنِّيٍّ، وإنْسيٍّ، وحَيَوانٍ، شَيطانًا»[٢].

وقال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنْ جَعَلْتَ نُونَ الشَّيطانِ أصليَّةً، كان منَ الشَّطَنِ: البُعْد، أي: بَعُدَ عن الخَيرِ، أو منَ الحَبْلِ الطَّويلِ، كأنَّه طالَ في الشَّرِّ.

وإنْ جعَلتَها زائدَةً، كان من شأط يَشيطُ، إذا هلَكَ، أو مِنَ اسْتَشاطَ غَضَبًا، إذا احْتدَّ في غَضَبِه، والتَهَبَ، والأوَّلُ أصحُّ»[٣].

وقال ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّيطانُ: اسمُ جنْسٍ، يشمَلُ الشَّيطانَ الأولَ الذي أُمِرَ بالسُّجودِ لآدمَ فلَمْ يَسْجُدْ، ويشمَلُ ذُرِّيَّتَه، وهو من: شَطَنَ إذا بَعُدَ؛ لبُعدِه من رحمَةِ اللهِ، فإنَّ اللهَ لَعَنَهُ، أي: طَرَدَه وأبْعَدَه عن رحمَتِه.

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ١١٢).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١١٥).
(٣) النهاية (٢/ ٤٧٥).

أو من: شاطَ، إذا غَضِبَ؛ لأنَّ طبيعتَه الطَّيْشُ، والغضبُ، والتسرُّعُ؛ ولهذا لم يتقبَّلْ أمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالسُّجودِ لآدَمَ، بل ردَّه فورًا، وأنكرَ السُّجودَ لَه، وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

والمعنى الأولُ هو الأقربُ؛ ولذلكَ لم يُمنَعْ من الصَّرْفِ؛ لأنَّ النونَ فيه أصليَّةٌ»[1].

و«الرَّجيمُ»:

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرَّجيمُ: فَعيلٌ بِمعنى مَفْعُولٍ، أي: أَنَّهُ مَرْجُومٌ، مَطْرُودٌ عن الخَيرِ كُلِّهِ. وقيلَ: رَجيمٌ بِمعنى راجِمٍ؛ لأَنَّهُ يَرْجُمُ النَّاسَ بالوَساوِسِ، والرَّبائِثِ. والأَوَّلُ أَشْهَرُ»[2].

وقال ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرَّجيمُ، بمعنى: راجِمٍ، وبمعنى: مرجُومٍ؛ لأنَّ فَعيلًا تأتي بمعنى: فاعِلٍ، وبمعنى: مفعولٍ.

فالشَّيطانُ رجيمٌ بالمعنيَين، فهو مرجومٌ بلعنةِ اللهِ -والعياذُ باللهِ- وطَرْدِه، وإبعادِه عن رحمَتِه، وهو راجمٌ غيرَه بالمعاصي، فإنَّ الشَّياطينَ تَؤزُّ أهلَ المعاصي إلى المعاصي أزًّا»[3].



(١) الشرح الممتع (٣/ ٥٤).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١١٦).
(٣) الشرح الممتع (٣/ ٥٤).

الحديث الأول:

عَنْ أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كان رسولُ اللّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا قامَ مِنَ اللَّيلِ كبَّرَ، ثُمَّ يقولُ: **«سُبْحانَكَ اللهُمَّ وبِحَمْدِكَ، وتَبارَكَ اسْمُكَ، وتَعالى جَدُّكَ، ولا إلَهَ غَيرُكَ»**، ثُمَّ يقولُ: **«لا إلَهَ إلا اللّهُ»** ثَلاثًا، ثُمَّ يقولُ: **«اللّهُ أكْبَرُ كَبيرًا»** ثَلاثًا، **«أعُوذُ باللّهِ السَّميعِ العَليمِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، من هَمْزِهِ، ونَفْخِهِ، ونَفْثِهِ»**، ثُمَّ يَقْرأُ[1].

هذا الحديثُ يتضمَّنُ دُعاءً من أدعيةِ الاستفتاحِ في الصَّلاةِ، ويُشرَعُ للمُصلِّي بعدَ دُعاءِ الاستفتاحِ أنْ يتعوَّذَ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ.

وهذا التعوُّذُ مُستحَبٌّ عندَ جمهورِ العلماءِ، منَ الصَّحابةِ والتابعينَ فمَنْ بعدَهُم[2].

لقولِه تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، وهذا عامٌّ في الصَّلاةِ، وغيرِها.

وقولُه في هذا الذِّكرِ: «سُبْحانَكَ اللهُمَّ وبِحَمْدِكَ»:

التسبيحُ: تنزيهُ اللهِ عن كلِّ نقصٍ، وعَيبٍ.

فاللهُ تعالى مُنَزَّهٌ عن كلِّ عيبٍ، سالمٌ من كلِّ نقصٍ، مستحِقٌّ لكلِّ ثناءٍ، وحمْدٍ.

(١) رواه أبو داود (٧٧٥)، واللفظ له، والترمذي (٢٤٢)، وصححه الألباني.

(٢) المجموع (٣/ ٣٢٣).



قال ابنُ فارسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّسْبيحُ: تَنْزيهُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ من كُلِّ سُوءٍ، والتَّنْزيهُ: التَّبْعيدُ، والعَرَبُ تقول: «سُبْحانَ من كَذا»، أي ما أبْعَدَهُ، قال الأعْشَى:

أقُولُ لَمَّا جاءَني فَخْرُهُ ... سُبْحانَ من عَلْقَمَةَ الفاخِرِ

وقال قَوْمٌ: تَأْويلُهُ: عَجَبًا له إذا يَفْخَرُ.

وهذا قَريبٌ من ذاكَ؛ لأنَّهُ تَبْعيدٌ له منَ الفَخْرِ»(١).

وقال القُرطُبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُبْحانَ»: اسْمٌ مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ المَصْدَرِ، وهو غَيرُ مُتَمَكِّنٍ؛ لأنَّهُ لا يَجْري بِوُجُوهِ الإعْرابِ، ولا تَدْخُلُ عليه الألِفُ واللَّامُ، ولَمْ يَجْرِ منه فِعْلٌ، ولَمْ يَنْصَرِفْ؛ لأنَّ في آخِرِهِ زائِدَتَينِ، تقول: سَبَّحْتُ تَسْبيحًا وسُبْحانًا، مثل: كَفَّرْتُ اليَمينَ تَكْفيرًا وكُفْرانًا.

ومَعْناهُ: التَّنْزيهُ والبَراءَةُ للهِ عَزَّوَجَلَّ من كُلِّ نَقْصٍ، فهوَ ذِكْرٌ عَظيمٌ للهِ تَعالى، لا يَصْلُحُ لِغَيرِهِ»(٢).

وقولُه: «وبحمدِكَ»:

أي: إنَّ هذا التسبيحَ مقترنٌ بَحْمِدكَ، أي: أُسَبِّحُكَ تَسبيحًا مُتلبِّسًا ومقترِنًا بحمدِكَ.

وقيلَ: الواوُ بمعنى «معَ»، أي: أُسَبِّحُكَ، معَ التلبُّسِ بحَمْدِك.

وقيلَ: إنَّ المعنى: بِحَمْدِك سبَّحتُك، أي: اعتقدتُ نزاهتَك حالَ كوْني مُتلبِّسًا بالثَّناءِ عليك، أو بسببِ الثناءِ الجميلِ عليك، اعتقدتُ نزاهتَك.

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٢٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٠٤).

وقيلَ في المعنى: إنَّ الذي أُسَبِّحُكَ به هو محضُ جُودٍ منكَ، وتوفيقٍ لي بفعْلِهِ، فالمعنى: بحمدِكَ سبَّحْتُكَ، أي: بفضلِكَ وهدايتِكَ سبَّحتُك[1].

وقولُه: «وتباركَ اسمُكَ»:

أي: كَثُرَتْ بَرَكَةُ اسْمِكَ؛ إذْ وُجِدَ كُلُّ خَيرٍ من ذِكْرِ اسْمِكَ.

وقيلَ: تَعاظَمَ ذاتُكَ[2].

وقال **ابْن قُتَيبَة**: «تباركَ اسْمُك»: تفاعل منَ البركَةِ، كما يُقال: «تَعالى اسْمُك»، منَ العُلُوِّ، يُرادُ به أنَّ البركَةَ في اسْمِكَ، وفيما سُمِّي عَلَيهِ».

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقَولُه: «يُرادُ به أنَّ البركَةَ في اسْمِك، وفيما سُمِّي عَلَيهِ»: يدلُّ على أنَّ ذلك صفةٌ لِمَنْ تبارَك؛ فَإنَّ بركَةَ الِاسْمِ تابِعَةٌ لبركةِ المُسَمَّى؛ ولهذا كان قولُه تَعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] دَليلًا على أنَّ الأمرَ بتسبيحِ الرّبِّ بطريقِ الأَوْلى؛ فَإنَّ تَنْزيهَ الِاسْمِ من تَوابعِ تَنْزيهِ المُسَمَّى»[3].

فالبركةُ، والخيرُ، والزيادةُ، والنَّماءُ، لا تكونُ إلا منَ اللهِ تعالى، ولا ينبَغي أن تُطلبَ إلا منَ اللهِ، كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البَرَكَةُ منَ اللهِ**»[4].

فمَنْ أرادَ البركَةَ، فلا يَطلُبْها إلا منَ اللهِ، ولْيَحرِصْ على الأسبابِ الجالبةِ للبركةِ التي دلَّت عليها نصوصُ الشَّرعِ، ولْيحذَرْ منَ الذرائعِ الشِّركيَّةِ التي يُطلَبُ بها البركةُ الوهميَّةُ، كالتبرُّكِ بالأحجارِ، والأشجارِ، والأضرحةِ، والتمسُّحِ بالقبورِ، والصالحينَ.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٣٩٩)، مرقاة المفاتيح (٢/ ٦٧٧).

(٢) مرقاة المفاتيح (٢/ ٦٧٧).

(٣) جلاء الأفهام (ص٣٠٧).

(٤) رواه البخاري (٥٦٣٩).

وقولُه: «وتعالى جدُّكَ»:

أي: عظمتُكَ، فتعالَتْ عظمَةُ اللهِ فوقَ كلِّ عظمةٍ، كما قال مؤمِنو الجنِّ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

أي: تَعالتْ عَظمتُه، وتَقدّستْ أسْماؤُه.

وقيلَ: أي: تعالى غِناؤُكَ عن أنْ ينْقصَه إنفاقٌ، أو يَحتاجَ إلى مُعينٍ، ونصيرٍ[١].

وقولُه: «ولا إلهَ غيرُكَ»:

أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا أنتَ.

ثُمَّ يقولُ: «لا إلَهَ إلا اللهُ» ثَلاثًا، ثُمَّ يقولُ: «اللهُ أكْبَرُ كَبيرًا» ثَلاثًا:

«كَبيرًا»: مَنْصُوبٌ بإضمارِ فِعْلٍ، كأنَّه قال: أُكَبِّرُ تَكْبيرًا، فَقَولُه: «كَبيرًا» بِمعنى: تَكْبيرًا، فأقامَ الاسمَ مُقامَ المَصْدَرِ الحَقيقيِّ[٢].

ثمَّ استعاذَ النبيُّ ﷺ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ؛ فقال: «أعُوذُ باللهِ السَّميعِ العَليمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، من هَمْزِهِ، ونَفْخِهِ، ونَفْثِهِ».

والنَّفْخُ: هو الكِبْرُ؛ لأنَّ العبدَ إذا غفلَ عن الذِّكْرِ، وسوسَ له الشَّيطانُ، وتعاظمَ عليه، والمُتكبِّرُ يَنتفِخُ، ويتعاظَمُ، ويَجْمَعُ نفْسَه، ونفَسَه، فيحتاجُ إلى أنْ ينفُخَ.

فالنَّفْخُ كنايةٌ عن الكِبْرِ، كأنَّ الشَّيطانَ ينفخُ بالوَسْوَسةِ، فيُعَظِّمُه في عينِه، ويُحَقِّرُ الناسَ عندَه[٣].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٢/ ٦٧٧).

(٢) تاج العروس (١٤/ ٦).

(٣) شرح المشكاة للطيبي (٣/ ٩٩٤)، جامع الأصول (٤/ ١٨٥).

والنَّفْثُ: هو الشِّعْر؛ لأنَّ الشِّعْرَ ممَّا يخرُجُ منَ الفمِ، ويَلفظُ به اللِّسانُ، وينفُثُه كما ينفُثُ الرِّيقَ.

وهو إشارةٌ إلى ذَمِّ مَن يَهيمُ في أوديةِ الشِّعْرِ، فتارةً يمدَحُ، وتارةً يقدَحُ، وتارةً يَمْرَحُ، وأخرَى يتغزَّلُ، وهذا من تلاعُبِ الشَّياطينِ، كما قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

وقيلَ: النَّفْثُ: هو السِّحْرُ[١].

والهَمْزُ: هو المُوتةُ، أي: الصَّرَعُ والجُنونُ الذي يعتَري الإنسانَ، سُمِّي بذلكَ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ غَمَزْتَه، ودَفَعْتَه، فقَدْ هَمَزْتَه؛ لأنَّ المجنونَ يَنْخَسُهُ الشَّيطانُ، والهَمْزُ والنَّخْسُ أخوانِ.

وقيلَ: الهَمْزُ هو الوَسْوَسةُ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، وأصلُ الهَمْزِ: الدَّفْعُ، وهَمَزاتُ الشَّياطينِ: خطَراتُها، ونزغاتُها، ودَفْعُهم الوَساوِسَ والإغواءَ إلى القلبِ.

وفُسِّرتِ الآيةُ بأنَّ الشَّياطينَ يحثُّونَ أولياءَهم على المعاصي، ويُغْرونَهم عليها، كما يَهمِزُ الرَّكَضةُ الدوابَّ بالمِهمازِ؛ حثًّا لها على المَشْيِ[٢].

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ هَمزاتِ الشَّياطينِ إذا أُفرِدَتْ دخلَ فيها جميعُ إصاباتِهم لابنِ آدمَ، وإذا قُرِنَتْ بالنَّفخِ، والنَّفثِ، كانَتْ نوعًا خاصًّا.

---

(١) شرح المشكاة (٣/ ٩٩٤)، جامع الأصول (٤/ ١٨٦).

(٢) شرح المشكاة (٣/ ٩٩٤)، جامع الأصول (٤/ ١٨٦)، إغاثة اللهفان (١/ ٩٦).

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ قال ابنُ زيدٍ: «في أمُوري»، وقال الكلبيُّ: «عندَ تلاوةِ القرآنِ»، وقال عِكْرِمةُ: «عندَ النَّزعِ، والسِّياقِ».

فأمَرَهُ أنْ يَستعيذَ من نَوْعَي شرِّ إصابَتِهم له: بالهَمْزِ، وقُرْبِهم ودُنُوِّهم منه.

فتضمَّنتِ الاستعاذَةُ أنْ لا يمسُّوهُ، ولا يقرَبُوهُ، وذَكَرَ ذلك سبحانه عَقيبَ قولِه: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، فأمَرَه أنْ يحترِزَ من شرِّ شياطينِ الإنسِ، بدَفْعِ إساءَتِهم إليه بالتي هي أحسَنُ، وأنْ يدفعَ شرَّ شياطينِ الجنِّ بالاستعاذةِ منهُم.

ونظيرُ هذا: قولُه في سورةِ الأعرافِ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فأمرَه بدَفْعِ شرِّ الجاهِلينَ بالإعراضِ عَنْهُم، ثمَّ أمرَه بدَفْعِ شرِّ الشَّيطانِ بالاستعاذةِ منه؛ فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ونظيرُ ذلكَ: قولُه في سورة فُصِّلَت: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، فهذا لدفعِ شرِّ شياطينِ الإنسِ.

ثمَّ قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]»[1].

وبالجملةِ:

فهذا الذِّكرُ من أجلِّ الأذكارِ، ومن أفضلِ ما تُفتتحُ به الصَّلاةُ، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أفْضَلُ أنْواعِ الاِسْتِفْتاحِ: ما كان ثَناءً مَحْضًا، مثل: «**سُبْحانَك اللهُمَّ**

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٩٦).

وبِحَمْدِك، وتَبارَكَ اسْمُك، وتَعالى جَدُّك، ولا إلَهَ غَيرُك»، وقوله: «**اللهُ أكْبَرُ كَبيرًا، والحَمْدُ للهِ كَثيرًا، وسُبْحانَ اللهِ بُكْرَةً، وأصيلًا**»[١].

وقال ابنُ القيِّم: «إذا قال: «**سُبْحانَك اللهُمَّ وبِحَمْدِك، وتَبارَكَ اسْمُك، وتَعالى جَدُّك، ولا إلَهَ غَيرُك**»، شاهَدَ بقلبِه ربًّا مُنزَّهًا عن كلِّ عيبٍ، سالمًا من كلِّ نقصٍ، محمودًا بكلِّ حَمْدٍ، فحَمدُه يتضمَّنُ وصفَه بكلِّ كمالٍ، وذلك يستلزِمُ براءَتَه من كلِّ نقصٍ.

تبارَكَ اسمُهُ، فلا يُذْكَرُ على قليلٍ إلا كثَّرَه، ولا على خيرٍ إلا أنماهُ، وبارَكَ فيهِ، ولا على آفةٍ إلا أذهَبَها، ولا على شَيطانٍ إلا ردَّه خاسئًا داحِرًا، وكمالُ الاسمِ من كمالِ مسمَّاهُ، فإذا كان هذا شأنَ اسمِه الذي لا يضرُّ معَه شيءٌ في الأرضِ، ولا في السَّماءِ، فشأنُ المسمَّى أعلى، وأجلُّ.

وتعالى جدُّه: أي: ارتفعَتْ عظمتُه، وجلَّت فوقَ كلِّ عظمةٍ، وعلا شأنُه على كلِّ شأنٍ، وقهرَ سلطانُه على كلِّ سلطانٍ، فتعالى جدُّه أنْ يكونَ معَه شريكٌ في مُلْكِه، وربوبيتِه، أو في إلهيتِه، أو في أفعالِه، أو في صفاتِه، كما قال مؤمنو الجنِّ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

فكَمْ في هذِه الكلماتِ من تجلٍّ لحقائقِ الأسماءِ، والصفاتِ، على قلبِ العارفِ بها، غيرِ المعطِّلِ لحقائقِها.

وإذا قال: «**أعوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ**»: فقَدْ آوَى إلى رُكنِه الشديدِ، واعتصَمَ بحولِه وقوَّتِه من عدوِّه، الذي يُريدُ أنْ يقطَعَه عن ربِّه، ويُبعِدَه عن قُرْبِه»[٢].



(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٩٤).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (ص١٤١-١٤٢).



الحديث الثاني:

عَنْ عبدِاللّهِ بنِ عَمْرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ **«كانَ إذا دَخَلَ المَسْجِدَ، قال: أعُوذُ باللّهِ العَظيمِ، وبِوَجْهِهِ الكَريمِ، وسُلْطانِهِ القَديمِ، منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ.**

فَإذا قال ذَلِكَ، قال الشَّيطانُ: حُفِظَ مِنِّي سائِرَ اليَوْمِ»[١].

هذا ممَّا ثبتَ في السُّنةِ منَ الأذكارِ التي تقال عندَ دُخولِ المسجدِ.

وعن أبي حُمَيدٍ، أو عن أبي أُسَيدٍ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا دَخَلَ أحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لي أبْوابَ رَحْمَتِكَ، وإذا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ من فَضْلِكَ**»[٢].

وعن أَنَسِ بنِ مالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دَخَلَ المَسْجِدَ قال: «**بِسْمِ اللهِ، اللهُمَّ صَلِّ على محمدٍ**»، وإذا خَرَجَ قال: «**بِسْمِ اللهِ، اللهُمَّ صَلِّ على محمدٍ**»[٣].

ووردَت الاستعاذةُ منَ الشَّيطانِ عندَ الخُروجِ منَ المسجدِ:

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٧١٣).

(٣) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٨)، وحسنه الألباني بدون ذكْر التسمية، انظر: الضعيفة (٦٩٥٣)، تخريج الكلم الطيب (ص٩١).

فعَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا دَخَلَ أحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ على النبيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ولْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لي أبْوابَ رَحْمَتِكَ.**

وإذا خَرَجَ، فَلْيُسَلِّمْ على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ولْيَقُلْ: اللهُمَّ اعْصِمْني منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ**»(١).

وفي روايةٍ: «**وَإذا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ على النبيِّ، ولْيَقُلِ: اللهُمَّ أجِرْني منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ**»(٢).

ومُناسبةُ هذِه الأذكارِ لدُخولِ المسجدِ، والخروجِ منه:

أنَّه لَمَّا كانَتِ المساجدُ بيوتَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وكان عُمَّارُها زُوَّارَه، وهو سبحانه أكرمُ الأكرمينَ، ناسبَ أنْ يقولَ الدَّاخلُ: «**اللهُمَّ افْتَحْ لي أبْوابَ رَحْمَتِكَ**».

وناسبَ -أيضًا- إذا دخلَ بيتَ اللهِ، وحِصنَه الحصينَ، ومَلاذَه الأمينَ، أنْ يَستعيذَ باللهِ من عدوِّه الذي يترصَّدُه، فهُوَ لا يزالُ في كَنَفِ اللهِ وحِفظِه ما دامَ في بيتِهِ، والملائكةُ تدعُو له وتصلِّي عليه، ولذا يقولُ الشَّيطانُ: «**حُفِظَ مِنِّي سائِرَ اليَوْمِ**» أي: بقيَّتَه، أو جميعَه، أو المرادُ بهِ: مُطلَقُ الوقتِ.

فإذا خرَجَ منَ المسجدِ ناسبَ أنْ يطلبَ منَ اللهِ العِصمةَ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ؛ لأنَّه ينتظرُه خارِجَ المسجدِ؛ ليُصيبَ منه، بعدَ أنْ يَئِسَ أنْ يُصيبَه في بيتِ اللهِ.

كما ناسبَ إذا خرَجَ منه أنْ يسألَ اللهَ من فضلِه، كما قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ** ﴾ [الجمعة: ١٠].

---

(١) رواه ابن ماجه (٧٧٣)، وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤٥٢).

قال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَعَلَّ السِّرَّ في تَخْصيصِ الرَّحْمَةِ بالدُّخولِ، والفَضْلِ بالخُرُوجِ: أنَّ مَنْ دَخَلَ اشْتغلَ بما يُزْلِفُهُ إلى اللهِ، وإلى ثَوابِهِ، وجَنَّتِهُ، فَيُناسِبُ أنْ يَذْكرَ الرَّحْمَةَ، فإذا خَرَجَ انتشرَ في الأرضِ ابْتِغاءَ فضلِ اللهِ منَ الرِّزْقِ الحَلالِ، فَناسَبَ الفَضْلَ»[1].

ولا يزالُ المسلمُ يَستعيذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، ويلجَأُ إلى اللهِ، ويعتصِمُ به من كيدِهِ، ووسوسَتِه، حتى يكونَ إبليسُ أحقرَ شيءٍ لدَيهِ، وأهونَ الخَلْقِ عليه.

فبَيتُ اللهِ هو حِصْنُ المسلمِ، وموضِعُ حِفْظِه، يَستعيذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ كلَّما دخلَه، ويسألُهُ العِصْمةَ منه كلَّما خرَجَ، فيفتحُ اللهُ له أبوابَ رحمتِه بدُخولِه، وأبوابَ فضلِه بخُروجِه، ويتعلَّقُ به قلبُه، فيُظلُّه اللهُ في ظلِّه، كما في الصحيحَين عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ، يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمامُ العادِلُ، وشابٌّ نَشَأ في عِبادَةِ رَبِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَساجِدِ...**»[2].

وقولُه: «أعُوذُ باللهِ العَظيمِ، وبِوَجْهِهِ الكَريمِ»:

فيهِ إثباتُ الوَجْهِ للهِ تعالى، كما هو مُعتقَدُ أهلِ السُّنَّةِ، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

فقَرَنَ في الاستعاذةِ بين استعاذَتِه بالذَّاتِ، وبين استعاذَتِه بالوجهِ الكريمِ، وهذا صريحٌ في إبطالِ قولِ مَنْ قال: إنَّه الذَّاتُ نفسُها، وقولِ مَنْ قال: إنَّهُ مخلوقٌ[3].

---

(١) شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٩٣٥).
(٢) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).
(٣) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤١٣).

وقولُه: **«وَسُلْطانِهِ القَديمِ»**:

أي: غَلَبتُه وقُدرتُه وقَهْرُه، على ما أرادَ من خَلْقِه[١].

و«السُّلطانُ» صفةٌ من صفاتِ اللهِ، فليسَ المقصودُ به الشيءَ المملوكَ المخلوقَ، بل المقصودُ بِهِ: صِفةُ سُلْطِتِه، ومَلكوتِه، وعَظَمتِه، وغَلَبتِه؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ استعاذَ هنا بسُلطانِ اللهِ، ولا يُستعاذُ بمخلوقٍ؛ إنَّما يُستعاذُ باللهِ، وأسمائِه الحُسْنى، وصفاتِه العُلى، كما تقدّم[٢].

و«القديمُ» يعني: الأزليَّ الأبديَّ، وهو صِفةٌ لـ«سُلطانِ اللهِ»، لا صِفةً للهِ؛ فهوَ وصفٌ للصِّفةِ، لا للموصوفِ.

يعني: الذي صفاتُه، وقُدْرَتُه، وغَلَبتُه، وقَهْرُه، ليس لها بدايةٌ، فهوَ متَّصفٌ بذلكَ أزلًا.

قال الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُلْطانه القَديم»، يعني: الأزليَّ، وسلطانُ اللهِ، يعني: تسلُّطَه على ملكوتِه، صفةٌ قائمةٌ بِهِ»[٣].

قال الشَّيخُ ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القديمُ ليس من أسماءِ اللهِ، وليسَ من صفاتِه، لكِنَّ «المقدِّم» من أسماءِ اللهِ، كما في الحديثِ: «**أنتَ المُقدِّمُ، وأنتَ المؤخِّرُ**».

فـ«القديمُ» ليس اسمًا من أسماءِ اللهِ الحُسْنى، ولا صفةً من صفاتِه.

لكنْ يجوزُ إطلاقُه على اللهِ سبحانه تعالى في مقامِ الإخبارِ عنه، لا مقامِ التسميةِ، والوصفِ.

---

(١) مرقاة المفاتيح (٢/ ٦٢٧).

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود، لعبد المحسن العباد (٣/ ٢٥٥)، بترقيم الشاملة.

(3) http://www.alalbany.me/play.php?catsmktba = 16706

أمَّا قولُه: «**وسلطانِكَ القديمِ**»: فهذا وصفٌ للصفةِ، وليسَ وصفًا للموصوفِ، سلطانُهُ القديمُ، أي: القديمُ هو السُّلطانُ»[١].

«منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ»:

تقدَّم أنَّ أكثرَ العلماءِ على أنَّ اشتقاقَ «الشَّيطانِ» من «شَطَنَ»، أي: بَعُدَ؛ لِبُعْدِهِ من الخَيرِ، والرَّحْمَةِ.

ولَمَّا كان الداخلُ إلى المسجدِ متعرِّضًا لرحمةِ اللهِ؛ ناسبَ أنْ يَستعيذَ باللهِ سبحانه ممَّنْ أبعدَهُ اللهُ منه، وأقصاهُ عن رحمَتِه.



(١) لقاء الباب المفتوح (٢٣/٢٠٩) بترقيم الشاملة.



الحديث الثالث:

عَنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دَخَلَ الخَلاءَ قال: **«اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منَ الخُبُثِ، والخَبائِثِ»**[١].

«الخُبُثُ»: جمعُ «الخبيثِ»، و«الخبائِثُ»: جمعُ «الخبيثةِ»، والمرادُ بِهِ: ذُكرانُ الشَّياطينِ، وإناثُهُم[٢].

وقيلَ في معناهُ: الشرُّ، **وقيلَ**: الكُفرُ.

وقيلَ: الخُبْثُ هو الكُفْرُ، والخبائثُ هي الشَّياطينُ.

وقيلَ: الخُبْثُ هو الشَّياطينُ، والخبائثُ هي المعاصي.

وقيلَ: الخُبُثُ في كلامِ العرَبِ: المكرُوهُ، فإنْ كان منَ الكلامِ فهوَ الشَّتْمُ، وإنْ كان منَ المِلَلِ فهوَ الكُفْرُ، وإنْ كان منَ الطَّعامِ، فهوَ الحرامُ، وإنْ كان منَ الشَّرابِ، فهوَ الضارُّ[٣].

وقد كان من هديِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاستعاذةُ منَ الشَّياطينِ إذا أرادَ دُخولَ الخلاءِ؛ لأنَّ الشَّياطينَ يحضُرونَ هذِه المواضِعَ، وهو مقامُ كشفِ العورَةِ، وهيَ مَواضِعُ يُترَكُ

---

(١) رواه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص١٤٠).

(٣) معالم السنن للخطابي (١/ ١٠)، المعلم بفوائد مسلم للمازري (١/ ٣٨٥)، شرح النووي على مسلم (٤/ ٧١).

فيها ذِكْرُ اللهِ المُحَصِّنُ من شياطينِ الإنسِ والجنِّ، وهو حالةُ استيحاشٍ منَ العبدِ؛ لتركِ ذِكْرِ ربِّه إلى حينِ عَودِه، فقدَّمَ لها الاستعاذةَ؛ احترازًا منَ الشَّياطينِ[١].

فعَنْ زَيدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ هذه الحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإذا دَخَلَ أحَدُكُمْ الخَلاءَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إنِّي أعُوذ بكَ منَ الخُبُثِ، والخَبائِثِ**»[٢].

ولِذا، فقَدْ كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خَرَجَ منَ الغائِطِ قال: «**غُفْرانَكَ**»[٣]، قال أَبُوبَكر ابنُ العَربِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَأَلَ المَغْفِرَةَ من تَرْكِهِ ذِكْرَ اللهِ في تِلْكَ الحالَةِ»[٤].

وقال بعضُ العلماءِ: «ولا يبعُدُ أنْ يستعيذَ منَ الكُفْرِ، ومنَ الشَّياطينِ، ومن سائرِ الأخلاقِ الخبيثةِ، والأفعالِ المذمومةِ، وهيَ الخبائثُ، وجاءَ بلفظِ «الخُبُثِ»؛ لمجانسةِ «الخبائثِ».

ولأَنَّه لَمَّا كان الموضعُ خبيثًا في نفسِه؛ استعاذَ من كلِّ ما جاءَ في لفظِه.

وقيلَ: استعاذَ أولًا منَ الشَّياطينِ، وخُبُثِها؛ لتضاحُكِها من عورةِ الإنسانِ عندَ انكشافِها للبرازِ، والبولِ، فإذا ذَكَرَ اللهَ، واستعاذَ به، أُعيذَ، وولَّتِ الشَّياطينُ هاربةً.

ثمَّ استعاذَ منَ الخبائِثِ، وهيَ البولُ، والغائطُ؛ لئلَّا ينالَه منهُما مكروهٌ»[٥].

وفائدةُ هذِه الاستعاذةِ:

الالتجاءُ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ منَ الخُبُثِ، والخبائثِ؛ لأنَّ هذا المكانَ خبيثٌ، والخبيثُ

---

(١) أعلام الحديث للخطابي (١/ ٢٣٧)، الإفصاح لابن هبيرة (٥/ ٢٥٩)، فتح الباري (١/ ٢٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود (٣٠)، وصححه الألباني.

(٤) المسالك في شرح موطأ مالك (٢/ ٣٠١).

(٥) إكمال المعلم للقاضي عياض (٢/ ٢٢٩)، بتصرف.

مأوى الخُبثاءِ، فهوَ مأوى الشَّياطينِ، فصارَ منَ المناسبِ إذا أرادَ دُخولَ الخلاءِ، أنْ يقولَ: «**أعوذُ باللهِ منَ الخُبُثِ، والخبائِثِ**»؛ حتى لا يصيبَه الخُبثُ، وهو الشَّرُّ، ولا الخبائثُ، وهيَ النُّفوسُ الشِّرِّيرةُ.

وقولُه: «كانَ إذا دَخَلَ الخَلأءَ»:

المرادُ: إذا أرادَ أنْ يدخلَ الخلاءَ، وقد جاءَ ذلك في روايةٍ، أوردَها البخاريُّ تعليقًا عَقِبَ روايةِ الحديثِ، فقال: «وَقال سَعيدُ بنُ زَيدٍ: حَدَّثَنا عبدُ العَزيزِ: «**إذا أرادَ أنْ يَدْخُلَ**».

ووصلَها في الأدَبِ المُفردِ؛ فقال: حَدَّثَنا أبو النُّعْمانِ، قال: حَدَّثَنا سَعيدُ بنُ زَيدٍ، قال: حَدَّثَنا عبدُ العَزيزِ بنُ صُهَيبٍ، قال: حَدَّثَني أَنَسٌ، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أرادَ أنْ يَدْخُلَ الخَلاءَ قال: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الخُبْثِ، والخَبائِثِ**»[1].

قال الحافظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أفادَتْ هذه الرِّوايَةُ تَبْيينَ المُرادِ من قولِهِ: «**إذا دَخَلَ الخَلاءَ**» أي: كان يقولُ هذا الذِّكْرَ عِنْدَ إرادَةِ الدُّخُولِ، لا بَعْدَهُ، واللهُ أعْلَمُ.

وهذا في الأمْكِنَةِ المُعَدَّةِ لِذَلِكَ، بِقَرينَةِ الدُّخُولِ؛ ولهذا قال ابن بَطَّالٍ: «رِوايَةُ: «إذا أتَى» أعَمُّ؛ لِشُمُولِها» انْتَهَى.

والكَلامُ هُنا في مَقامَينِ، **أحَدُهُما**: هَلْ يَخْتَصُّ هذا الذِّكْرُ بالأمْكِنَةِ المُعَدَّةِ لِذَلِكَ؛ لِكَوْنِها تَحْضُرُها الشَّياطينُ، كما ورَدَ في حَديثِ زَيدِ بنِ أرْقَمَ في السُّنَنِ، أو يَشْمَلُ حَتَّى لو بالَ في إناءٍ -مَثَلًا- في جانِبِ البَيتِ؟ الأصَحُّ: الثَّاني، ما لم يَشْرَعْ في قَضاءِ الحاجَةِ.

المَقامُ الثَّاني: مَتَى يقولُ ذَلِكَ؟ فَمَنْ يَكْرَهُ ذِكْرَ اللهِ في تِلْكَ الحالَةِ، يُفَصِّلُ:

أمَّا في الأمْكِنَةِ المُعَدَّةِ لِذَلِكَ، فَيقولُهُ قُبَيلَ دُخُولِها.

---

(١) الأدب المفرد (٦٩٢)، وصححه الألباني.

وأمَّا في غَيرِها، فَيقولُهُ في أوَّلِ الشُّرُوعِ، كَتَشْميرِ ثيابِهِ -مَثَلًا- وهذا مَذْهَبُ الجُمْهُورِ.

وقالوا فيمَنْ نَسيَ: يَسْتَعيذُ بِقَلْبِهِ، لا بِلِسانِهِ.

وسَعيدُ بنُ زَيدٍ الذي أتَى بالرِّوايَةِ المُبَيِّنَةِ صَدُوقٌ، تَكَلَّمَ بَعْضُهُمْ في حِفْظِهِ، ولَيسَ له في البُخاريِّ غَيرُ هذا المَوْضِعِ المُعَلَّقِ، لكنْ لم يَنْفَرِدْ بِهذا اللَّفْظِ، فَقَدْ رَواهُ مُسَدَّدٌ عن عبدِ الوارِثِ عن عبدِ العَزيزِ مثلَهُ، وأَخْرَجَهُ البَيهَقيُّ من طَريقه[1]، وهو على شَرط البُخاريّ»[2].



(١) سنن البيهقي (٤٥٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٤٤).

الحديث الرابع:

عَنْ عبدِ اللّهِ بنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ، والحُسَينَ، ويقول: «**إنَّ أباكُما كان يُعَوِّذُ بِها إسْماعيلَ، وإسْحاقَ: أعُوذُ بِكَلِماتِ اللّهِ التَّامَّةِ، من كُلِّ شَيطانٍ، وهامَّةٍ، ومن كُلِّ عَينٍ لامَّةٍ**»(١).

كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْقي ويُعَوِّذُ سِبْطَيه: الحسنَ والحُسَينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما كان الخليلُ إبراهيمُ يُعَوِّذُ إسماعيلَ وإسحاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فكان يعوِّذُهما بكلماتِ اللهِ التامَّةِ، وكلماتُ اللهِ من صفاتِه، والمسلمُ يستعيذُ باللهِ، وأسمائِه، وصفاتِه.

و«**كلماتِ اللّهِ**»: قيلَ: هي كلامُ اللهِ مطلقًا.

وقيلَ: هي القرآنُ، ولذا كان الإمامُ أحمدُ يَستدلُّ بهذا الحديثِ على أنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ، ويقول: «إنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَستعيذُ بمَخلوقٍ».

وقيلَ: هي أسماؤُه، وصفاتُه.

وقيلَ: هي أقضيتُه، وعذابُه، يتضمَّنها كلامُه، كقولِه تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧١).

وقيلَ: هي التي كَوَّنَ بِها الكائِناتِ.

«التامَّةِ»:

قيلَ: التامُّ فَضْلُها، وبركتُها؛ لأنَّها تمضي، وتستمرُّ، لا يَرُدُّها شيءٌ.

وقيلَ: هي الكاملَةُ، فلا يدخلُها نقصٌ، ولا عيبٌ، كما يدخلُ كلامَ الناسِ.

وقيلَ: هي النافعةُ، الكافيةُ، الشافيةُ، المُبارَكةُ، فهيَ تنفعُ المتعوِّذَ بها، وتحفظُه منَ الآفاتِ، وتكفيه(١).

وقال ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلماتُ اللهِ التامَّاتُ هيَ: التي اشتملَتْ على العدلِ، والصدقِ، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

والكلماتُ -هُنا- تحتمِلُ أنَّها الكلماتُ الكوْنيةُ، والقدَريةُ، والكلماتُ الشرعيةُ؛ فإنَّ الإنسانَ يَستعيذُ بكلماتِ اللهِ الشرعيةِ، بالقرآنِ مَثَلًا، كالتعوُّذِ بسورةِ الفلَقِ، وسورةِ الناسِ، ويتعوَّذُ بالآياتِ الكونيةِ، وهيَ: أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يحميهِ بكلماتِه الكونيةِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيم»(٢).

وقولُ اللهِ للشيءِ إذا أرادَهُ: «كُنْ» غيرُ مخلوقٍ؛ لأنَّ هذا من كلامِ اللهِ، وكلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ.

ومنَ الأخطاءِ التي يقعُ فيها بعضُ الناسِ: قولُهُم: «يا مَنْ أمرُهُ بين الكافِ والنُّونِ»، والصَّوابُ: أنَّ أمرَه بعدَ قولِه تعالى: «كُنْ»، أي: بعدَ الكافِ والنُّونِ، فإذا قال اللهُ تعالى للشيءِ: «كُنْ» كانَ.

---

(١) معالم السنن (٤/ ٣٣٢)، كشف المشكل (٢/ ٤١٤)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩/ ٤٠٦)، فتح الباري (٦/ ٤١٠)، تحفة الأحوذي (٦/ ١٨٤).

(٢) لقاء الباب المفتوح (٨/ ١٤) بترقيم الشاملة.

قال الشَّيخُ ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتهرَ بين العوامِّ أنَّهم يقولون: «يا مَنْ أمرُهُ بين الكافِ والنونِ»، وهذا خطأٌ، ليس أمرُ اللهِ بين الكافِ، والنُّونِ، بل بعدَ الكافِ والنونِ؛ لأنَّ اللهَ قال: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

فقولُهم: «بينَ الكافِ والنُّونِ» خطأٌ، يعني: ما تمَّ الأمرُ بين الكافِ والنُّونِ، لا يتمُّ الأمرُ إلا بالكافِ والنونِ، لكنَّه بعدَ الكافِ والنُّونِ فورًا، كلمحٍ بالبَصرِ»[١].

وقد كان منَ المعروفِ عندَ مُشرِكي العرَبِ، وغيرِهم منَ المُشْرِكينَ التعوُّذُ بالطَّلاسمِ الشِّرْكيَّةِ، وأسماءِ الشَّياطينِ، فقُوبلَ ذلك بتعوُّذِ المُوَحِّدينَ بكلماتِ اللهِ الدالَّةِ على توحيدِهِ، والاستغاثةِ به من شرِّ الشَّياطينِ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكُتُبُ السِّحْرِ مملوءةٌ منَ الأقسامِ والعزائمِ على الجنِّ بساداتِهم الذينَ يُعَظِّمونَهُم؛ ولذلكَ كانَتِ الإنسُ تَستعيذُ بالجنِّ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، كانُوا إذا نزلَ الرَّجُلُ منهُم بوادٍ يقولُ: «أعوذُ بعظيمِ هذا الوادي من سُفهائِه»، فأنزلَ اللهُ هذِه الآيةَ»[٢].

وقولُه «من كُلِّ شَيطانٍ» يدخُلُ تحتَه: شياطينُ الإنسِ، والجِنِّ.

«وهامَّةٍ»: وهيَ كلُّ ذي نَفسٍ.

وقيلَ: الهامَّةُ هيَ: ذواتُ السُّمومِ، وقيلَ: حشراتُ الأرضِ.

وقيلَ: هي الحيَّاتُ، وكلُّ ذي سُمٍّ يقتُلُ، والجمعُ: الهَوامُّ، فأمَّا ما لا يقتُلُ ويَسُمُّ: فهيَ السَّامَّةُ، والجمعُ: السوامُّ، مثلُ: العقرَبِ، والزُّنبورِ.

---

(١) الباب المفتوح (١٨٦/ ١٠)، بترقيم الشاملة.

(٢) الصفدية (١/ ١٦٩).

وقيلَ: الهامَّةُ: كلُّ نَسَمةٍ تَهمُّ بسُوءٍ[١].

وقولُه «وَمن كُلِّ عَينٍ لامَّةٍ»:

قيلَ: المُرادُ به: كُلُّ داءٍ، وآفَةٍ، تُلِمُّ بالإنْسانِ، من جُنُونٍ، وخَبَلٍ.

وقيلَ: كلُّ عينٍ تُصيبُ الإنسانَ بسُوءٍ، إذا حلَّتْ، وألَمَّتْ به، يُقال: ألْمتُ بالشيءِ: نزلتُ به.

وقيلَ: جامِعَةٍ لِلشَّرِّ على المَعْيُونِ، من لَمَّهُ إذا جَمَعَهُ.

وقيلَ: مُلِمَّةٍ، أي: مُنْزِلَة.

وقيلَ: هي الآتيةُ في الوقتِ، بعدَ الوقتِ[٢].

وأعاذَهُما النبيُّ ﷺ منَ العَينِ؛ لأنَّها من أخطَرِ الشُّرورِ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: **«العَينُ حَقٌّ، ولو كان شيءٌ سابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَينُ»**[٣].

قال النوويُّ رحمه الله: «الأشْياءُ كُلُّها بِقَدَرِ اللهِ تَعالى، ولا تَقَعُ إلا على حَسَبِ ما قدَّرَها اللهُ تعالى، وسبقَ بها علمُهُ، فلا يقعُ ضررُ العينِ، ولا غيرُه، منَ الخيرِ، والشرِّ، إلا بقدَرِ اللهِ تَعالى.

وفيهِ صِحَّةُ أمْرِ العَينِ، وأنَّها قَويَّةُ الضَّرَرِ»[٤].

وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«العَينُ تُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، والجَمَلَ القِدْرَ[٥]»**[٦].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٩/ ٤٠٦)، تحفة الأحوذي (٦/ ١٨٤).

(٢) التوضيح (١٩/ ٤٠٧)، فتح الباري (٦/ ٤١٠)، مرقاة المفاتيح (٣/ ١١٢٧).

(٣) رواه مسلم (٢١٨٨).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٤).

(٥) أي: إذا أصابته مات، أو أشرف على الموْت، فذبح، وطبخ.

(٦) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤١٤٤).

وقال الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَرَى الحَدِيثُ -يَعني: حَديثَ مُسلمٍ المُتقدِّم- مَجْرَى المُبالَغَةِ فِي إِثْباتِ العَينِ، لا أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَرُدَّ القَدَرَ شيءٌ؛ إذِ القَدَرُ عِبارَةٌ عن سابِقِ عِلْمِ اللهِ، وهو لا رادَّ لِأَمْرِهِ، أشارَ إلى ذلك القُرْطُبِيُّ، وحاصِلُهُ: لو فُرِضَ أنَّ شَيئًا له قُوَّةٌ، بِحَيثُ يَسْبِقُ القَدَرَ، لَكانَ العَينَ، لكنَّها لا تُسْبَقُ، فَكَيفَ غَيرُها؟»[١].

ولِذا قال ﷺ: «**إذا رَأى أحَدُكُمْ من أخيهِ، أو من نَفْسِهِ، أو من مالِهِ، ما يُعْجِبُهُ، فَلْيُبَرِّكْهُ**[٢]**؛ فَإنَّ العَينَ حَقٌّ**»[٣].

وقولُه: «أو من نَفْسِهِ»: فيه إشارةٌ إلى أنَّ الإنسانَ قد يُصيبُ نفسَه بالعَينِ، وهذا واقعٌ.

قال الفَضْلُ بنُ المُهَلَّبِ: «بَعَثَ إِلَيَّ سُلَيمانُ بنُ عبدِ المَلِكِ في يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَقال: هَلْ لك في الجُمُعَةِ؟ قُلْتُ: ذاكَ إلَيكَ يا أميرَ المُؤْمِنينَ، قال: فَدَعا بِثِيابٍ صُفْرٍ فَلَبِسَها، ثُمَّ دَعا بالمِرْآةِ فَنَظَرَ، ثُمَّ نَزَعَها، ثُمَّ دَعا بِثِيابٍ خُضْرٍ فَلَبِسَها، ثُمَّ دَعا بالمِرْآةِ فَنَظَرَ، ثُمَّ قال: «أنا المَلِكُ الشَّابُّ، أنا المَلِكُ الشَّابُّ»، ثُمَّ انْطَلَقَ، وانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَصَعِدَ المنبَرَ، فَبينَما هو يَخْطُبُ، إذْ عَرَضَتْ له سَعْلَةٌ، فَنَزَلَ عن المنبَرِ وهو مَحْمُومٌ، فَما جاءَتِ الجُمُعَةُ الأُخْرَى حَتَّى دُفِنَ»[٤].

وفي روايةٍ: عن يَحْيَى بنِ يَحْيَى قال: جَلَسَ سُلَيمانُ بنُ عبدِ المَلِكِ في بَيتٍ أَخْضَرَ على وطاءٍ، عليه ثيابٌ خُضْرٌ، ثُمَّ نَظَرَ إلى وجْهِهِ في المِرْآةِ، فَأَعْجَبَهُ شَبابُهُ وجَمالُهُ؛ فَقال: «كانَ محمدٌ ﷺ نَبيًّا، وكان أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صِدِّيقًا، وكان عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فارُوقًا، وكان عُثْمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيِيًّا، وكان مُعاويَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَليمًا، وكان يَزيدُ صَبُورًا،

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٠٣).

(٢) أي: فليدْعُ له بالبركة.

(٣) رواه الإمام أحمد (١٥٧٠٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٧٢).

(٤) مساوئ الأخلاق للخرائطي (٥٥٦).

وكان عبدُ المَلِكِ سائِسًا، وكان الوَليد جَبَّارًا، وأنا المَلِكُ الشَّابُّ»، فَما دارَ عليه الشَّهْرُ حَتَّى هَلَكَ»[(١)].

وقد صحَّ أنَّ بعضَ الهوامِّ تُصيبُ بعينِها الإنسانَ إصابةً من نوعٍ خاصٍّ؛ فعَنِ ابْنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **أَنَّهُ** سَمِعَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَخْطُبُ** على المنبرِ يقولُ: «**اقْتُلُوا الحَيَّاتِ، واقْتُلُوا ذا الطُّفْيَتَيْنِ، والأَبْتَرَ**[(٢)]؛ **فَإِنَّهُما يَسْتَسْقِطانِ الحَبَلَ، ويَلْتَمِسانِ البَصَرَ**»[(٣)].

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**يَسْتَسْقِطانِ الحَبَلَ**» مَعْناهُ: أنَّ المَرْأَةَ الحامِلَ إذا نَظَرَتْ إليهما، وخافَتْ، أَسْقَطَتِ الحَمْلَ غالِبًا، وقد ذَكَرَ مُسْلِمٌ في رِوايَتِهِ عن الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قال: «وَنُرَى ذلك من سُمَّيهِما، واللهُ أَعْلَمُ»[(٤)].

وأمَّا «**يَلْتَمِسانِ البَصَرَ**»: فَفيهِ تَأْويلانِ، ذَكَرَهُما الخَطَّابِيُّ، وآخَرُونَ:

أَحَدُهُما: مَعْناهُ: يَخْطِفانِ البَصَرَ، ويَطْمِسانِهِ، بِمُجَرَّدِ نَظَرِهِما إليه؛ لِخاصَّةٍ جَعَلَها اللهُ تعالى في بَصَرَيهِما، إذا وقَعَ على بَصَرِ الإنْسانِ، ويُؤَيِّدُ هذا الرِّوايَةُ الأُخْرَى في مُسْلِمٍ: «يَخْطِفانِ البَصَرَ»، والرِّوايَةُ الأُخْرَى: «يَلْتَمِعانِ البَصَرَ».

والثَّاني: أَنَّهُما يَقْصِدانِ البَصَرَ باللَّسْعِ، والنَّهْشِ، والأَوَّلُ أَصَحُّ، وأَشْهَرُ»[(٥)].

وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَإِنَّما يَطْمِسانِ البَصَرَ**»، أي: يُعْميانِ البَصَرَ بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إليهما؛ لِخاصِّيَّةِ السَّمِّيَّةِ في بَصَرِهِما.

---

(١) أخبار وحكايات، للغساني (ص٢٢)، البداية والنهاية (٩/ ٢٠٤).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذا الطفْيتين»: قال العلماء: هما الخطان الأبْيضان على ظهْر الحية، وأصْل الطفْية خوصة المقْل، وجمْعها طفى، شبه الخطين على ظهْرها بخوصتى المقل، وأما الأبتر: فهو قصير الذنب». شرح مسلم (١٤/ ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري (٣٢٩٧)، ومسلم (٢٢٣٣).

(٤) صحيح مسلم (٢٢٣٣).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٣٠).

«**وَيَسْتَسْقِطانِ**»: من بابِ الاِسْتِفْعالِ للمُبالَغَةِ أي: ويُسْقِطانِ.

«**الحَبَلَ**»، أي: الجَنينَ عِنْدَ النَّظَرِ إليهما، بالخاصَّةِ السَّمِّيَّةِ، أو منَ الخَوْفِ النَّاشِئِ منهُما لِبَعْضِ الأشْخاصِ.

قال القاضي، وغَيرُهُ: «جَعَلَ ما يَفْعَلانِ بالخاصَّةِ، كالَّذي يُفْعَلُ بِقَصْدٍ، وطَلَبٍ، وفي خَواصِّ الحَيَوانِ عَجائِبُ لا تُنْكَرُ، وقد ذُكِرَ في خَواصِّ الأفْعَى: أنَّ الحَبَلَ يَسْقُطُ عِنْدَ مُوافَقَةِ النَّظَرَينِ، وفي خَواصِّ بَعْضِ الحَيَّاتِ: أنَّ رُؤْيَتَها تُعْمي، ومنَ الحَيَّاتِ نَوْعٌ يُسَمَّى النَّاظُورَ، مَتَى وقَعَ نَظَرُهُ على إنْسانٍ ماتَ من ساعَتِهِ، ونَوْعٌ آخَرُ إذا سَمِعَ الإنْسانُ صَوْتَهُ ماتَ»[(١)].

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العَينُ عَينانِ: عَينٌ إنْسيَّةٌ، وعَينٌ جِنيَّةٌ، فَقَدْ صَحَّ عن أمِّ سلمَةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ رَأى في بَيتِها جاريَةً في وجْهِها سَفْعَةٌ، فَقال: «**اسْتَرْقُوا لَها، فَإنَّ بِها النَّظْرَةَ**»[(٢)].

قال الحُسينُ بنُ مسعودٍ الفرَّاءُ: «وَقولُهُ: «سَفْعَةٌ» أي: نَظْرَةٌ، يَعْني: منَ الجِنِّ، يقولُ: بِها عَينٌ أصابَتْها من نَظَرِ الجِنِّ، أنْفَذُ من أسِنَّةِ الرِّماحِ»[(٣)].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في حديثِ الترجمَةِ**: «فرَّقَ النبيُّ ﷺ بين الشَّيطانِ، وبين الهوامِّ، وبين أعيُنِ الإنسِ، ويدلُّ ذلك على وجودِ الضَّررِ في هذِه الجهاتِ الثلاثِ: الإنسِ، والجنِّ، والهوامِّ»[(٤)].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٦٦٨).

(٢) رواه البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٢١٩٧).

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٥١).

(٤) الصفدية (١/ ١٦٩).

وتَجتمِعُ هذِه الشرورُ الثلاثةُ: «الشَّياطينُ، والهوامُّ، والعينُ» في ثلاثةِ أمورٍ: شِدَّةِ الخُطُورةِ، وشِدَّةِ الخُبْثِ، وشِدَّةِ الخفاءِ.

وفي هذا الحديثِ منَ الفوائِدِ:

* كلماتُ اللهِ التامَّةُ هي كلماتُه الشرعيةُ، وكلماتُه الكونيةُ، والقدَريةُ.

* العنايةُ بالأطفالِ، بدوامِ رقيَتِهِم، وتعويذِهِم باللهِ العظيمِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، ومن كلِّ سُوءٍ، وضرٍّ.

* تعليمُهُم التوحيدَ، والاستعانةَ باللهِ، وعدمَ الاستعانةِ أو الاستعاذةِ بغيرِهِ.

* الاقتداءُ بأهلِ العلمِ، والإيمانِ، والصَّلاحِ.

* بيانُ خطورةِ العينِ، والحثُّ على الاسترقاءِ منها.

* الاستعاذةُ باللهِ من كلِّ عينٍ تُصيبُ الإنسانَ بالسُّوءِ، سَواء كانَتْ من أعيُنِ الجنِّ، أو الإنسِ.



الحديث الخامس:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقولُ: **«اللهُمَّ لك أسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعليكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيكَ أنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إلَهَ إلا أنْتَ أنْ تُضِلَّني، أنْتَ الحَيُّ الذي لا يَمُوتُ، والجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ»**[١].

هذا الدُّعاءُ جَمَعَ معاني التوحيدِ، والتوكُّلِ، والانقيادِ، والتَّصديقِ، والإنابةِ للهِ تعالى، والاستعاذةِ به منَ الضَّلالِ بعدَ الهُدَى.

قولُه: **«اللهمَّ لك أسلَمْتُ»** أي: اسْتَسْلَمتُ، وانقدتُ لحُكْمِكَ، وأمرِكَ، ونهيِكَ، وسلَّمتُ، ورَضيتُ.

وقولُه: **«وبكَ آمَنْتُ»** يعنِي: صدَّقتُ بكَ، وبما أنزلْتَ، وبكلِّ ما أخبرتَ، وأمرتَ، ونهيتَ، وعملتُ بمقتضَى ذلكَ.

وقولُه: **«وعليكَ توكَّلتُ»**: تبرَّأَ إليه منَ الحَوْلِ والقوَّةِ، وصَرَفَ أمورَه إليه، وأيقنَ أنَّه لن يُصيبَه إلا ما كُتِبَ لَه، وفوَّضَ أمرَه إلى اللهِ؛ فاللهُ تعالى كافي مَنْ توكَّلَ عليه.

وقولُه: **«وإليكَ أنَبْتُ»** أي: أطعْتُ أمرَك، ورَجعتُ بِهمَّتي إلى طاعتِك،

---

(١) رواه البخاري مختصرا (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧)، بتمامه.

وعبادتِك، أي: أقبلتُ إليها، وانصرفتُ عن الالتفاتِ إلى غيرِكَ، وعن مُخالَفَتِك، و«المُنيبُ»: الراجِعُ، والمُقْبِلُ بقَلْبِه إلى اللهِ.

وقيلَ: أي: رجعتُ إليكَ في تدبيري، أي: فوَّضتُ أمري إليكَ.

وقولُه: «وبكَ خاصَمْتُ» يعني: حاجَجتُ، واحتَجَجتُ بما آتيتَني منَ البراهينِ، والقوَّةِ، وخاصَمْتُ مَن عاندَ فيكَ، وكفرَ بكَ، وقَمعْتُه بالحُجَّةِ، وبالسَّيفِ.

وقيلَ: بتأييدِكَ ونُصْرَتِكَ قاتَلْتُ، أو بوحيِكَ ناظرتُ خَصْمي[1].

ومنَ اللَّطائفِ في ترتيبِ هذِه الأدعيَةِ:

أنَّ الإسلامَ درجةٌ أُولى، والإيمانَ مقامٌ وراءَ ذلكَ؛ فبدأ بالإسلامِ، ثمَّ الإيمانِ: «**لَكَ أَسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ**».

فلمَّا بدأ بالإسلامِ، ثمَّ ثنَّى بالإيمانِ، لم يبقَ حينئذٍ إلا تبيُّنُ ثمرةِ الإيمانِ، وهو التوكُّلُ على اللهِ، فقال: «**وَعليكَ تَوَكَّلْتُ**».

والتوكُّلُ يقتضي الإنابةَ إلى اللهِ تعالى، فقال: «**وإليك أَنَبْتُ**».

ثمَّ لَمَّا استقرَّ ذلك كلُّه، جاءَ بالحُبِّ في اللهِ، والبُغْضِ في اللهِ، فقال: «**وبكَ خاصَمْتُ**»، وهذا أبلغُ من قولِه: «**وفيك خاصَمْتُ**»؛ لأنَّ ذلك يتضمَّنُ نوعَ تزكيةٍ للنَّفسِ، وقولُه «**وبكَ خاصَمْتُ**» يتضمَّنُ صِدْقَ التوكُّلِ.

والمعنى: أنتَ مُستَنَدي، وتفويضُ الانتصارِ إلى اللهِ تعالى، وأنَّه خاصمَ في اللهِ، بدليلِ أنَّه لا ينتصِرُ باللهِ إلا فيما يُخاصِمُ به فيهِ[2].

---

(١) ينظر: شرح ابن بطال على البخاري (٣/ ١٠٩)، إكمال المعلم (٨/ ٢١٥)، شرح النووي على مسلم (٦/ ٥٥، ١٧/ ٣٩)، شرح المشكاة للطيبي (٤/ ١١٩٥)، التوضيح (٩/ ٢٠).

(٢) الإفصاح، لابن هبيرة (٣/ ٨٤).

ثمَّ استعاذَ النبيُّ ﷺ بعزَّةِ اللهِ تعالى منَ الضَّلالِ بعدَ الهُدَى، فقال: «اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إلَهَ إلا أنْتَ أنْ تُضِلَّني»:

فاللهُ تعالى هو العزيزُ، ومن صفاتِه: العِزَّةُ، وهيَ الشِدَّةُ، والقوَّةُ، والقَهْرُ، والغَلَبةُ، والمَنَعَةُ، والعُلُوُّ، والرِّفْعَةُ، والجلالةُ، والعظمةُ؛ فلا يمتنِعُ عليه شيءٌ، وهو الذي عزَّ كلَّ شيءٍ فقهرَه، وغلبَه؛ فلا يُمانَعُ، ولا يُغالَب، قال تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

فـ«لَهُ العِزّةُ كُلُّها: عِزَّةُ القوةِ، وعِزَّةُ الغَلَبةِ، وعِزَّةُ الامتناعِ، فامتنعَ أنْ ينالَه أحدٌ منَ المخلوقاتِ، وقهرَ جميعَ الموجوداتِ، ودانَت له الخليقةُ، وخضعَتْ لعظمَتِه»[1].

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العِزَّةُ يُرادُ بها ثَلاثَةُ مَعانٍ: عِزَّةُ القُوَّةِ، وعِزَّةُ الِامْتِناعِ، وعِزَّةُ القَهْرِ، والرَّبُّ تبارك وتعالى له العِزَّةُ التَّامَّةُ بالِاعْتِباراتِ الثَّلاثِ، ويُقال منَ الأوَّلِ: عَزَّ يَعَزُّ بِفَتْحِ العَينِ في المُسْتَقْبَلِ، ومنَ الثَّاني: عَزَّ يَعِزُّ بِكَسْرِها، ومنَ الثَّالِثِ: عَزَّ يَعُزُّ بِضَمِّها، أعْطَوْا أقْوَى الحَرَكاتِ لِأقْوَى المَعاني، وأخَفَّها لِأخَفِّها، وأوْسَطَها لِأوْسَطِها.

وهذه العِزَّةُ مُسْتَلْزِمَةٌ للوَحْدانيَّةِ؛ إذِ الشَّرِكَةُ تُنْقِصُ العِزَّةَ، ومُسْتَلْزِمَةٌ لِصِفاتِ الكَمالِ؛ لأنَّ الشَّرِكَةَ تُنافي كَمالَ العِزَّةِ، ومُسْتَلْزِمَةٌ لِنَفْيِ أضْدادِها، ومُسْتَلْزِمَةٌ لِنَفْيِ مُماثَلَةِ غَيرِهِ له في شيءٍ منها»[2].

وسِرُّ الاستعاذةِ بعزَّةِ الله تعالى هنا منَ الضَّلالِ: أنَّ اللهَ تعالى بعِزَّتِه يُضِلُّ مَنْ يشاءُ، ويهدي مَنْ يشاءُ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ

(١) تفسير السعدي (ص٩٤٦).
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢٤١).

لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ﴾ [الزمر: ٣٧].

وهو سبحانه -لكمالِ عِزَّتِه، وغناهُ- لا تنفعُه طاعةُ الطائعينَ، ولا تضرُّه معصيةُ العاصينَ، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الزمر: ٤١].

فمَنِ استعاذَ بعِزَّةِ اللهِ، وتوسَّلَ إليه بعِزَّتِه، وتوحيدِه؛ هداهُ ونجَّاهُ منَ الضلالَةِ.

ولِذا «لَّما عَلِمَ عدوُّ اللهِ أنَّ اللهَ تعالى لا يُسَلِّطُه على أهلِ التوحيدِ، والإخلاصِ، قالَ -كما أخْبَرَ اللهُ عنْهُ-: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

فعَلِمَ عدوُّ اللهِ أنَّ مَنِ اعتصَمَ باللهِ عَزَّوَجَلَّ، وأخلصَ لَه، وتوكَّلَ عليهِ؛ لا يقدِرُ على إغوائِه، وإضلالِه.

وإنَّما يكونُ له السُّلْطانُ على مَن تولَّاهُ، وأشركَ معَ اللهِ، فهؤلاءِ رعيَّتُه، وهو وليُّهم، وسُلطانُهم، ومَتبوعُهم»[(١)].

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠].

ولَمَّا كانَتْ كفايةُ العبدِ المؤمنِ باللهِ، علِمَ أنَّه لا يقدِرُ على ضرِّه أحدٌ من دونِ اللهِ، وأنَّ اللهَ تعالى كافيهِ بعزَّتِه، فيمنعُ عنه السُّوءَ، وينتقِمُ له منَ الذينَ يبغونَ به الأذَى، والضّرَّ، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٩٩).

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٧].

قال ابنُ عاشورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الِاسْتِفْهامُ تَقْريريٌّ؛ لأنَّ العِلْمَ بِعِزَّةِ اللهِ مُتَقَرِّرٌ في النُّفُوسِ؛ لِاعْتِرافِ الكُلِّ بِإلَهِيَّتِهِ، والإلَهِيَّةُ تَقْتَضِي العِزَّةَ؛ ولأنَّ العِلْمَ بِأنَّهُ مُنْتَقِمٌ مُتَقَرِّرٌ من مُشاهَدَةِ آثارِ أخْذِهِ لِبَعْضِ الأُمَمِ، مثل: عادٍ، وثَمُودَ.

فَإذا كانُوا يُقِرُّونَ للهِ بالوَصْفَينِ المَذْكُورَينِ، فَما عَلَيهِمْ إلا أنْ يَعْلَمُوا أنَّهُ كافٍ عبدَهُ بِعزَّتِهِ، فَلا يَقْدِرُ أحَدٌ على إصابَةِ عبدِهِ بِسُوءٍ، وبِانْتِقامِهِ منَ الَّذينَ يَبْتَغُونَ لِعبدِهِ الأذَى»[1].

وقد قرَنَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الاستعاذةِ بعِزَّةِ اللهِ، وكلمةِ التوحيدِ؛ مُبالغةً في تحقيقِ العبوديَّةِ، وتوحيدِ الألوهيَّةِ، وتأكيدِ العزةِ، وطمعًا في الاستجابةِ.

قال الطيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُه: «أنْ تضلَّني» متعلِّقٌ بـ«أعوذُ»، أي: من أنْ تضلَّني، وكلمةُ التوحيدِ مُعترضةٌ لتأكيدِ العزَّةِ»[2].

ويَدخلُ في الاستعاذةِ منَ الضَّلالِ أيضًا: الاستعاذةُ من أسبابِ الضَّلالِ، قال الصنعانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الضَّلالُ: ضدُّ الاهتداءِ، استعاذةٌ من أسبابِ الإضلالِ، من قسوةِ القلبِ بالمعاصي، فتعسرُ الطَّاعةُ عليه، وتسهُلُ عليه المعصيةُ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]»[3].

ثمَّ قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أنْتَ الحَيُّ الذي لا يَمُوتُ، والجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ»:**

---

(١) التحرير والتنوير (٢٤/ ١٥).

(٢) شرح المشكاة (٦/ ١٩١٤).

(٣) التنوير (٣/ ١٤٢).

«ففيهِ تنبيهٌ على سببِ التوكُّلِ عليه، وردِّ الأمرِ إليه دونَ غيرِه، وهو أنَّ غيرَه يموتُ، ويضمحلُّ شأنُه، ويفوتُ.

والتوكُّلُ إنَّما هو على الحيِّ الذي لا يموتُ، فمَنِ اعتزَّ بغيرِ اللهِ ذلَّ، ومَنِ اهتدَى بغيرِ هدايتِه ضلَّ، ومَنِ اعتصمَ باللهِ تعالى وتوكَّلَ عليه عزَّ»[1].

ففي هذا الدُّعاءِ المبارَكِ جمعَ النبيُّ ﷺ بين توسُّلَين إلى اللهِ تعالى:

التوسُّلُ بالعملِ الصالحِ، بقولِه: «**اللهُمَّ لك أسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعليكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيكَ أَنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ**».

والتوسُّلُ بأسمائِه الحُسنَى وصفاتِه العُلى، بقولِه: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إلَهَ إلا أَنْتَ أنْ تُضِلَّني، أَنْتَ الحَيُّ الذي لا يَمُوتُ، والجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ**».

فتقديمُ هذِه التوسُّلاتِ منَ الأعمالِ الصَّالحاتِ، وإثباتِ الوحدانيَّةِ لربِّ الأرضِ، والسَّماواتِ، والتوسُّلُ بكمالِ الصِّفاتِ، يدلُّ على أهميَّةِ هذا المطلبِ، وهو الاستعاذةُ منَ الضَّلالةِ؛ فإنَّها تُورِدُ المواردَ المُهْلِكةَ، وتُضيّعُ الدِّينَ، والدُّنيا، والآخرةَ، وفي العصمةِ منها النجاةُ من كلِّ مرهوبٍ، وحصولُ كلِّ مرغوبٍ.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال سبحانَه: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

فدلَّ على أنَّ الهدايةَ، والضلالَ، بيدِ اللهِ سبحانه وحدَه.

فينبغي للعبدِ أنْ يسألَ اللهَ تعالى دائمًا أنْ يَعْصِمَه منَ الضلالةِ، ويهديَه صراطَه المستقيمَ.



(١) دليل الفالحين (٢/ ٢٧١).

الحديث السادس:

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من جارِ السَّوءِ في دارِ المُقامَةِ، فإنَّ جارَ الباديَةِ يَتحَوَّلُ»**[(١)].

وفي روايةٍ: **«تَعَوَّذُوا باللّهِ من شَرِّ جارِ المقامِ، فَإنَّ جارَ المُسافِرِ إذا شاءَ أنْ يُزايِلَ زايَلَ»**[(٢)].

المُقامُ والمُقامَةُ: المَوْضِعُ الذي تُقيم فيهِ[(٣)].

فاستعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمرَ بالاستعاذةِ، من شرِّ جارِ السَّوءِ، المُلازِمِ لجارِه في دارِ إقامَتِه، وهو مَنْ جمعَ الصِّفاتِ الدَّنيئةَ، والأخلاقَ الرَّذيلةَ، وشرُّه الشرُّ الدَّائِمُ، وضررُه الضَّرَرُ الملازِمُ.

وقولُه: «فَإنَّ جارَ الباديَةِ يَتَحَوَّلُ»:

وفي الروايةِ الثانيةِ: «**فَإنَّ جارَ المُسافِرِ إذا شاءَ أنْ يُزايِلَ زايَلَ**»[(٤)].

قال الخطَّابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعنى -واللهُ أعْلَمُ- أن حُكْمَ الشَيءِ الخاصِّ النَّادِرِ خِلافُ حُكْمِ الشيءِ العامِّ الدَّائِمِ، واليَسير منَ الأذَى والمَشَقَّةِ مُحْتَمَلٌ، فَلَمْ يَسْتَعِذْ باللهِ منه؛

(١) رواه ابن حبان (١٠٣٣)، والحاكم (١٩٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٠).

(٢) رواه أحمد (٨٥٥٣)، وحسنه محققو المسند.

(٣) لسان العرب (١٢/ ٤٩٨).

(٤) أي: إذا أراد أن يفارق جاره فارقه. التيسير (١/ ١٤٧).

لأنَّ في احْتِمالِهِ والصَّبْرِ عليه، أجْرًا ومَثُوْبَةً، وقد أُمِرْنا بالصَّبْرِ، والرِّضَى في المَكْرُوْه، ما احْتَمَلَهُ الإنْسانُ، واسْتَقَلَّ به، فَأما الكَثيرُ الدَّائِمُ منه: فَغيرُ مُحْتَمَلٍ ولا مُسْتَطاعٍ، وإذا ابْتُلِيَ به الإنْسانُ افْتُتِنَ في دينِهِ، وخيفَ عليه الوُقُوعُ في المأثَمِ، فاسْتَعاذَ باللهِ منه، وفَزِعَ إليه في صَرْفِهِ عنه.

وجِوارُ البَوادي جِوارُ نُجْعَةٍ، ومُقامُهُمْ فيها مُقامُ قُلْعَةٍ؛ لأنهُم إنَّما يبْتَغُونَ مَواقِعَ الغَيثِ، فَإذا نَفِدَتْ تِلْكَ المياهُ انْتَقَلُوا، وتبايَنَتْ بهِمُ المَحالُّ، وجِوارُ المَقامِ في البُلْدان جِوارٌ يَتَّصِلُ مَدَى العُمرِ، ويَدُوْمُ ولا يَنْقَطِعُ، ويُقال: هذه دارُ مُقامٍ، ودارُ مُقامَةٍ»[1].

وقال المناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَإنَّ جارَ الباديَةِ يتحوَّلُ**»: فمدَّتُه قَصيرَةٌ، فَلا يعظمُ الضَّرَرُ في تحمُّلِها»[2].

فجارُ السَّوءِ في دارِ الإقامةِ شرُّه وبيلٌ، بخلافِ الجارِ في السَّفرِ والباديةِ، فإنَّه يتحوَّلُ، وسُرعانَ ما يزولُ شرُّه؛ فمُدَّتُه قصيرةٌ، فلا يعظُمُ الضررُ بتحمُّلِها.

ويشملُ جارُ المُقامِ: الزوجةَ، والخادمَ، والصديقَ المُلازِمَ[3].

وإيذاءُ الجيرانِ من كبائرِ الذُّنوبِ، وقد جاءَ الوعيدُ في عدَّةِ أحاديثَ لِمَن يؤذي جارَه:

فعَنْ أبي شُرَيحٍ الكَعْبيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ**».

قيلَ: ومَنْ يا رسولَ اللهِ؟

---

(١) شأن الدعاء (ص١٧١).

(٢) التيسير (١/ ٢٠٨).

(٣) فيض القدير (١/ ٤٩٢).

قال: «**الَّذي لا يَأمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ**[١]»[٢].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رَجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ فُلانَة يُذْكَرُ من كَثْرَةِ صَلاتِها، وصيامِها، وصَدَقَتِها، غَيرَ أنَّها تُؤْذي جيرانَها بِلِسانِها، قال: «**هيَ في النَّارِ**».

قال: يا رسولَ اللهِ، فَإنَّ فُلانَة يُذْكَرُ من قِلَّةِ صيامِها، وصَدَقَتِها، وصَلاتِها، وإنَّها تَصَدَّقُ بالأثْوارِ منَ الأقِطِ، ولا تُؤْذي جيرانَها بِلِسانِها، قال: «**هيَ في الجَنَّةِ**»[٣].

وأذيَّةُ الجارِ تكونُ بـ: إزعاجِه بالأصواتِ العاليةِ، وإلقاءِ القُمامةِ أمامَ منزلِه، والتجسُّسِ عليه، وتتبُّعِ عورتِه، وأذيَّةِ أهلِه، ونسائِه، وإظهارِ السُّرورِ في مصائِبِهم، ونحوِ ذلكَ.

وفي الحديثِ منَ الفوائِدِ:

* أنَّه ينبَغي تجنُّبُ جارِ السَّوءِ، والتباعدُ عنه، إذا وجدَ إلى ذلك سبيلًا.
* وأنَّ المسافرَ إذا وجدَ من أحدِ رِفْقتِه ما يُذَمُّ شرعًا فارَقَه.
* فضلُ الاستعاذةِ باللهِ تعالى، والالتجاءِ إليه، والاستعانةِ به في كشفِ الضّرِّ، ودفعِ أذَى المُضِرِّ.
* الاستعاذةُ باللهِ من كلِّ مجاورٍ جَمَعَ الصفاتِ الدنيئةَ، والأخلاقَ الرَّذيلةَ.
* الحرصُ على جوارِ أهلِ الصَّلاحِ، والتقوَى.
* بثُّ الشكوَى والهمِّ إلى اللهِ تبارك وتعالى، وإنزالُ الحاجةِ به.



(١) أي: شره.

(٢) رواه البخاري (٦٠١٦)، وأحمد (١٦٣٧٢).

(٣) رواه الإمام أحمد (٩٦٧٥)، وحسنه محققو المسند.



الحديث السابع:

عَنْ سُهَيلِ بنِ أبي صالحٍ، قال: كان أبو صالحٍ يَأْمُرُنا، إذا أرادَ أحَدُنا أنْ يَنامَ، أنْ يَضْطَجِعَ على شِقِّهِ الأيمَنِ، ثُمَّ يقولُ: **«اللهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ، ورَبَّ الأرْضِ، ورَبَّ العَرْشِ العَظيمِ، رَبَّنا ورَبَّ كُلِّ شيءٍ، فالِقَ الحَبِّ، والنَّوَى، ومُنْزِلَ التَّوْراةِ، والإنْجيلِ، والفُرْقانِ، أعُوذُ بكَ من شَرِّ كُلِّ شيءٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصيَتِهِ، اللهُمَّ أنْتَ الأوَّلُ، فَلَيسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وأنْتَ الآخِرُ، فَلَيسَ بَعْدَكَ شيءٌ، وأنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيسَ فَوْقَكَ شيءٌ، وأنْتَ الباطِنُ، فَلَيسَ دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّينَ، وأغْنِنا مِنَ الفَقْرِ»**.

وكان يَرْوي ذلك عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ[1].

ولفظُ أبي داودَ: عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، أنَّهُ كان يقولُ إذا أوَى إلى فِراشِهِ:... فذكرَه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ، من طريقِ الأعْمَشِ، عن أبي صالِحٍ، عن أبي هُريرةَ، قال: أتَتْ فاطِمَةُ النبيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خادِمًا، فَقال لَها: «**قُولِي: اللهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ...**».

وعندَ النَّسائيِّ في الكُبْرى، عن الشَّعْبيِّ، عن عائِشَةَ، قالت: كان رسولُ اللهِ

(١) رواه مسلم (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، والترمذي (٣٤٠٠).



ﷺ من آخرِ ما يقولُ حينَ يَنامُ، وهو واضِعٌ يَدَهُ على خَدِّهِ الأيمَنِ، وهو يَرَى أَنَّهُ مَيِّتٌ في لَيلَتِهِ تِلْكَ: ... فذَكَرَه[1].

هذا الدعاءُ أحدُ الأدعيةِ والأذكارِ التي تُقال عندَ النَّومِ، وهو دعاءٌ عظيمٌ، يحسُن بالمُسلِمِ أنْ يُحافِظَ عليه كلَّ ليلةٍ عندَما يأوي إلى فراشِه.

وهو مُشتملٌ على توسُّلاتٍ جليلةٍ إلى اللهِ تبارك وتعالى: بربوبيَّتِه لكلِّ شيءٍ، وبأسمائه وصفاته، الدالَّةِ على كمالِه، وجلالِه، وعظمتِه، وإحاطتِه.

ومنَ اللَّطائفِ في ترتيبِ هذِه التوسُّلاتِ:

أنَّه ﷺ بدأ بقولِه: **«اللهمَّ ربَّ السَّمواتِ، وربَّ الأرضِ، وربَّ العَرْشِ العَظيمِ»**؛ أي: خالقَها، ومالِكَها، ومدبِّرَ أمورِها، ومُبْدِعَها، ومُوجِدَها منَ العَدَم.

وقد خصَّ هذِه المخلوقاتِ بالذِّكْرِ؛ لعِظَمِها، وكِبَرِها، ولكثرةِ ما فيها منَ الآياتِ البيِّناتِ، والدلالاتِ الباهراتِ، على كمالِ خالِقِها، وعَظَمةِ مُبْدِعِها، وإلا فجميعُ المخلوقاتِ صغيرِها، وكبيرِها، فيها آيةٌ بيِّنةٌ على كمالِ الخالقِ سبحانَه.

ولهذا قال بعدَه: **«رَبَّنا ورَبَّ كُلِّ شيءٍ»**، فهوَ تعميمٌ بعدَ تخصيصٍ؛ لئلَّا يُظَنَّ أنَّ الأمرَ مُختَصٌّ بما ذُكِرَ.

ثمَّ عقَّبه بمظهرٍ من مظاهرِ الربوبيَّةِ، والخَلْقِ، فقال: **«فالقَ الحبِّ، والنَّوى»**:

وهو من «الفَلْق» أي: الشَّقِّ، أي: الذي يشُقُّ حبَّةَ الطعامِ، ونوَى التَّمرِ، وغيرَه؛ لتُخْرِجَ الأشجارَ، والزُّروعَ.

---

(١) السنن الكبرى (١٠٥٥٧)، وهو منقطع، الشعبي لم يسمعْ من عائشة.

فالنباتاتُ: إمَّا أشجارٌ أصلُها النَّوى، أو زروعٌ أصلُها الحَبُّ، واللهُ هو الذي يَفْلِقُ الحبَّ، والنَّوى اليابسَ بقُدرتِه؛ لتخرُجَ منه الزُّروعُ العظيمةُ، والأشجارُ الكبيرةُ، وفيهِ آيةٌ باهرةٌ على كمالِ المُبْدِعِ، وعظمةِ الخالقِ سبحانَه.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

فإذا نظرَ الناظرُ بعَينِ فَهْمِه إلى هذِه الآيةِ العظيمةِ، وهيَ فَلْق الحبَّةِ، والنَّواةِ، عن سُنبُلةٍ، ونَخْلةٍ، رأى كلًّا منهُما فيه أسرارٌ، وعجائبُ، وودائعُ، مِن جِنْسِ خَلْقِ الإنسانِ؛ فعَلِمَ أنَّ فاعلَ ذلك لا يُعْجِزُه شيءٌ في الأرضِ، ولا في السَّماءِ.

ثمَّ عقَّب ذلك كلَّه بقولِه: **«ومُنْزِلَ التَّوْراةِ، والإنْجيلِ، والفُرْقانِ»**:

وفيهِ: توسُّلٌ إلى اللهِ تعالى بإنزالِه هذِه الكُتُبَ العظيمةَ، المشتملةَ على هدايةِ الناسِ، وفلاحِهم، وسعادَتِهم في الدُّنيا والآخرةِ، وخصَّها بالذِّكرِ؛ لأنَّها أعظمُ كُتُبِ اللهِ المنزَّلةِ، وبدأها حَسَبَ ترتيبِ نُزُولِها الزَّمنيِّ.

وتأمَّل كيفَ قال في المخلوقاتِ: **«ربَّ»**، وقال في الحبِّ، والنَّوى: **«فالقَ»**، أمَّا في هذِه الكتُبِ التي هي كلامُ اللهِ، فقال: **«ومُنْزِلَ»**.

ففي هذا دلالةٌ على أنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ[1].

فَليسَ كَلامُه مِن جِنسِ المَخلوقاتِ الّتي خَلَقَها، أو فلَقَها، ولكِنّه كَلامُه الذي أَنْزَلَهُ.

ثمَّ بيَّنَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُستعاذَ منه، فقال:

---

(١) ينظر: الإفصاح (٨/ ٦٨)، شرح المشكاة للطيبي (٦/ ١٨٨٦)، فقه الأدعية والأذكار (٣/ ٧١).

«أعُوذُ بكَ من شَرِّ كُلِّ شيءٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصيَتِهِ»:

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**من شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصيَتِها**».

أي: من شرِّ كلِّ شيءٍ منَ المخلوقاتِ؛ لأنَّها كلَّها في سُلْطانِه، وهو آخذٌ بنواصيها، والناصيةُ مُقدّمُ الرَّأسِ، فقُدْرةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فوقَ قُدْرةِ كلِّ مخلوقٍ، وبَطْشُه فوقَ بَطْشِ كلِّ ذي بَطْشٍ.

فجميعُ المخلوقاتِ داخلةٌ تحتَ قهرِ اللهِ، وسُلْطانِه، فهوَ سبحانه آخذٌ بنواصيها، قادِرٌ عليها، يتصرَّفُ فيها كيفَ يشاءُ، ويحكُمُ فيها بما يُريدُ، كما حكَى اللهُ تعالى قولَ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦][1].

وقال المُظهِريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قولُه: «أنتَ آخذٌ بِناصيتِه»، هذا عبارةٌ عن القدرةِ، والغَلَبةِ، يعني: أعوذُ بكَ من شرِّ كلِّ شيءٍ أنتَ قادرٌ عليه، أي: من شرِّ جميعِ الأشياءِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قادرٌ على جميعِ الأشياءِ، وإنَّما كنَّى عن القُدرةِ بقولِه: «أنتَ آخذٌ بِناصيتِه»؛ لأنَّ مَنْ أخذَ بناصيةِ أحدٍ، فقد قَهرَه، وقَدَرَ عليه غايةَ القدرَةِ»[2].

وقال أبو عُبَيدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ**، في قولِهِ تعالى:** ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾:

«أي: في قَبْضَتِهِ، ومُلْكِهِ، وسُلْطانِهِ، وخَصَّ النَّاصيَةَ بالذِّكْرِ على عادَةِ العَرَبِ في ذَلِكَ، تقولُ: ناصيَةُ فُلانٍ في يَدِ فُلانٍ، إذا كانَ في طاعَتِهِ، ومن ثَمَّ: كانُوا يَجُزُّونَ ناصيَةَ الأسيرِ إذا أطْلَقُوهُ»[3].

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣٦)، الفتح الرباني، للساعاتي (١٤/ ٢٤٧)، فقه الأدعية والأذكار (٣/ ٧٣).

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري (٣/ ٢١٦).

(٣) فتح الباري (٦/ ٣٤٨).

وقال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندَ تفسيرِ هذِه الآيةِ: «وقد تَضَمَّنَ هذا المَقامُ حُجَّةً بالِغَةً، ودَلالَةً قاطِعَةً، على صِدْقِ ما جاءَهُمْ به، وبُطْلانِ ما هُمْ عليه من عِبادَةِ الأصْنامِ، التي لا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ، بل هي جَمادٌ، لا تَسْمَعُ، ولا تُبْصِرُ، ولا تُوالي، ولا تُعادي، وإنَّما يَسْتَحِقُّ إخْلاصَ العِبادَةِ: اللهُ وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، الذي بيَدِهِ المُلْكُ، ولَهُ التَّصَرُّفُ، وما من شيءٍ إلا تَحْتَ مُلْكِهِ، وقَهْرِهِ، وسُلْطانِهِ، فَلا إلَهَ إلا هو، ولا رَبَّ سِواهُ»[1].

وقولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أنْتَ الأوَّلُ، فَلَيسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وأنْتَ الآخِرُ، فَلَيسَ بَعْدَكَ شيءٌ، وأنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيسَ فَوْقَكَ شيءٌ، وأنْتَ الباطِنُ، فَلَيسَ دُونَكَ شيءٌ»**:

ذكَرَ هنا أربعةَ أسْماء من أسماءِ اللهِ تعالى، وهيَ: «الأولُ، والآخِرُ، والظاهِرُ، والباطِنُ».

ففسَّر النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كلَّ اسمٍ بمعناهُ، ونفَى عنه ما يُضادُّه، وينافيه.**

فهذِه الأسماءُ تدلُّ على تفرُّدِ الرَّبِّ تعالى بالكمالِ المُطلَقِ، والإحاطةِ الزمانيَّةِ، في قولِه: **«الأولُ، والآخرُ»**، والإحاطةِ المكانيَّةِ في قولِه: **«الظاهِرُ، والباطِنُ»**.

وفيها دلالةٌ على: أوليَّةِ اللهِ سبحانَه، وأنَّه قبلَ كلِّ شيءٍ، وأبديَّتِه سبحانَه، وبقائِه بعدَ كلِّ شيءٍ، وعُلُوِّه على خلقِه، واستوائِه على عرشِه، وفوقيَّتِه، وأنَّه الظاهِرُ الذي لا شيءَ فوقَه، وقُرْبِه سبحانه من خَلْقِه، وإحاطتِه بهِم، وأنَّه جلَّ وعلا الباطِنُ الذي لا شيءَ دونَه.

فالأولُ: يدلُّ على أنَّ كلَّ ما سِواهُ حادثٌ كائنٌ بعدَ أنْ لم يكُنْ، ويُوجِبُ للعبدِ أنْ يَلْحَظَ فضلَ ربِّه في كلِّ نِعْمةٍ دينيَّةٍ، أو دُنيويَّةٍ؛ إذ السَّبَبُ والمُسَبَّبُ منه تعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٠).

والآخِرُ: يدلُّ على أنَّه هو الغايةُ، والصَّمَدُ الذي تَصمِدُ إليه المخلوقاتُ بتألُّهِها، وتعبُّدِها، ورغبتِها، ورهبتِها، وجميعِ مطالِبِها.

والظاهِرُ: يدلُّ على عظمةِ صفاتِه، واضمحلالِ كلِّ شيءٍ عندَ عظمتِه، من ذواتٍ، وصفاتٍ، ويدلُّ على علوِّه سبحانَه.

والباطِنُ: يدلُّ على اطِّلاعِه على السرائِرِ، والضمائِرِ، والخبايا، والخفايا، ودقائقِ الأشياءِ، كما يدلُّ على كمالِ قُربِه، ودُنُوِّه.

ولا مُنافاةَ بين الظاهِرِ، والباطِنِ؛ لأنَّ اللهَ ليس كمثلِه شيءٌ في كلِّ النُّعوتِ؛ فهوَ العليُّ في دُنُوِّه، القريبُ في عُلُوِّه سبحانَه[١].

وعن أبي زُمَيلٍ، قال: سَألْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: ما شيءٌ أجِدُهُ في صَدْري؟ قال: «ما هُوَ؟» قُلْتُ: واللهِ ما أتكَلَّمُ به، قال: فَقال لي: «أشَيءٌ من شَكٍّ؟» قال: وضَحِكَ، قال: «ما نَجا من ذلك أحَدٌ»، قال: «حتَّى أنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]» الآيَةَ، قال: فَقال لي: «إذا وجَدْتَ في نَفْسِكَ شَيئًا فَقُلْ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]»[٢].

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأرْشَدَهُمْ بِهذه الآيَةِ إلى بُطْلانِ التَّسَلْسُلِ الباطِلِ بِبَديهَةِ العَقْلِ، وأنَّ سِلْسِلَةَ المَخْلُوقاتِ في ابْتِدائِها، تَنْتَهي إلى أوَّلٍ، ليس قَبْلَهُ شيءٌ، كما تَنْتَهي في آخِرِها إلى آخِرٍ، ليس بَعْدَهُ شيءٌ، كما أنَّ ظُهُورَهُ هو العُلُوُّ، الذي ليس فَوْقَهُ شيءٌ، وبُطُونَهُ هو الإحاطَةُ، التي لا يكونُ دُونَهُ فيها شيءٌ، ولو كان قَبْلَهُ شيءٌ يكونُ مُؤَثِّرًا

---

(١) الحق الواضح المبين للسعدي (ص٢٥)، فقه الأدعية (٣/ ٧٤).

(٢) رواه أبو داود (٥١١٠)، وحسنه الألباني.

فيهِ، لَكانَ ذلك هو الرَّبَّ الخَلَّاقَ، ولا بُدَّ أنْ يَنْتَهيَ الأمْرُ إلى خالِقٍ غَيرِ مَخْلُوقٍ، وغَنيٍّ عن غَيرِهِ، وكُلُّ شيءٍ فَقيرٌ إليه، قائِمٍ بِنَفْسِهِ، وكُلُّ شيءٍ قائِمٌ به، مَوْجُودٍ بِذاتِهِ، وكُلُّ شيءٍ مَوْجُودٌ به، قَديمٍ لا أوَّلَ لَهُ، وكُلُّ ما سِواهُ فَوُجُودُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ، باقٍ بِذاتِهِ، وبَقاءُ كُلِّ شيءٍ به، فهوَ الأوَّلُ الذي ليس قَبْلَهُ شيءٌ، والآخِرُ الذي ليس بَعْدَهُ شيءٌ، والظَّاهِرُ الذي ليس فَوْقَهُ شيءٌ، والباطِنُ الذي ليس دُونَهُ شيءٌ»[1].

عُبوديَّتُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذِه الأسماءِ الحُسنَى:

قال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فعُبوديَّتُه باسمِه: «الأولِ»**، تقتضي التجرُّدَ من مطالعةِ الأسبابِ، والوقوفِ عليها، والالتفاتِ إليها، وتجريدَ النظرِ إلى مجرَّدِ سبقِ فضلِه، ورحمتِه، وأنَّه هو المبتدئُ بالإحسانِ، من غيرِ وسيلةٍ منَ العبدِ؛ إذ لا وسيلةَ له في العدَمِ قبلَ وجودِه، وأيُّ وسيلةٍ كانَتْ هناكَ؟ وإنَّما هو عدَمٌ محضٌ.

فمنه سبحانه الإعدادُ، ومنه الإمدادُ، وفضلُه سابقٌ على الوسائلِ، والوسائلُ من مجرَّدِ فضلِه، وجُودِه، لم تكُنْ بوسائلَ أُخرَى، فمَنْ نزَّلَ اسمَه «الأولَ» على هذا المعنَى، أوجبَ له فقرًا خاصًّا، وعبوديةً خاصَّةً.

وعبوديتُه باسمِه: «الآخرِ»، تقتضي -أيضًا- عدمَ ركونِه ووثوقِه بالأسبابِ، والوقوفِ معها؛ فإنَّها تعدمُ -لا محالةَ- وتنقضي بالآخريَّةِ، ويبقَى الدائمُ الباقي بعدَها، فالتعلُّقُ بها تعلُّقٌ بما يعدمُ، وينقضي، والتعلُّقُ بالآخِرِ عَزَّوَجَلَّ تعلقٌ بالحيِّ الذي لا يموتُ، ولا يزولُ، فالمتعلِّقُ به حقيقٌ أنْ لا يزولَ، ولا ينقطعَ، بخلافِ التعلّقِ بغيرِه ممَّا له آخرٌ يفنَى به.

فتأمَّلْ عبوديةَ هذَين الاسمَين، وما يوجبانِه من صحَّةِ الاضطرارِ إلى اللهِ وحدَه،

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٤٢٢).

ودوامِ الفقرِ إليه دونَ كلِّ شيءٍ سواهُ، وأنَّ الأمرَ ابتدأ منه، وإليه يُرفعُ، فهوَ المبتدئُ بالفضلِ، حيثُ لا سببَ، ولا وسيلةَ، وإليه ينتهي الأمرُ، حيثُ تنتهي الأسبابُ، والوسائلُ، فهوَ أولُ كلِّ شيءٍ، وآخرُه، وكما أنَّه ربُّ كلِّ شيءٍ، وفاعلُه، وخالقُه، وبارِئُه، فهوَ إلهُه، وغايتُه، التي لا صلاحَ له، ولا فلاحَ، ولا كمالَ، إلا بأنْ يكونَ هو غايتَه، كما أنَّه لا وجودَ له إلا بكونِه وحدَه هو ربَّه، وخالقَه، وكذلكَ لا كمالَ له ولا صلاحَ، إلا بكونِه تعالى وحدَه هو غايتَه وحدَه، ونهايتَه، ومقصودَه، فهوَ «الأوّلُ» الذي ابتدأتْ منه المخلوقاتُ، و«الآخِرُ» الذى انتهَتْ إليه عبوديتُها، وإرادتُها، ومحبّتُها، فليسَ وراءَ اللهِ شيءٌ يُقصَدُ، ويُعبَدُ، ويتألَّهُ، كما أنَّه ليس قبلَه شيءٌ يخلقُ، ويبرأُ، فكما كان واحدًا في إيجادِكَ، فاجعَلْه واحدًا في تألُّهك، وعبوديتِكَ، وكما ابتدأ وجودَك، فاجعَلْه نهايةَ حبِّك، وإرادتِك، وتألُّهك إليه؛ لتصحَّ لك عبوديتُه باسمِه: «الأولِ، والآخِرِ».

وأكثرُ الخلقِ تعبَّدُوا له باسمِه «الأولِ»، وإنَّما الشأْنُ في التعبُّدِ له باسمِه «الآخِرِ»، فهذِه عبوديةُ الرُّسلِ، وأتباعِهم، فهوَ ربُّ العالَمينَ، وإلهُ المرسَلينَ سبحانَه، وبحمدِه.

وأمَّا عبوديتُه باسمِه «الظاهِرِ»: فكما فسَّرهُ النبيُّ ﷺ بقولِه: «**وأنتَ الظَّاهِرُ، فَلَيسَ فَوْقَكَ شيءٌ**».

فإذا تحقَّقَ العبدُ علوَّه المطلقَ على كلِّ شيءٍ بذاتِه، وأنَّه ليس فوقَه شيءٌ البتَّةَ، وأنَّه قاهرٌ فوقَ عبادِه، «يُدَبِّرُ الأمْرَ منَ السَّماءِ إلى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إليه»، «إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»، صارَ لقلبِه أملًا يقصدُه، وربًّا يعبُدُه، وإلهًا يتوجَّهُ إليه، بخلافِ مَنْ لا يدري أينَ ربُّه؟ فإنَّه ضائعٌ، مشتَّتُ القلبِ، ليس لقلبِه قِبلةٌ يتوجَّهُ نحوَها، ولا معبودٌ يتوجَّهُ إليه قصدُه.

والمقصودُ: أنَّ التعبُّدَ باسمِه «الظاهرِ» يجمَعُ القلبَ على المعبودِ، ويجعلُ له ربًّا

يقصدُه، وصمدًا يَصمِدُ إليه في حوائجِه، وملجأً يلجأُ إليه، فإذا استقرَّ ذلك في قلبِه، وعرَفَ ربَّه باسمِه «الظاهرِ»، استقامَتْ له عبوديتُه، وصارَ له معقلٌ وموئلٌ، يلجأُ إليه، ويَهربُ إليه، ويفرُّ كلَّ وقتٍ إليه.

وأمَّا تعبُّدُه باسمِه «الباطنِ»: فأمرٌ يضيقُ نطاقُ التعبيرِ عن حقيقتِه، ويَكلُّ اللسانُ عن وصفِه، وتصطلِمُ الإشارةُ إليه، وتجفُو العبارةُ عنه، فإنَّه يستلزمُ معرفةً بريئةً من شوائبِ التعطيلِ، مُخلَّصةً من فرثِ التشبيهِ، مُنزَّهةً عن رِجْسِ الحلولِ، والاتِّحادِ، وعبارةً مؤديةً للمعنَى، كاشفةً عنه، وذَوقًا صَحيحًا، سَليمًا من أذواقِ أهلِ الانحرافِ.

وبابُ هذِه المعرفةِ، والتعبُّدِ، هو معرفةُ إحاطةِ الربِّ تبارك وتعالى بالعالَمِ، وعظمتِه، وأنَّ العوالمَ كلَّها في قبضتِه، وأنَّ السمواتِ السبعَ، والأرضينَ السبعَ في يدِه كخردلةٍ في يدِ العبدِ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠].

ولهذا يقرنُ سبحانه بين هذَين الاسمَين، الدالَّين على هذَين المعنيَين: اسمِ «العلوِّ» الدالِّ على أنَّه «الظاهرُ»، وأنَّه لا شيءَ فوقَه، واسمِ «العظمةِ» الدالِّ على الإحاطةِ، وأنَّه لا شيءَ دونَه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

فهوَ تبارك وتعالى، كما أنَّه العالي على خلقِه بذاتِه، فليسَ فوقَه شيءٌ، فهوَ الباطنُ بذاتِه، فليسَ دونَه شيءٌ، بل ظهرَ على كلِّ شيءٍ، فكان فوقَه، وبطنَ فكان أقربَ إلى كلِّ شيءٍ من نفسِه، وهو محيطٌ به حيثُ لا يُحيطُ الشيءُ بنفسِه، وكلُّ شيءٍ في قبضتِه، وليسَ شيءٌ في قبضةِ نفسِه، فهذا أقربُ لإحاطةِ العامَّةِ.

وأمَّا القربُ المذكورُ في القرآنِ والسُّنَّةِ: فقربٌ خاصٌّ من عابديهِ، وسائليهِ، وداعيهِ، وهو من ثمرةِ التعبُّدِ باسمِه «الباطنِ»، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهذا قربُه من داعيه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وهذا قربُه من المحسِنينَ، وفي الصحيحِ عن النبيِّ ﷺ قال: «**أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ من رَبِّهِ، وهو ساجِدٌ**»[١]، فهذا قربٌ خاصٌّ غيرُ قربِ الإحاطةِ، وقربِ البطونِ.

وفي الصَّحيحِ من حديثِ أبي موسَى، أنَّهم كانُوا معَ النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فارتفعَتْ أصواتُهم بالتكبيرِ؛ فقال: «**يا أيُّها النَّاسُ، ارْبَعُوا على أنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ، ولا غائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبارَكَ اسْمُهُ، وتَعالى جَدُّهُ**»[٢].

فهذا قربُه من داعيهِ، وذاكرِه، وهذا القربُ هو من لوازمِ المحبَّةِ، فكلَّما كان الحبُّ أعظمَ، كان القربُ أكثرَ»[٣].

ولمَّا توسَّلَ النبيُّ ﷺ إلى ربِّه عَزَّوَجَلَّ بهذِه الأسماءِ الحُسْنى، والصفاتِ العُلى، سألَه قضاءَ الدَّينِ، والغنَى منَ الفقرِ؛ فقال: «اقْضِ عنَّا الدَّينَ، وأغْنِنا منَ الفَقْرِ»:

وقولُه: «**اقْضِ عنَّا الدَّينَ**» أي: أعِنَّا على أداءِ حقوقِ اللهِ -فدَينُ الله أحقُّ أن يُقضَى-، وحقوقِ العبادِ من جميعِ الأنواعِ، وفي هذا تبرِّي الإنسانِ منَ الحَوْلِ، والقوَّةِ، وأنَّه لا حولَ ولا قوَّةَ له إلا باللهِ العظيمِ.

وقولُه: «**وَأغْنِنا منَ الفَقْرِ**» أي: الاحتياجِ إلى المخلوقِ، أو منَ الفقرِ القلبيِّ، والغنَى هوَ: عدمُ الحاجةِ[٤].

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) طريق الهجرتين (ص١٩-٢٣).

(٤) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٧١)، فقه الأدعية والأذكار (٣/ ٧٥).

والغنَى ثلاثةُ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: غِنى النَّفسِ.

القسمُ الثاني: الغنَى باللهِ تعالى.

القسمُ الثالثُ: الغنَى بالمالِ.

وقد سُئِلَ بعضُ العلماءِ: أيُّهما أتمُّ: الغنَى باللهِ تعالى، أم الافتقارُ إلى اللهِ؟ فقال:

«الافتقارُ إلى اللهِ تعالى يُوجِبُ الغِنى باللهِ، فإذا صحَّ الافتقارُ إلى اللهِ، كمُلَتِ العنايةُ، فلا يُقال أيُّهما أتمُّ؛ لأنَّهُما حالتانِ لا تتمُّ إحداهُما إلا بتمامِ الأخرَى، ومَنْ صَحَّ افتقارُه إلى اللهِ، صحَّ غناؤُهُ بهِ»[١].

وقال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا عَرَفْتَ معنى الفَقْرِ، عَلِمْتَ أَنَّهُ عَينُ الغِنَى باللهِ، فَلا معنى لِسُؤالِ مَنْ سَأَلَ: أيُّ الحالَينِ أكْمَلُ: الِافْتِقارُ إلى اللهِ، أمِ الِاسْتِغْناءُ به؟

فَهذه مَسْأَلَةٌ غَيرُ صَحيحَةٍ؛ فَإنَّ الِاسْتِغْناءَ به، هو عَينُ الِافْتِقارِ إليه»[٢].

والدَّينُ، والفقرُ، كلاهُما هَمٌّ عظيمٌ، يترتَّبُ عليهما مفاسدُ كثيرةٌ، كارتكابِ المعاصي، وإخلافِ المواعيدِ، وتعمُّدِ الكذِبِ، وقد يؤرِّقانِ الإنسانَ، ويمنعانِه منَ النَّومِ.

وعن عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو في الصَّلاةِ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من عَذابِ القَبْرِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجَّالِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ المَحْيا، وفِتْنَةِ المَماتِ، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ المَأْثَمِ، والمَغْرَمِ**[٣]».

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي (٣/ ٤٤٠).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤١٢-٤١٣).

(٣) أي: من الإثْم، والغرْم، وهو الدين. شرح النووي على مسلم (٥/ ٨٧).

فَقال له قائِلٌ: ما أكْثَرَ ما تَسْتَعيذُ منَ المَغْرَمِ، فَقال: «**إنَّ الرَّجُلَ إذا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، ووَعَدَ فَأخْلَفَ**»(١).

وفي حديثِ الثلاثةِ الذينَ انطبقَ عليهِمُ الغارُ: «... **وقال الآخَرُ: اللهُمَّ كانَتْ لي بِنْتُ عَمٍّ، كانَتْ أحَبَّ النَّاسِ إلَيَّ، فَأرَدْتُها عن نَفْسِها، فامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى ألَمَّتْ بِها سَنَةٌ منَ السِّنينَ، فَجاءَتْني، فَأعْطَيْتُها عِشْرينَ ومِائَةَ دينارٍ على أنْ تُخَلِّيَ بَيني وبَيْنَ نَفْسِها، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إذا قَدَرْتُ عَلَيها، قالت: لا أُحِلُّ لك أنْ تَفُضَّ الخاتَمَ إلا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ منَ الوُقُوعِ عَلَيها، فانْصَرَفْتُ عَنْها، وهيَ أحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الذي أعْطَيْتُها**»(٢).

وفي روايةٍ، من حديثِ النعمانِ بنِ بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَلَمَّا أمْكَنَتْني من نَفْسِها بَكَتْ، فَقُلْتُ: ما يُبْكيكِ؟ قالت: فَعَلْتُ هذا منَ الحاجَةِ، فَقُلْتُ: انْطَلِقي، ولَكِ المِائَةُ، وتَرَكْتُها**»(٣).

وفي روايةٍ أخرَى من حديثِ النعمانِ أيضًا:

«قال الآخَرُ: قَدْ عَمِلْتُ حَسَنَةً مَرَّةً، كان لي فَضْلٌ، فَأصابَتِ النَّاسَ شِدَّةٌ، فَجاءَتْني امْرَأةٌ تَطْلُبُ مِنِّي مَعْرُوفًا، قال: فَقُلْتُ: واللهِ ما هو دُونَ نَفْسِكِ، فَأبَتْ عَلَيَّ، فَذَهَبَتْ، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَذَكَّرَتْني باللهِ، فَأبَيتُ عَلَيها، وقُلْتُ: لا واللهِ ما هو دُونَ نَفْسِكِ، فَأبَتْ عَلَيَّ، وذَهَبَتْ، ثمّ رَجَعَتْ إلَيَّ، فَناشَدَتْني باللهِ، فَأبَيتُ عَلَيها، وقُلْتُ: واللهِ ما هو دُونَ نَفْسِكِ، فَلَمَّا رَأتْ ذلك أسْلَمَتْ إلَيَّ نَفْسَها، فَلَمَّا تَكَشَّفْتُها، وهَمَمْتُ بِها، ارْتَعَدَتْ

---

(١) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢١/ ١٢٩).

من تَحْتي، فَقُلْتُ لَهَا: ما شَأْنُكِ؟ قالت: أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ، قُلْتُ لَهَا: خِفْتيهِ في الشِّدَّةِ، ولَمْ أخَفْهُ في الرَّجاءِ، فَتَرَكْتُها»[١].

فانظُرْ كيفَ تصنعُ شدَّةُ الحاجةِ، بأصحابِها!

ومن ثمَّ: كان منَ المستحباتِ المؤكدةِ: أنْ يسألَ العبدُ ربَّه أنْ يُغنيَهُ منَ الفقرِ، ويكفيَه بفضلِه عمَّنْ سِواهُ، فلا يَحتاج معَه إلى غيرِه، وفي الترمذيِّ وغيرِه، عن عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ مُكاتَبًا جاءَهُ فَقال: إنِّي قَدْ عَجَزْتُ عن مُكاتَبَتي فَأعِنِّي، قال: ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنيهِنَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لو كان عليك مثلُ جَبَلِ صيرٍ[٢] دَينًا أدَّاهُ اللهُ عنك؟ قال: «**قُلْ: اللهُمَّ اكْفِني بِحَلالِكَ عن حَرامِكَ، وأغْنِني بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ**»[٣].

وهذِه التوسُّلاتُ المذكورةُ في الحديثِ، بين يديِ الاستعاذةِ باللهِ من شَرِّ كُلِّ شيءٍ هو آخِذٌ بناصيَتِهِ سبحانَه، وسؤالِه قضاءَ الدَّينِ، والإغناءَ منَ الفقرِ، هي من تمامِ عبوديةِ العبدِ، وتمامِ افتقارِه بين يدي ربِّه عَزَّ وَجَلَّ، الذي يعيذُ منَ الشرِّ، ويُغني منَ الفقرِ.



---

(١) رواه الإمام أحمد (١٨٤١٧)، وحسنه محققو المسند، وقال الألباني في الصحيحة (٣٤٦٨): «إسناد جيد متصل، مسلسل بالتحديث».

(٢) هو جبل لطيئ. النهاية (٣/ ٩).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٦٣)، وقال: «حسن غريب»، والحاكم (١٩٧٣)، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.



الحديث الثامن:

عَنْ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضِيَ اللّهُ عنها، أنَّها سُئِلَت: ما كان رسولُ اللّهِ ﷺ يقولُ إذا قامَ منَ اللَّيلِ؟ وبِمَ كان يَسْتَفْتِحُ؟

قالت: «كانَ يُكَبِّرُ عَشْرًا، ويُسَبِّحُ عَشْرًا، ويُهَلِّلُ عَشْرًا، ويَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، ويقول: **«اللهُمَّ اغْفِرْ لي، واهْدِني، وارْزُقْني»**، عَشْرًا، ويقول: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الضِّيقِ يَوْمَ الحِسابِ»**، عَشْرًا»[1].

وهذا منَ الأذكارِ، والأدعيةِ، التي تقال في الاستفتاحِ في الصلاةِ، فكان ﷺ يكبِّرُ عشرًا، ويسبِّحُ عشرًا، ويهلِّلُ عشرًا، ويستغفِرُ عشرًا، ويقول: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لي، واهْدِني، وارْزُقْني**» **عَشْرًا**.

وفي روايةِ أصحابِ السُّننِ: «**اللهُمَّ اغفِرْ لي، واهْدِني، وارْزُقْني، وعافِني**»، ولَمْ يذكُرْ: «**عشرًا**».

فسألَ ربَّه -بعدَ الباقياتِ الصالحاتِ- أنْ يغفرَ لَه، ويهديَه، ويرزقَه، ويعافيَه، وفي هذا تمامُ سعادةِ الدُّنيا، والآخرةِ.

فعَنْ أبي مالِكٍ الأشجعيِّ، عن أبيهِ، أنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ وأتاهُ رَجُلٌ، فَقال: يا رسولَ اللهِ كَيفَ أقُولُ حينَ أسْألُ رَبِّي؟ قال: «**قُل: اللهُمَّ اغْفِرْ لي، وارْحَمْني،**

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٥١٠٢)، واللفظ له، وأبو داود (٥٠٨٥)، والنسائي (١٦١٧)، وابن ماجه (١٣٥٦)، وصححه الألباني.

وعافِني، وارْزُقْني -وَيَجْمَعُ أصابِعَهُ إلا الإبْهامَ- فَإنَّ هَؤُلاءِ تَجْمَعُ لك دُنْياكَ، وآخِرَتَكَ»[١].

أمَّا قولُه: «اللهُمَّ اغْفِرْ لي»:

فهذا سؤالُ اللهِ المغفرةَ، وهو أنْ يمحُوَ عنه الذنبَ، ويقيَه شرَّه، قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الِاسْتِغْفارُ نَوْعانِ: مُفْرَدٌ، ومَقْرُونٌ بالتَّوْبَةِ، فالمُفْرَدُ: كَقولِ نُوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠-١١]. وقولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] والمَقْرُونُ كَقولِهِ تَعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

فالِاسْتِغْفارُ المُفْرَدُ كالتَّوْبَةِ، بل هو التَّوْبَةُ بِعَينِها، مَعَ تَضَمُّنِهِ طَلَبَ المَغْفِرَةِ من اللهِ، وهو مَحْوُ الذَّنْبِ، وإزالَةُ أثَرِهِ، ووِقايَةُ شَرِّهِ، لا كما ظَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ أنَّها السَّتْرُ، فَإنَّ اللهَ يَسْتُرُ على مَنْ يَغْفِرُ لَهُ، ومَنْ لا يَغْفِرُ لَهُ، ولكنَّ السَّتْرَ لازِمُ مُسَمَّاها، أو جُزْؤُهُ، فَدَلالَتُها عليه إمَّا بالتَّضَمُّنِ، وإمَّا باللُّزُومِ.

وحَقيقَتُها: وِقايَةُ شَرِّ الذَّنْبِ، ومنهُ المِغْفَرُ، لِما يَقي الرَّأْسَ منَ الأذَى، والسَّتْرُ لازِمٌ لهذا المَعْنَى، وإلا فالعِمامَةُ لا تُسَمَّى مِغْفَرًا، ولا القُبَّعُ، ونَحْوُهُ، مَعَ سَتْرِهِ، فَلا بُدَّ في لَفْظِ المِغْفَرِ منَ الوِقايَةِ، وهذا الِاسْتِغْفارُ هو الذي يَمْنَعُ العَذابَ في قولِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ فَإنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ مُسْتَغْفِرًا، وأمَّا مَنْ أصَرَّ على الذَّنْبِ، وطَلَبَ منَ اللهِ مَغْفِرَتَهُ، فَهذا ليس بِاسْتِغْفارٍ مُطْلَقٍ؛ ولهذا لا يَمْنَعُ العَذابَ، فالِاسْتِغْفارُ يَتَضَمَّنُ التَّوْبَةَ، والتَّوْبَةُ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِغْفارَ، وكُلٌّ منهُما يَدْخُلُ في مُسَمَّى الآخَرِ عِنْدَ الإطْلاقِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٧).

وأمَّا عِنْدَ اقْتِرانِ إحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بالأُخْرَى، فالإسْتِغْفارُ: طَلَبُ وِقايَةِ شَرِّ ما مَضَى، والتَّوْبَةُ: الرُّجُوعُ، وطَلَبُ وِقايَةِ شَرِّ ما يَخافُهُ في المُسْتَقْبَلِ من سَيِّئاتِ أعْمالِهِ»[١].

وقولُه: «واهْدِني»:

أي: لِصالِحِ الأعْمالِ، وثَبِّتْني على دينِ الحَقِّ[٢].

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنواعُ الهدايةِ أربعةٌ:

أحدُها: الهدايةُ العامةُ المشتركةُ بين الخلقِ، المذكورةُ في قولِه تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي: أعطَى كلَّ شيءٍ صورتَه التي لا يشتبهُ فيها بغيرِه، وأعطَى كلَّ عضوٍ شكلَه، وهيئتَه، وأعطَى كلَّ موجودٍ خَلْقَه المختصَّ به، ثمَّ هداهُ إلى ما خلقَه له منَ الأعمالِ.

النوعُ الثاني: هدايةُ البيانِ، والدَّلالةِ، والتعريفِ لنجدَي الخيرِ، والشرِّ، وطريقَي النجاةِ، والهلاكِ، وهذِه الهدايةُ لا تستلزمُ الهُدى التامَّ، فإنَّها سببٌ، وشرطٌ، لا مُوجبٌ؛ ولهذا ينبَغي الهُدى معها، كقولِه تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧] **أي**: بيَّنا لهم، وأرشدناهُمْ، ودللناهُمْ، فلَمْ يهتَدُوا، ومنها قولُه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

النوعُ الثالثُ: هدايةُ التوفيقِ، والإلهامِ، وهيَ الهدايةُ المستلزمةُ للاهتِداءِ، فلا يَتخلَّفُ عنها، وهيَ المذكورةُ في قولِه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣] وفي قولِه: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧].

النوعُ الرابعُ: غايةُ هذِه الهدايةِ، وهيَ الهدايةُ إلى الجنةِ، والنارِ، إذا سيقَ أهلُهما

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣١٤-٣١٥).

(٢) مرقاة المفاتيح (٢/ ٧٢٦).

إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، **وقال تعالى عن أهلِ النارِ**: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

إذا عُرِفَ هذا: فالهدايةُ المسئولةُ في قولِه: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] إنَّما تتناولُ المرتبةَ الثانيةَ، والثالثةَ، خاصَّةً، فهيَ طلبُ التعريفِ، والبيانِ، والإرشادِ، والتوفيقِ، والإلهامِ»[1].

وقولُه: «وارْزُقْني»:

أي: رِزْقًا حَلالًا، طَيِّبًا، كافيًا، مُغْنيًا عن الأنامِ، أو: ارزقني التَّوْفيقَ، والقَبُولَ، وحُسْنَ الاِخْتِتامِ[2].

وقولُه: «وَعافِني»:

أي: سلِّمْني من جميعِ الآفاتِ، والفتنِ، ونجِّني منَ البلايا، والمِحَنِ، في الدينِ والدُّنْيا والآخرَةِ.

أو: عافِني منَ البَلايا، والخَطايا.

وقيلَ: العَفْوُ، والعافيَةُ، والمُعافاةُ، مُتَقارِبَةٌ، فالعَفْوُ: مَحْوُ الذُّنُوبِ، والعافيَةُ: أنْ يَسْلَمَ منَ الأسْقامِ، والبَلايا، والمُعافاةُ: أنْ يُعافيَكَ اللهُ منَ النَّاسِ، ويُعافيَهُمْ منكَ، ويَصْرِفَ أذاهُمْ عنك، وأذاكَ عَنْهُمْ[3].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٧).

(٢) مرقاة المفاتيح (٢/ ٧٠٣).

(٣) النهاية (٣/ ٢٦٥)، مرقاة المفاتيح (٣/ ١١٩٧)، (٥/ ١٧٢٢).

ثمَّ استعاذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللهِ تعالى منَ الضِّيقِ يَوْمَ الحِسابِ، عَشْرًا.

وعندَ أبي داودَ: ثُمَّ قال: «اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من ضيقِ الدُّنْيا، وضيقِ يَوْمِ القيامَةِ»، عَشْرًا.

والمرادُ بـ«**ضيقِ الدُّنيا**»: مكارِهُها، وشدائِدُها، التي يضيقُ لها صَدرُ الإنسانِ، ويزيغُ قلبُه؛ لأنَّ مَنْ به مشقَّةٌ، وضيقٌ، من مَرَضٍ، أو دَينٍ، أو ظُلْمٍ، أو همٍّ، صارَتِ الأرضُ في عينِه ضيِّقةً، **كما قال تعالى عن الثلاثةِ الذينَ خُلِّفوا:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [التوبة: ١١٨].

أي: صارَتِ الأرضُ الواسعةُ في أعيُنِهم ضيِّقةً منَ الغَمِّ.

و«**ضيقِ يَوْمِ القيامَةِ**»: شدائدِ أحوالِها، وأهْوالِها، وشِدَّةِ الحسابِ، وشِدَّةِ الوقوفِ فيها، وضيقِ المَقامِ بها، ونحوِ ذلكَ[١].

وفي روايةٍ: «وَيَتَعَوَّذُ من ضيقِ المَقامِ يَوْمَ القيامَةِ»[٢].

فيومُ القيامةِ يومٌ عظيمٌ، شديدُ الأهوالِ، وقد ذكرَ اللهُ تعالى أنَّ هذا اليومَ: تُبلى فيه السَّرائرُ، وتَشْخَصُ فيه الأبصارُ، ولا مَرَدَّ له منَ اللهِ، ولا بَيعٌ فيهِ، ولا خِلالٌ، ولا تملكُ نفسٌ يومئذٍ لنفسٍ شيئًا، ولا ينفعُ فيه مالٌ، ولا بنونَ، ولا ينفعُ الظالمينَ معذرَتُهم، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٌ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١-٢].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي (٤/ ١١٩٩)، مرقاة المفاتيح (٣/ ٩١٩).

(٢) رواه أبو داود (٧٦٦)، وصححه الألباني.

وعنِ المِقْدادِ بنِ الأَسْوَدِ، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القيامَةِ منَ الخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ منهُمْ كَمِقْدارِ ميلٍ، فَيكونُ النَّاسُ على قَدْرِ أعْمالِهِمْ في العَرَقِ، فمنهم: مَنْ يكونُ إلى كَعْبَيهِ، ومنهُمْ: مَنْ يكونُ إلى رُكْبَتَيهِ، ومنهُمْ: مَنْ يكونُ إلى حَقْوَيهِ، ومنهُمْ: مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجامًا**» قال: وأشارَ رسولُ اللهِ ﷺ بيَدِهِ إلى فيهِ[1].

والتعوُّذُ من ضيقِ الدُّنيا، يدفعُ العبدَ لفعلِ ما يوسعُ اللهُ عليه به في الدُّنيا، ويُنجيهِ مِن هَمِّها وكَربِها، ولا شيءَ هو أجدرُ بهذا من تقوَى اللهِ، والعملِ الصالحِ، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ**﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قال عَليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ، عن ابنِ عَبَّاسٍ: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا**﴾ يقولُ: «يُنْجيهِ من كُلِّ كَرْبٍ في الدُّنْيا، والآخِرَةِ».

وقال الرَّبيعُ بنُ خُثَيمٍ: ﴿**يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا**﴾ «أي: من كُلِّ شيءٍ ضاقَ على النَّاسِ»[2].

ومن ذلكَ: التفريجُ عن الناسِ، والسَّعيُ في كشفِ كروبِهِم، وإزالةِ مخاوِفِهم، ورفعِ الضرِّ عنهُم، فالجزاءُ من جنسِ العملِ.

وكذلكَ: التعوُّذُ منَ الضيقِ يومَ القيامةِ يدفعُ العبدَ للتقوَى، والعملِ الصالحِ، وبذلكَ تتمُّ له سعادةُ الدارَينِ، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٤٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ١٤٦).

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ في الدُّنْيا، أَحْسَنَ اللهُ إليه في الدُّنْيا، والآخِرَةِ»(١).

وقال أيضًا: «هذا وعْدٌ منَ اللهِ تعالى لِمَنْ عَمِلَ صالِحًا -وهو العَمَلُ المُتابعُ لِكِتابِ اللهِ تَعالى، وسُنَّةِ نَبيِّهِ- من ذَكَرٍ أو أُنْثَى، من بَني آدَمَ، وقَلْبُهُ مُؤْمِنٌ باللهِ ورسولِهِ، بِأَنْ يُحْيِيَهُ اللهُ حَياةً طَيِّبَةً في الدُّنْيا، وأنْ يَجْزِيَهُ بِأحْسَنِ ما عَمِلَهُ في الدَّارِ الآخِرَةِ.

والحَياةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ، من أيِّ جِهَةٍ كانَتْ»(٢).

كما يدفعُه هذا التعوُّذُ لفعلِ الأعمالِ التي يُظِلُّ الربُّ عبدَه بها في ظلِّ عرشِه، ويُهَوِّنُ عليه بها الموقفَ يومَ القيامةِ، وييسِّرُ عليه بها الحسابَ، منَ الحبِّ في اللهِ، والتصدُّقِ خفْيةً، والبكاءِ خاليًا، والعفةِ ظاهرًا، وباطنًا، وتفريجِ الكُرَبِ، والتنفيسِ عن المُعسرِ، وإنظارِه، والوضعِ عنه، وغيرِ ذلك من صالحِ الأعمالِ.



(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٨).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٦٠١).



الحديث التاسع:

عَنْ فَرْوَةَ بنِ نَوْفَلٍ الأشْجَعيِّ قال: سَأَلْتُ عائِشَةَ عَمَّا كان رسولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو به اللّه، قالت: كان يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ ما عَمِلْتُ، ومن شَرِّ ما لم أعْمَلْ»**[١].

وعندَ النَّسائيِّ: قُلْتُ لِعائِشَةَ: حَدِّثيني بِشَيءٍ كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو به في صَلاتِهِ[٢].

وله أيضًا: أن عائِشَةَ سُئِلَتْ: ما كان أكْثَرُ ما يدعو به رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ؟ قالت: «كانَ أكْثَرُ ما كان يدعو به: **اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ ما عَمِلْتُ، ومن شَرِّ ما لم أعْمَلْ**»[٣].

وعندَ أحمدَ، عن فَرْوَةَ بنِ نَوْفَلٍ، قال: قُلْتُ لِعائِشَةَ: أخْبِريني بِدُعاءٍ كان يدعو به رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: كان يُكْثِرُ أنْ يقولَ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ ما عَمِلْتُ، ومَنْ شَرِّ ما لم أعْمَلْ**»[٤].

فتحصَّلَ لنا من هذِه الرواياتِ:

---

(١) رواه مسلم (٢٧١٦).

(٢) سنن النسائي (١٣٠٧)، وصححه الألباني.

(٣) رواه النسائي (٥٥٢٣)، وصححه الألباني.

(٤) رواه أحمد (٢٤٦٨٤)، وصححه محققو المسند على شرط مسلم.

* **أنَّ هذا الدُّعاءَ من أكثرِ ما كان يدعو به النبيُّ** ﷺ.

* أنَّه ﷺ كان يكثرُ منَ الدعاءِ به قبلَ موتِه.

* أنَّه من أدعيةِ الصَّلاةِ.

وهو منَ الاستعاذاتِ الجامعةِ، التي تعمُّ كلَّ شرٍّ، ممَّا كان بسببِ كَسْبِ العبدِ، أو بغيرِ كَسْبِه، عَمِلَه، أو لم يَعْمَلْه، في الماضي، والحاضرِ، والمستقبَلِ.

فقولُه: «اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ ما عَمِلْتُ»:

أي: مِن شرِّ ما اكتسبْتُه، ممَّا قد يقتضي عقوبةً في الدُّنيا، أو في الآخرةِ.

وقولُه: «وَمن شَرِّ ما لم أعْمَلْ»:

* قيلَ: من شرِّ ما يقتضي عقوبةً في الآخرةِ، وإنْ لم يكُنْ قصدَه.

* وقيلَ: من شرِّ عملِ غيرِه، كقولِه تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

* وقيلَ: من شرِّ ما يُنسَبُ إليه افتراءً، ولم يَعْمَلْه.

* وقيلَ: استعاذَ ﷺ من شرِّ ما سيعمَلُه ممَّا قد قُدِّرَ له عَمَلُه، ولا بُدَّ من فِعْلِه، لسابقِ القضاءِ به.

* وقيل: استعاذَ ممَّا لم يَعملْهُ ولا يَعمَلُه، فيستعيذُ مِن شَرّ النِّيَّةِ لذَلِك الفِعْلِ، أو الرِّضا به من الغَيرِ.

* وقيلَ: اسْتَعاذَ من شَرِّ أنْ يَعْمَلَ في المُسْتَقْبَلِ ما لا يَرْضاهُ، بِأنْ يَحْفَظَهُ اللهُ منه.

* أو من شَرِّ أنْ يَصيرَ مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ في تَرْكِ القَبائِحِ؛ فإنَّهُ يَجِبُ أنْ يَرى ذلك من فَضْلِ رَبِّهِ.

* ويُحتمَلُ أنَّه استعاذَ من أنْ يكونَ ممَّن يُحِبُّ أنْ يُحمَدَ بما لم يفعَلْ.

* ويُحتمَلُ أنْ يكونَ المرادُ تعليمَ الأمَّةِ الدُّعاءَ؛ ليقتدُوا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

ملاحظةٌ:

أوردَ هذا الحديثَ بعضُهم بِلفظِ:

«اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من شَرِّ ما علِمْتُ، ومن شَرِّ ما لم أعلَمْ»، فقال الحافظُ العراقيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَكَذا في غيرِ نُسْخَة: «عَلمْتُ»، وإنَّما هُوَ: «عمِلْتُ، وأعمَل» كَذا رَواهُ مُسلمٌ من حَديثِ عائِشَةَ، ولأبي بكْر بنِ الضَّحَّاكِ في الشَّمائِلِ في حَديثٍ مُرْسلٍ في الاِسْتِعاذَةِ، وفيهِ: «**وَشرِّ ما لمْ أعمَلْ، وشرِّ ما لم أعلَمْ**»[2].

وفي هذا الحديثِ:

* شـدةُ حاجةِ الإنسانِ إلى ربِّه سبحانَه، في إصلاحِ شـؤونِه، واستقامةِ أمورِه، والوقايةِ من شُرُورِ نفسِه، وسيِّئاتِ أعمالِه، وأنَّه لا غنًى له عن ربِّه طرفةَ عينٍ.

* أنَّ في النفسِ البشريةِ منَ الشُّرورِ، ما ينبغي معَه ملازمةُ الاستعاذةِ باللهِ منها.

* أنَّ إكثـارَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هـذا الدُّعاءِ، وخاصَّةً في الصـلاةِ، يدلُّ على أهميتِه، وفضلِه.

* الاستعاذةُ باللهِ منَ الشرِّ الحاصلِ، وممَّا لم يحصُلْ منه بعدُ، وفي روايةٍ للنسائيِّ:

---

(١) ينظـر: كشـف المشـكل (٤/ ٤١٥)، شرح النووي على مسـلم (١٧/ ٣٨-٣٩)، شرح المشـكاة (٦/ ١٩١٤)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٧)، حاشـية السندي على ابن ماجه (٢/ ٤٣٢)، فيض القدير (٢/ ١٠٧)، ذخيرة العقبى (٤٠/ ٨٥).

(٢) تخريج أحاديث الإحياء (ص٣٨٣).

«كانَ أَكْثَرُ دُعائِـهِ أنْ يقولَ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ مـا عَمِلْتُ، ومن شَرِّ ما لم أعْمَلْ بَعْدُ**»[١].

* الاستعاذةُ باللهِ منَ الشرورِ، من أعظمِ ما تُجلَبُ به الخيورُ، فمَنْ أعاذَه اللهُ منَ الشرِّ، أنعمَ عليه بالخيرِ.

* لَمَّا كان هذا الدُّعاءُ من أدعيةِ الصلاةِ، فإنَّه يُقال في السُّجودِ، أو بعدَ التشهُّدِ الأخيرِ قبلَ السَّلامِ، وأوردَه الشيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بابِ: «الدُّعاء قبلَ السلامِ»، من كتابِ صفةِ الصَّلاةِ[٢].



(١) سنن النسائي (٥٥٢٤)، وصححه الألباني.

(٢) صفة صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص١٨٤).

الحديث العاشر:

عَن عبدِ اللّه بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لم يَكُنْ رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَـؤُلاءِ الدَّعَواتِ حينَ يُمْسي، وحينَ يُصْبِحُ: **«اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ العافيَةَ في الدُّنْيا، والآخِرَةِ، اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ العَفْوَ، والعافيَةَ، في ديني، ودُنْيايَ، وأهْلي، ومالي، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتي، وآمن رَوْعاتي، اللهُمَّ احْفَظْني من بين يَدَيَّ، ومن خَلْفي، وعن يَميني، وعن شِمالي، ومن فَوْقي، وأعوذُ بِعَظَمَتِكَ أنْ أُغْتالَ من تَحْتي»**[1].

هذا الدُّعاءُ من أذكارِ الصَّباحِ، والمَساءِ، ومن أدعيةِ الحِفظِ التي ينبغي على المسلمِ أنْ يُداوِمَ عليها.

ففيهِ: طلبُ العَفْوِ، والعافيَةِ، في الدِّينِ، والدُّنيا، والآخرةِ، والأهلِ، والمالِ، وطلبُ السترِ، والأمنِ، وطلبُ الحِفْظِ منَ المهالكِ، والشُّرورِ، التي تعرِضُ للإنسانِ منَ الجهاتِ السِّتِّ، ودفعِ البلاءِ عن العبدِ، من أمامِه، ومن خلفِه، وعن يمينِه، وعن شِمالِه، ومن فوقِه، ومن تحتِه.

وقد قال اللهُ تعالى عن إبليسَ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وابن حبان في صحيحه (٩٦١)، والحاكم في مستدركه (١٩٠٢)، وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، وغيره.

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

أي: لآتينَّهُم من جميعِ الجهاتِ، والجوانبِ، ومن كلِّ طريقٍ يَتمكَّنُ فيه من إدراكِ بعضِ مقصودِه فيهم[١].

فالعبدُ محفوفٌ بمخاطرِ الدُّنيا، ومكائدِ الشَّياطينِ، من جميعِ الجهاتِ السِّتِّ، وهو مفتقِرٌ في كلِّ حالٍ، وكلِّ حينٍ، إلى حِفظِ اللهِ تعالى، وعِصْمتِه.

ولذلكَ كان النبيُّ ﷺ يُداوِمُ على هذا الدُّعاءِ صباحًا، ومساءً، ولم يَدَعْه حتى توفَّاه اللهُ، كما قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: «لَمْ يَدَعْهُ حَتَّى فارَقَ الدُّنْيا»[٢].

وقولُه: **«اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ العافيَةَ في الدُّنْيا، والآخِرَةِ»**:

قال النوويُّ رحمه الله: «وقد كَثُرَتِ الأحاديثُ في الأمْرِ بِسُؤالِ العافيَةِ، وهيَ منَ الألْفاظِ العامَّةِ المُتَناوِلَةِ لِدَفْعِ جَميعِ المَكْرُوهاتِ في البَدَنِ، والباطِنِ، في الدِّينِ، والدُّنْيا، والآخِرَةِ»[٣].

والعافيةُ في الآخرةِ: طلبُ الوِقايةِ من أهوالِ الآخرةِ، وشدائدِها، وما فيها من أنواعِ العقوباتِ.

وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال لِعَمِّهِ: «**أكْثِرِ الدُّعاءَ بالعافيَةِ**»[٤].

قال الشوكانيُّ رحمه الله: «فَلْيَنْظُرِ العاقِلُ مِقْدارَ هَذِه الكَلِمَةِ التي اختارَها رسولُ اللهِ

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٨٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٤٦).

(٤) رواه الحاكم (١٩٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٩٨).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَمِّهِ من دونِ الكَلِم، وليؤمن بأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُعطيَ جَوامِعَ الكَلِمِ، واختُصِرَتْ له الحِكَمُ، فَإِنَّ مَنْ أُعطي العافيَةَ، فازَ بِما يرجُوه ويُحِبهُ، قلبًا وقالبًا، ودينًا ودُنْيا، ووُقيَ ما يخافُه في الدَّارينِ عِلمًا يَقينًا، فَلَقَد تَواترَ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاؤُه بالعافيةِ، ووردَ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفظًا ومعنى من نَحْوِ خمسينَ طَريقًا، هذا وقد غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنبِه، وما تَأخَّرَ، وهو المَعْصُومُ على الإطْلاقِ حَقيقَةً، فَكيفَ بِنا ونحنُ غرضٌ بين النَّفسِ، والشيطانِ، والهوَى؟»[١].

وقولُه: **«اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ العَفْوَ، والعافيَةَ، في ديني، ودُنْيايَ، وأهْلي، ومالي»**:

العفوُ: محوُ الذُّنوبِ، وسترُها، والتجاوزُ عنها.

والعافيةُ: السَّلامةُ منَ العيوبِ، والآفاتِ، وتأمينُ اللهِ لعبدِه من كلِّ نِقمةٍ، ومِحْنةٍ، بصَرْفِ السُّوءِ عنه، ووقايتِه منَ البلايا، والأسقامِ، وحِفظِه منَ الشرورِ، والآثامِ، وأنْ يرزقَه الصبرَ، والرِّضا، والاحتسابَ عندَ نزولِ الآفاتِ[٢].

والعافيةُ في الدِّينِ: السَّلامةُ والوقايةُ من كلِّ أمرٍ يَشينُ الدِّينَ، أو يُخِلُّ به، كالشِّركِ، والمعاصي، والابتداعِ، وتَرْكِ ما يَجِبُ، والتساهلِ في الطاعاتِ.

وفي الدُّنيا: السلامةُ من شرورِها، ومصائبِها، وكلِّ ما يضرُّ العبدَ، من مصيبةٍ، أو بلاءٍ، أو ضرَّاء.

وفي الأهلِ: السلامةُ من سُوءِ العِشْرةِ، والأمراضِ، والأسقامِ، والانشغالِ بطلبِ التوسُّعِ في الدُّنيا، وسلامةُ الأهلِ ووقايتُهم منَ الفِتنِ، والبلايا.

---

(١) تحفة الذاكرين (ص٤٦٢).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٦٤)، فقه الأدعية والأذكار (٣/ ٢٨).

وفي المالِ: السَّلامةُ منَ الآفاتِ، التي تحدثُ فيهِ، وحِفظُه ممَّا يُتلِفُه، من غرقٍ، أو حريقٍ، أو سَرِقةٍ، ونحوِ ذلكَ.

فجمعَ في ذلك سؤالَ اللهِ الحِفْظَ من جميعِ العوارضِ المؤذيةِ، والأخطارِ المُضِرَّةِ[١].

وعن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**اسْأَلُوا اللهَ العَفْوَ، والعافيَةَ؛ فإنَّ أحَدًا لم يُعْطَ بَعْدَ اليَقينِ خَيرًا منَ العافيَةِ**»[٢].

وقولُه: **«اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتي»**:

العورةُ: كلُّ ما يُسْتَحى من إظهارِه، وأصلُها منَ العارِ، وهو المذمَّةُ[٣].

وقال الصنعانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اسْتُرْ عَوْراتي»: سَوْءاتي، وكلَّ ما يسوءُ ظهورُه، فيشملُ طلبَ سترِ الذُّنوبِ بالمغفرةِ، وسترِ أحوالِ الدُّنيا، والآخرةِ»[٤].

فيدعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يسترَ عيوبَه، وكلَّ ما يَسوءُه كشفُه.

والعَوْراتُ: منها ما هو حِسِّيٌّ، ومنها ما هو معنويٌّ، فالعبدُ يسألُ ربَّه أنْ يستُرَ عليه عَوْراتِه، فلا يفضَحهُ في الدُّنيا، ولا في الآخرةِ، ولا يُنزِلهُ منازلَ الخِزْيِ والفَضحِ فيها، وإنَّما يسترُ عليه عيوبَه، ويغفِرُ له ذنوبَه، ويُسدِلُ عليه سِترَه، ويجعلُه في كَنَفِه، وحِفظِه[٥].

---

(١) سبل السلام (٢/ ٧١١)، فقه الأدعية (٣/ ٢٨).

(٢) رواه أحمد (٣٤)، والترمذي (٣٥٥٨)، وقال: «حسن غريب»، وصححه محققو المسند.

(٣) فيض القدير (٦/ ٢٦٦).

(٤) التنوير (٣/ ١٥٣).

(٥) الفتوحات الربانية، لابن علان (٣/ ١٠٩).

قال أبو سُلَيمانَ الدَّارانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «النِّعْمَةُ في الإسْلامِ: السِّتْرُ، والعافيَةُ»[١].

وقولُه: «وَآمن رَوْعاتي» أي: مَخُوفاتي، والرَّوْعَةُ: الفَزْعَةُ[٢].

وقال السّنديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيِ: ادْفَعْ عَنِّي خَوْفًا يُقْلِقُني، ويُزْعِجُني»[٣].

وقولُه: «اللهُمَّ احْفَظْني من بين يَدَيَّ، ومن خَلْفي، وعن يَميني، وعن شِمالي، ومن فَوْقي، وأعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أنْ أُغْتالَ من تَحْتي»:

«استوعبَ الجهاتِ السِّتَّ بحذافيرِها؛ لأنَّ ما يلحقُ الإنسانَ من نكبةٍ، وفِتنةٍ، فإنَّه يحيقُ به، ويصلُ إليه من إحدَى هذِه الجهاتِ»[٤].

وقولُه: «وَأعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أنْ أُغْتالَ من تَحْتي» أي: أهْلكَ من تحتي، وهو الخَسْفُ، وخصَّ الاستعاذةَ منَ الاغتيالِ منَ الجهةِ السُّفلى لأمورٍ:

* لأنَّه أشدُّ إيلامًا، وأشقُّ.

* ولأنَّه من عذابِ اللهِ لكثيرٍ مِنَ الكفَّارِ، كما قال تعالى عن قارونَ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

* لأنَّه خفيٌّ جدًّا، من حيثُ لا يشعُرُ المُغتالُ، ولا يمكنُ التحرُّزُ منه، ولا حيلةَ في دفعِه.

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي (٧٩).
(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٦٤).
(٣) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٤٤١).
(٤) شرح المشكاة للطيبي (٦/ ١٨٨٢).

* لأنَّه مفاجئٌ، وسريعٌ، فلا فرصةَ للتوبةِ، أو التَّوصيةِ[١].

وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبرَ اللهُ تعالى عن كمالِ اقتدارِه، وحِفظِه للعالَمِ العُلويِّ، والسُّفليِّ، من غيرِ اكتِراثٍ، ولا مشقَّةٍ، ولا تعبٍ، ثمَّ ختمَ الآيةَ بهذَين الاسمَين الجليلَين، الدالَّين على عُلُوِّ ذاتِه، وعظمتِه في نفسِه»[٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

قال السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: هو تعالى قادرٌ على إرسالِ العذابِ إليكُم من كلِّ جهةٍ، ﴿مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ **أي**: يخلِطَكُم ﴿شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ **أي**: في الفتنةِ، وقتلِ بعضِكُم بعضًا. فهوَ قادرٌ على ذلك كلِّه، فاحذَرُوا منَ الإقامةِ على معاصيه، فيُصيبكُم منَ العذابِ ما يتلفُكُم، ويمحقُكُم»[٣].

وقال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذا الحَديثِ: الإِسْتِعاذَةُ من تَسَلُّطِ الشَّيطانِ على الإنْسانِ من جِهاتِهِ كُلِّها»[٤].



(١) النهاية لابن الأثير (٣/ ٤٠٣)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٦٤)، سبل السلام (٢/ ٧١١)، التنوير (٣/ ١٣٠)، حاشية السندي على ابن ماجه (٢/ ٤٤١).

(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٧١).

(٣) تفسير السعدي (ص٢٦٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٥).

الحديث الحادي عشر:

عن قُطْبَةَ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من مُنْكَراتِ الأخْلاقِ، والأعْمالِ، والأهْواءِ»**[١].

وفي روايةٍ: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«اللهُمَّ جَنِّبْني مُنْكَراتِ الأخْلاقِ، والأعْمالِ، والأهْواءِ، والأدْواءِ»**[٢].

فزادَ: «**والأهْواءِ**»، وهيَ زيادةٌ صحيحةٌ.

فاستعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ من مُنكراتِ الأعمالِ الباطنةِ، والظاهرةِ، ومن مُنكَراتِ أهواءِ النفسِ السيِّئةِ، ومنكراتِ الأدواءِ.

فقولُه: «مُنكراتِ الأخلاقِ»:

يعني: مُنكَراتِ الأعمالِ الباطنةِ، كالحِقدِ، والحَسَدِ، والبُخلِ، والجُبْنِ، وسُوءِ الظَّنِّ، والكِبْرِ، والعُجْبِ، ونحوِ ذلكَ.

والمُنْكَرُ: ضِدُّ المعروفِ، وهو ما عُرِف قُبْحُه في الشَّرْعِ، والعقلِ[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٩١)، وصححه الألباني.
(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٦)، والحاكم في المستدرك (١٩٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٨).
(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص٨٢٣)، فيض القدير (٢/ ١١٠)، تفسير السعدي (ص٩٧١).

وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُنْكَرُ: ما لا يُعْرَفُ حُسْنُهُ من جِهَةِ الشَّرْعِ، أوْ: ما عُرِفَ قُبْحُهُ من جِهَتِهِ»[١].

واستعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مُنكَراتِ الأخلاقِ؛ لأنَّها تُنافي أصلَ رسالةِ الإسلامِ، ولأنَّ مضرَّتَها على العبدِ في دُنياهُ، وآخرتِه، وعلى المجتمعِ، وعلى الأمَّةِ بأسْرِها.

ومنكراتُ الأخلاقِ على الضدِّ من مكارمِ الأخلاقِ، وقد قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخْلاقِ**»[٢].

قولُه: «والأعمالِ»:

يعني: مُنكَراتِ الأعمالِ الظاهرةِ، مثلَ: الشِّركِ، والقتلِ، والزِّنا، والسَّرقةِ، والرِّبا، وعقوقِ الوالدَين، وأذيَّة الجيرانِ، والظُّلْمِ، وفُحْشِ اللِّسانِ، والغيبةِ، والنظرِ إلى النِّساءِ، ونحوِها منَ المحرَّماتِ[٣].

فإذا استعاذَ المسلمُ من مُنكراتِ الأعمالِ الظاهرةِ، والباطنةِ، فأعاذَه اللهُ مِن ذَلكَ، فقد كَمُلَ حُسْنُ خُلُقِه، وكَمُلَ إيمانُه، وفي الحَديثِ: «**أكْمَلُ المُؤْمِنينَ إيمانًا: أحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[٤].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**إنَّ خيارَكُمْ أحاسِنُكُمْ أخْلاقًا**»[٥].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧١٢).

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٢)، والبيهقي (٢٠٧٨٢)، وصححه محققو المسند.

(٣) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧١٢)، فيض القدير (٢/ ١١٠).

(٤) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وصححه، وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١).

وقولُه: «والأهْواءِ»:

يعني: مُنكَراتِ الأهواءِ، وهيَ الزَّيغُ، والانهِماكُ في الشَّهواتِ المحرَّمةِ، واتِّباعُ أهواءِ النفوسِ الباطلةِ، فيكونُ اتِّباعُ الهوَى في الشهواتِ، والشُّبُهاتِ.

واستعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن اتِّباعِ الهوَى؛ لأنَّه أصلُ الضَّلالِ، ويُورِدُ صاحبَه المَهالِكَ، فَهوَ مِن المُهْلِكاتِ المُوبِقاتِ، وسببٌ في وقوعِ العبدِ في الفِتَنِ، ومن أسبابِ الانصرافِ عن الحقِّ، وتكذيبِه، وتركِ اتِّباعِه، ويُسَبِّبُ انطماسَ القلبِ، وفسادَ البصيرةِ.

وقال تعالى لنبيِّه داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٥-١٦].

وعن أبي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ ممَّا أخْشَى عليكُمْ: شَهَواتِ الغَيِّ في بُطُونِكُمْ، وفُرُوجِكُمْ، ومُضِلَّاتِ الهَوَى**»[1].

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمَّا مخالفةُ الهوَى: فلَمْ يجعَلِ اللهُ للجنَّةِ طريقًا غيرَ مخالفتِه، ولَمْ يجعَل للنَّارِ طريقًا غيرَ متابعَتِه، قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٩٧٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٥٢).

ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]»[١].

ومَنِ اتَّبعَ هواهُ، ساءَ خُلُقُه، وفسَدَ عملُه؛ ولِذا جمعَ في هذِه الاستعاذةِ بين الثلاثةِ، فقال: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من مُنْكَراتِ الأَخْلاقِ، والأعْمالِ، والأهْواءِ**».

وقولُه: «والأدْواءِ»:

فاستعاذَ باللهِ من منكراتِ الأدواءِ، والأدواءُ: جَمْعُ داءٍ، وهيَ الأسْقامُ المُنَفِّرَةُ، التي كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ منها، كالجُذامِ، والبَرَصِ، والمُهْلِكَةُ: كَذاتِ الجَنْبِ، وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَسْتَعيذُ من سَيِّئِ الأسْقامِ[٢].

«وقد يُرادُ بذلكَ: أدواءُ الدِّينِ، والدُّنْيا، من جَميعِ ما يضرُّ بالبدنِ، والدِّينِ»[٣].

وسيأتي معنا حديثُ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى عليه وسَلَّمَ كان يقولُ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذامِ، ومن سَيِّئِ الأسْقامِ**»[٤].

وقال الحافظُ رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفي الالتِجاءِ إلى الدُّعاءِ مَزيدُ فائِدَةٍ، ليست في التَّداوي بغيرِه؛ لِما فيه منَ الخُضُوعِ والتَّذَلُّلِ لِلرَّبِّ سُبْحانَهُ، بل مَنْعُ الدُّعاءِ من جِنْسِ تَرْكِ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ، اتِّكالًا على ما قُدِّرَ، فَيَلْزَمُ تَرْكُ العَمَلِ جُمْلَةً، ورَدُّ البَلاءِ بالدُّعاءِ، كَرَدِّ السَّهْمِ بالتُّرْسِ»[٥].

---

(١) روضة المحبين (ص٤٠١).

(٢) سبل السلام (٢/ ٦٧٣).

(٣) تحفة الذاكرين (ص٤٢٣).

(٤) رواه أبو داود (١٥٥٤)، وأحمد (١٣٠٠٤)، وصححه محققو المسند على شرط مسلم.

(٥) فتح الباري (١٠/ ١٣٣).

وقال الرّشيديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعطفُ العملِ على الخُلُقِ، والهوَى على العمَلِ، والداءِ عليه، وإن كانَ الكلُّ على الأولِ: من بابِ الترقِّي في الدُّعاءِ، إلى ما يعمُّ نفعُه»[١].

وفي الحديثِ منَ الفوائدِ:

* الاستعاذةُ باللهِ منَ المنكراتِ الجالبةِ للسُّوءِ، والضرِّ، في الدِّينِ، والدُّنيا، والآخرةِ.

* التحذيرُ مِنِ اتِّباعِ الهوَى.

* الحثُّ على صالحِ الأعمالِ، ومكارمِ الأخلاقِ.

* الاستعاذةُ باللهِ من أعظمِ ما ينجي العبدَ منَ الوقوعِ في منكراتِ الأعمالِ، والأخلاقِ، والأهواءِ.

* الدُّعاءُ يرفعُ البلاءَ، ويدفعُه، ويمنعُه، **قال ابنُ القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدُّعاءُ من أنْفَعِ الأدْويَةِ، وهو عَدُوُّ البَلاءِ، يَدْفَعُهُ، ويُعالِجُهُ، ويَمْنَعُ نُزُولَهُ، ويَرْفَعُهُ، أو يُخَفِّفُهُ إذا نَزَلَ، وهو سِلاحُ المُؤْمِنِ»[٢].

* فيهِ: تعليمُ الأمةِ الافتقارَ إلى اللهِ، وعدمَ الرُّكونِ للنَّفسِ، والثقةِ بها، إنَّما الثقةُ باللهِ.

* التأسِّي برسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في الالتِجاءِ إلى اللهِ، والتعوُّذِ به، من فعلِ المُنكراتِ، ووقوعِها.



---

(١) فيض القدير (٢/ ١١٠).

(٢) الجواب الكافي (ص١٠).



الحديث الثاني عشر:

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من الجُوعِ؛ فَإنَّهُ بِئْسَ الضَّجيعُ، وأعُوذُ بكَ من الخيانَةِ؛ فَإنَّها بِئْسَتِ البِطانَةُ»**[١].

استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ الجُوعِ؛ لأَنَّه يمنَعُ استراحةَ البدَنِ، والنفسِ، ويشوِّشُ الدِّماغَ، ويُثِيرُ الأفكارَ الفاسِدةَ، والخيالاتِ الباطلةَ، ويُضْعِفُ البَدَنَ عن القيامِ بوظائفِ الطاعاتِ، منَ الصلاةِ، وطلبِ العلمِ، والجهادِ، والسَّعي في مصالحِ الناسِ، وغيرِ ذلكَ، وقد يجرُّ إلى ارتكابِ الحرامِ.

ولِذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَإنَّه بِئْسَ الضَّجيعُ»**، يعني: المُضاجِعَ، وهو ما يُلازِمُ صاحبَه في المَضْجَعِ، ويمنعُه منَ النَّومِ، فهوَ جُوعٌ يمنعُ منَ الهُجُوعِ، ووظائفِ العباداتِ كالسُّجودِ، والرُّكوعِ[٢].

وهذا يدلُّ على ضلالِ بعضِ الصُّوفيَّةِ، الذينَ يتعبَّدونَ اللهَ تعالى بالجُوعِ الشديدِ، حتى فسدَتْ عقولُ بعضِهم، وهلكَتْ نفسُه!

واستعاذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ الخيانةِ:

---

(١) رواه أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي (٥٤٦٨)، وابن ماجه (٣٣٥٤)، وحسنه الألباني.
(٢) المرقاة (٤/ ١٧١١)، فيض القدير (٢/ ١٥٠)، دليل الفالحين (٧/ ٢٩٠).

قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهيَ ضِدُّ الأمانَةِ، قال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هيَ مُخالَفَةُ الحَقِّ، بِنَقْضِ العَهْدِ في السِّرِّ».

والأظْهَرُ: أنَّها شامِلَةٌ لِجَميعِ التَّكاليفِ الشَّرْعيَّةِ، كما يَدُلُّ عليه قولُهُ تَعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآيَةَ، وقولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧]، شامِلٌ لِجَميعِها»[١].

والخيانةُ من أسوأِ ما يُبْطِنُه الإنسانُ؛ ولذا قال: «**فَإِنَّها بِئْسَتِ البِطانَةُ**» أيِ: الخَصْلَةُ الباطِنَةُ.

وقال الطِّيبيُّ: «هيَ ضِدُّ الظِّهارَةِ، وأصْلُها في الثَّوْبِ، فاسْتُعيرَ لِما يَسْتَبْطِنُهُ الإنْسانُ».

وقيلَ: أي بِئْسَ الشيءُ الذي يَسْتَبْطِنُهُ من أمْرِهِ، ويَجْعَلُهُ بِطانَةَ حالِهِ[٢].

فبئسَ داخلةُ الرجلِ منَ الأمرِ السُّوءِ: الخيانةُ، وهيَ منَ الخصالِ المقبوحةِ طبعًا، وشرعًا، ولا تُحمَدُ في حالٍ، بل تُذمُّ بكلِّ حالٍ.

ومن صورِ الخيانةِ:

* إظهارُ الإيمانِ، وإبطانُ الكُفْرِ.

* إظهارُ الصلاحِ، والإصلاحِ، وإخفاءُ الفسادِ، والإفسادِ.

* معصيةُ اللهِ تعالى ورسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بتضييعِ الفرائضِ، والواجباتِ، وفِعلِ المناهي، وانتهاكِ المحرَّماتِ، وتَعدِّي حُدود اللهِ تعالى.

---

(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧١١).

(٢) شرح المشكاة (٦/ ١٩١٧)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧١١)، التيسير (١/ ٢١٥).

* خيانةُ النَّفسِ، وظُلمُها، بانتهاكِ محارِمِ اللهِ تعالى عندَ الخَلوةِ بها، وأمْنِ نظرِ الناسِ إليه؛ فعَنْ ثَوْبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنَّهُ قال: «**لَأعْلَمَنَّ أقْوامًا من أُمَّتي، يَأْتُونَ يَوْمَ القيامَةِ بِحَسَناتٍ أمْثالِ جِبالِ تِهامَةَ بيضًا، فَيَجْعَلُها اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **هَباءً مَنْثُورًا**».

قال ثَوْبانُ: يا رسولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنا، جَلِّهِمْ لَنا، أنْ لا نَكُونَ منهُمْ، ونَحْنُ لا نَعْلَمُ، قال: «**أما إنَّهُمْ إخْوانُكُمْ، ومن جِلْدَتِكُمْ، ويَأْخُذُونَ منَ اللَّيلِ كما تَأْخُذُونَ، ولكنَّهُمْ أقْوامٌ إذا خَلَوْا بِمَحارِمِ اللهِ انْتَهَكُوها**»(١).

* تضييعُ حقوقِ الناسِ، وأكلُ أموالِهم بالباطلِ، كتضييعِ الودائعِ، واختلاسِ الأموالِ، وأكلِ أموالِ اليتامَى، وخيانةِ صاحِبِ العملِ بعدَمِ إتقانِه، ونحوِ ذلكَ.

* إفشاءُ المسلمِ سِرَّ أخيهِ الذي ائتمَنَه عليه.

إلى غيرِ ذلك من صُوَرِ الخيانةِ.

وقال ابنُ الملَك رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَعَلَ الجوعَ ضجيعًا، والخيانةَ بطانةً؛ لملابسَتِهما بالإنسانِ، ملابسةَ ضجيعِه، وبطانَتِه»(٢).



(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وقال البوصيري في الزوائد (٤/ ٢٤٦): «هذا إسْناد صحيح، رجاله ثقات».
(٢) شرح المصابيح، لابن الملك (٣/ ٢١٦).



الحديث الثالث عشر:

عن مُسْلِمِ بنِ أبي بَكْرَةَ، أنَّهُ مَرَّ بِوالِدِهِ وهو يدعو ويقول: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ، والفَقْرِ، وعَذابِ القَبْرِ»**، قال: فَأخَذْتُهُنَّ عنه، وكُنْتُ أدْعو بهِنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ، قال: فَمَرَّ بي وأنا أدْعو بهِنَّ، فَقال: **«يا بُنَيَّ، أنَّى عَقَلْتَ هَؤُلاءِ الكَلِماتِ؟»** قال: يا أبَتاهُ، سَمِعْتُكَ تَدْعُو بهِنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ، فَأخَذْتُهُنَّ عنك، قال: **«فالزَمْهُنَّ يا بُنَيَّ؛ فَإنَّ رسولَ اللّهِ** ﷺ **كان يدعو بهِنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ»**[١].

كانَ النبيُّ ﷺ يَستعيذُ منَ الكُفْرِ، والفقرِ، وعذابِ القبرِ، في دُبُرِ الصلواتِ المكتوبةِ، وفي الصَّباحِ، والمساءِ أيضًا، فكان يقولُ: «**اللهُمَّ عافِني في بَدَني، اللهُمَّ عافِني في سَمْعي، اللهُمَّ عافِني في بَصَري، لا إلَهَ إلا أنْتَ**»، ثلاثًا، ويقول: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الكُفْرِ، والفَقْرِ، اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من عَذابِ القَبْرِ، لا إلَهَ إلا أنْتَ**»، ثلاثًا، إذا أصبحَ، وإذا أمسَى[٢].

ودُبُرُ الصَّلاةِ: يُحتمَلُ أنْ يكونَ آخرَ الصلاةِ قبلَ السلامِ، ويحتمَلُ أنْ يكونَ بعدَ السلامِ.

وقد ذكَرَ غيرُ واحدٍ من أهلِ العلمِ: أنَّ ما وردَ في النصوصِ مقيَّدًا بدُبُرِ الصلاةِ:

(١) رواه الإمام أحمد (٢٠٤٤٧)، والنسائي (١٣٤٧)، وقال محققو المسند: «إسناده قوي على شرط مسلم».
(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني.

فإنْ كان ذِكْرًا، كالتَّسبيحِ، والتَّحميدِ، والتَّكبيرِ، وقراءةِ آيةِ الكرسيِّ، فالمرادُ بدُبُرِ الصلاةِ: بَعْدها.

وإنْ كان دعاءً، فالمرادُ: آخِرها، قبلَ التسليمِ.

إلا إذا جاءَ ما يدلُّ على أنَّ هذا الدُّعاءَ المعيَّنَ يُقال بعدَ التسليمِ، كالاستغفارِ ثلاثًا، فإنَّه يكونُ بعدَ السلامِ.

سُئلَ الشيخُ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما المرادُ بدُبرِ الصلاةِ في الأحاديثِ التي وردَ فيها الحثُّ على الدُّعاءِ أو الذِّكْرِ دُبرَ كلِّ صلاةٍ؟ هَلْ هو آخرُ الصلاةِ، أو بعدَ السلامِ؟

فأجابَ:

«دُبرُ الصلاةِ يُطلَقُ على آخرِها قبلَ السلامِ، ويُطلَقُ على ما بعدَ السلامِ مباشرةً، وقد جاءَتِ الأحاديثُ الصحيحةُ بذلكَ، وأكثرُها يدلُّ على أنَّ المرادَ آخرُها قبلَ السلامِ، فيما يتعلَّقُ بالدُّعاءِ.

أمَّا الأذكارُ الواردةُ في ذلك «كالتَّسبيحِ، والتَّحميدِ، والتَّكبيرِ»، فقَدْ دلَّتِ الأحاديثُ الصحيحةُ على أنَّ ذلك في دبرِ الصلاةِ، بعدَ السلامِ»[1].

وقال الشيخُ ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتأمِّلُ في هذِه المسألةِ يتبيَّنُ له: أنَّ ما قُيِّدَ بدُبرِ الصلاةِ: إنْ كان ذِكْرًا، فهوَ بعدَها، وإنْ كان دعاءً، فهوَ في آخرِها.

أمَّا الأولُ: فلأنَّ اللهَ تعالى جعلَ ما بعدَ الصلاةِ محلًّا للذِّكْرِ؛ فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وجاءَتِ السُّنةُ مبيِّنةً لما أُجمِلَ في هذِه الآيةِ منَ الذِّكْرِ، مِثل قولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثًا وثلاثينَ**».

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١١/ ١٩٤-١٩٥)، باختصار.

فيُحمَلُ كلُّ نصٍّ في الذِّكرِ مقيدٍ بدُبرِ الصلاةِ على ما بعدَها؛ ليطابقَ الآيةَ الكريمةَ.

وأمَّا الثاني: فلأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعلَ ما بعدَ التشهُّدِ الأخيرِ محلًّا للدُّعاءِ، فيُحمَلُ كلُّ نصٍّ في الدُّعاءِ مقيدٍ بدُبُرِ الصلاةِ على آخرِها؛ ليكونَ الدُّعاءُ في المحلِّ الذي أرشدَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الدُّعاءِ فيهِ، إلا أنْ يكونَ حَمْلُ النصِّ على ذلك ممتنِعًا، أو بعيدًا، بمقتضَى السياقِ المعيَّنِ، فيُحمَلُ على ما يقتضيهِ السياقُ»[(١)].

وعليهِ: **فالرَّاجحُ**: أنَّ هذا الدُّعاءَ يكونُ آخرَ الصلاةِ، قبلَ السلامِ.

فاستعاذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ «**الكُفْرِ**» بكلِّ أنواعِه.

ثمَّ مِنَ «**الفقرِ**»، والمرادُ: فِتنةُ الفقرِ، وهو الفقرُ الذي لا يصحَبُه خيرٌ، ولا ورَعٌ، ولا رضًا بما قسمَ اللهُ له، ولا شُكْرٌ على نِعَمِ اللهِ، كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ**﴾ [الفجر: ١٦].

فهذا قد يَحْمِلُ صاحبَه على التسخُّطِ على أقدارِ اللهِ تعالى، والجَزَعِ، والحَسَدِ، وقد يجُرُّ إلى الكُفْرِ؛ ولِذا قرنَه بالكُفْرِ[(٢)].

وبعضُ الفقراءِ يتكلَّمُ بكلامِ الكُفْرِ، مِن شِدَّةِ تسخُّطِهِ على القدَرِ، وقد جلسَ أحدُهم على شاطئِ النَّهرِ برغيفٍ، ورأى مَن معَه مالٌ كثيرٌ، فرمى بالرَّغيفِ، وقال معترِضًا على قدَرِ اللهِ: «ما هَذه القِسْمةُ؟»[(٣)].

وقيلَ: المُرادُ: فَقْرُ القَلْبِ، المؤدِّي إلى كُفرانِ النِّعْمةِ[(٤)].

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٣/ ٢٦٨).

(٢) مرقاة المفاتيح (٥/ ١٧١٨)، فيض القدير (٢/ ١٣٥).

(٣) صيد الخاطر (ص٢٢٧).

(٤) مرقاة المفاتيح (٥/ ١٧١٨).

وقال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استعاذَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منَ الفقرِ، وقرنَه بالكفرِ، فقال: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منَ الكُفرِ، والفقرِ**»؛ فإنَّ الخيرَ نوعانِ:

خيرُ الآخرةِ، والكُفْرُ مُضادُّه.

وخيرُ الدُّنيا، والفقرُ مُضادُّه.

فالفقرُ سببُ عذابِ الدُّنيا، والكُفْرُ سببُ عذابِ الآخرةِ»[١].

ثمَّ استعاذَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من «**عذابِ القبرِ**»، وكان كثيرًا ما يَستعيذُ من عذابِ القبرِ، وخاصَّةً في الصلاةِ، وأمرَ أصحابَه بذلكَ؛ فعَنْ عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أنَّ يَهُوديَّةً دَخلَتْ عَلَيها، فَذَكَرَتْ عَذابَ القَبْرِ، فقالت لَها: أعاذَكِ اللهُ من عَذابِ القَبْرِ، فَسَألَتْ عائِشَةُ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن عَذابِ القَبْرِ، فَقال: «**نَعَمْ، عَذابُ القَبْرِ حَقٌّ**».

قالت عائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: فَما رَأيتُ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلاةً، إلا تَعَوَّذَ من عَذابِ القَبْرِ[٢].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ، عن زَيدِ بنِ ثابتٍ، عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ هذه الأُمَّةَ تُبْتَلى في قُبُورِها، فَلَوْلا أنْ لا تَدافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أنْ يُسْمِعَكُمْ من عَذابِ القَبْرِ الذي أسْمَعُ منهُ**»، ثُمَّ أقْبَلَ عَلَينا بِوَجْهِهِ، فَقال:

«**تَعَوَّذُوا باللهِ من عَذابِ النَّارِ**» قالوا: نَعُوذُ باللهِ من عَذابِ النَّارِ.

فَقال: «**تَعَوَّذُوا باللهِ من عَذابِ القَبْرِ**» قالوا: نَعُوذُ باللهِ من عَذابِ القَبْرِ.

قال: «**تَعَوَّذُوا باللهِ منَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها، وما بَطَنَ**» قالوا: نَعُوذُ باللهِ منَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها، وما بَطَنَ.

---

(١) عدة الصابرين (ص٢٦١).

(٢) رواه البخاري (١٣٧٢)، ومسلم (٥٨٦).

قال: «**تَعَوَّذُوا باللهِ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» قالوا: نَعُوذُ باللهِ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ[١].

وفي الحديثِ منَ الفوائدِ:

* حثُّ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أبناءَهم على لُزومِ السُّنةِ، والاقتداءِ بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ منَ الكفرِ، والفقرِ، وهما سببا شقاءِ العبدِ في دُنياهُ، وأُخراهُ، ومن عذابِ القبرِ، فاستعاذَ باللهِ من شرِّ الحياةِ في الدورِ الثلاثةِ: دارِ الدُّنيا، ودارِ الآخرةِ، ودارِ البرزخِ.

* أهميةُ هذِه الاستعاذاتِ الواردةِ، حيثُ كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بها في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ، وأمرَ الصحابيَّ ابنَه بلُزومِها.



(١) رواه مسلم (٢٨٦٧).



الحديث الرابع عشر:

عَنِ الشَّعْبيِّ، عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَالِلَّهُعَنهَا، قالت: ما خَرَجَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من بَيتي قَطُّ إلا قال: **«اللهُمَّ أعُوذُ بكَ أنْ أضِلَّ، أو أُضَلَّ، أو أزِلَّ، أو أُزَلَّ، أو أظْلِمَ، أو أُظْلَمَ، أو أجْهَلَ، أو يُجْهَلَ عَلَيَّ»**[1].

ورواهُ الترمذيُّ، ولفظُه: أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان إذا خَرَجَ من بَيتِهِ قال: **«بِسْمِ اللّهِ، تَوَكَّلْتُ على اللّهِ، اللهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بكَ من أنْ نَزِلَّ، أو نَضِلَّ، أو نَظْلِمَ، أو نُظْلَمَ، أو نَجْهَلَ، أو يُجْهَلَ عَلَينا»**[2].

وقد أفادَ الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ عدَّةَ فوائدَ حولَ هذا الحديثِ، منها:

* أنَّ الراجحَ سماعُ الشَّعبيِّ من أمِّ سلمةَ رَضِيَالِلَّهُعَنهَا، فإنَّه عاصرَها، وأدركَ عُمرًا طيِّبًا من حياتِها.

* أنَّ ما وردَ في بعضِ الرواياتِ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يقولُ هذا الذِّكْرَ، وهو رافعٌ طرفَه إلى السماءِ، شاذٌّ لا يصحُّ.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٤)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٢٧). وقد صحح هذا الحديث: الترمذي، والحاكم، والذهبي، والنووي، والألباني، وحسنه الحافظ، وأعل بالانقطاع بين الشعبي، وأم سلمة، فقد ذكر ابن المديني أنه لم يسمعْ منها، وصحح الحاكم سماعه منها.

* أنَّ زيادةَ: «**بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ على اللهِ**» في أولِه، ثابتةٌ صحيحةٌ.

* أنَّ ما وردَ في بعضِ الرواياتِ من كونِ النبيِّ ﷺ كان يقولُ هذا الذِّكرَ إذا خرجَ من بيتِه صباحًا، لا يصحُّ.

* أنَّ ما وردَ في بعضِ الرواياتِ: «**إذا خرَجْتَ من منزلِكَ، فقُلْ:...**» خطأٌ، والصوابُ: أنَّه من فعلِه ﷺ.

* أنَّ أكثرَ الرواةِ على إفرادِ الأفعالِ فيهِ، كما في روايةِ أبي داودَ المذكورةِ.

وعن أنَسِ بنِ مالِكٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «**إذا خَرَجَ الرَّجُلُ من بَيتِهِ، فَقال: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ على اللهِ، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، فَيُقال له: حَسْبُكَ، قَدْ كُفيتَ، وهُديتَ، ووُقيتَ، فَيَلْقَى الشَّيطانُ شَيطانًا آخَرَ، فَيقولُ له: كَيفَ لك بِرَجُلٍ قَدْ كُفيَ، وهُديَ، ووُقيَ؟**»[1].

فالعبدُ إذا خرجَ من بيتِه، قد يتعرَّضُ لحصولِ الضررِ، والشرورِ، والفتنِ، منَ الناسِ، ومنَ الشَّياطينِ، فاحتاجَ إلى أنْ يَستعيذَ باللهِ من حصولِها، أو أنْ يتسبَّبَ هو في حُصولِ شيءٍ من ذلك لغيرِه.

فإذا حفظَ العبدُ أمرَ ربِّه، وحافظَ على هذِه الأذكارِ، والتعويذاتِ الشرعيةِ، فإنَّ اللهَ يقيهِ شرَّ هذِه الفتنِ، والمخاطرِ، والآثامِ، وشرَّ الشياطينِ، ويكفيهِ، ويهديهِ، ويحفظُه من نفسِه، ومن غوائِلِ الشَّياطينِ، وأذَى الناسِ.

قولُه: «**اللهُمَّ أعُوذُ بكَ أنْ أضِلَّ**» بنفسي، منَ الضلالةِ، أي: عن الهُدَى.

«**أو أُضَلَّ**» أي: يُضِلَّني أحدٌ.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه الألباني.

«أو أزِلَّ» منَ الزَّلَلِ، أي: عن الحقِّ، والزَّلَّةُ: الخَطيئةُ، والسّقطةُ.

«أو أُزَلَّ» أي: يُزِلَّني أحدٌ.

«أو أظْلِمَ» أحدًا.

«أو أُظْلَمَ» من أحدٍ.

«أو أجْهَلَ» أمورَ الدِّينِ، أو حقوقَ اللهِ، أو حقوقَ الناسِ، أو معرفةَ اللهِ، أو في المُعاشرَةِ والمُخالَطةِ معَ الأصحابِ.

أو نفعلَ بالناسِ فِعْلَ الجُهَّالِ، منَ الإيذاءِ، وإيصالِ الضَّرَرِ إليهم.

«أو يُجْهَلَ عَلَيَّ» أي: يفعلَ الناسُ بنا أفعالَ الجُهَّالِ، من إيصالِ الضررِ إلينا.

وقال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الإنسانَ إذا خَرَجَ من مَنْزِلِهِ، لا بُدَّ أنْ يُعاشِرَ النَّاسَ، ويُزاوِلَ الأمْرَ، فَيَخاف أنْ يَعْدِلَ عن الصِّراطِ المُسْتَقيمِ، فَإمَّا أنْ يكونَ في أمْرِ الدِّينِ، فَلا يَخْلُو من أنْ يَضِلَّ، أو يُضَلَّ، وإمَّا أنْ يكونَ في أمْرِ الدُّنْيا، فَإمَّا بِسَبَبِ جَرَيانِ المُعامَلَةِ مَعَهُمْ، بِأنْ يَظْلِمَ، أو يُظْلَمَ، وإمَّا بِسَبَبِ الاِخْتِلاطِ، والمُصاحَبَةِ، فَإمَّا أنْ يَجْهَلَ، أو يُجْهَلَ، فاسْتُعيذَ من هذه الأحْوالِ كُلِّها، بِلَفْظٍ سَلِسٍ مُوجَزٍ، ورُوعيَ المُطابَقَةُ المَعْنَوِيَّةُ، والمُشاكَلَةُ اللَّفْظِيَّةُ»[1].

فانتظمَ هذانِ الذِّكرانِ عندَ الخروجِ منَ المنزلِ: الاستعاذةَ باللهِ تعالى من شرِّ الشَّيطانِ، وشرِّ النَّفسِ، وشرِّ الناسِ، وفي هذا تمامُ الإحاطةِ بالحفظِ، والوقايةِ من كافَّةِ الشرورِ والآثامِ، منَ الضلالِ، والبَغْيِ، والظُّلمِ، والجهلِ، وغيرِ ذلكَ، والإنسانُ

---

(١) شرح المشكاة (٦/ ١٩٠٤)، وينظر: مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٩٤)، تحفة الأحوذي (٩/ ٢٧١)، إكمال الإعلام (١/ ٢٨١).

عرضةٌ أنْ يصيبَه شيءٌ من ذلك إذا خرجَ من بيتِه، واختلطَ بالناسِ، وتعرَّضَ للفتنةِ، فناسبَ أنْ يَستعيذَ باللهِ من كلِّ هذِه المخاوفِ، واللهُ تعالى يقي عبدَه المؤمنَ السُّوءَ، ويحفظُه منَ الفتنِ.





الحديث الخامس عشر:

عَنْ عبدِ اللّهِ بنِ عَمْرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسولَ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بِهَؤُلاءِ الكَلِماتِ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من غَلَبَةِ الدَّينِ، وغَلَبَةِ العَدُوِّ، وشَماتَةِ الأعْداءِ»**[1].

استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من **«غَلَبَةِ الدَّينِ»** يعني: ثِقلَه، وشِدَّتَه، حيثُ لا قُدرَةَ على قضائِه، لا سيَّما معَ طلبِ الدائِنِ.

وهو هَمٌّ بالليلِ، وذُلٌّ بالنَّهارِ، وقد يترتَّبُ عليه مفاسدُ كثيرةٌ، كإخلافِ المواعيدِ، وتعمُّدِ الكذِبِ، والانشغالِ عن الطاعاتِ.

وهو «المَغْرَمُ»، و«ضَلَعُ الدَّينِ»، الذي كان يَستعيذُ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديثَ أخرَى، كما سيأتي إنْ شاءَ اللهُ.

والاستعاذةُ إنَّما تكونُ من غَلبَةِ الدَّينِ، أمَّا ما يَغْلِبُ في ظنِّه أنَّه يتمكَّنُ من قضائِه، فلا يُستعاذُ منه؛ لأنَّه يحتاجُ إليه كثيرٌ منَ الناسِ، وقد استدانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابةُ بعدَه.

وقولُه: **«وَغَلَبَةِ العَدُوِّ»**:

---

(١) رواه النسائي (٥٤٧٥)، وصححه الألباني.



يعني: قَهْرَه، وتسلُّطَه بالباطلِ، في أمرٍ دينيٍّ، أو دُنيويٍّ، كما جاءَ في حديثٍ آخرَ: «وقَهْرِ الرِّجالِ»[١]، مِثل: غَصْب الظالِمِ لحقِّ غيرِه، معَ عدَمِ القُدرةِ على الانتِصارِ، أو انْتِصار المُشرِكينَ على المُسلِمينَ، ونَحْو ذلكَ[٢].

وقد ذكرَ العلماءُ ضابطًا للعدُوِّ، فقالوا: «مَنْ يفرَحُ بالمصيبةِ، ويحزَنُ بالمَسرَّةِ».

فكلُّ إنسانٍ يسرُّه ما ساءَكَ، أو يغمُّه فرحُكَ، فهوَ عدوٌّ لكَ[٣].

وغَلَبَةُ العَدُوِّ مِن أشدِّ الأشياءِ مرارةً، وقساوةً على النفسِ، خاصَّةً إذا كان عدوًّا لأهلِ الإسلامِ، ومن دُعاءِ المؤمنينَ: ﴿**أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال قومُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿**رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [يونس: ٨٥].

«أي: لا تسلِّطْهم علينا، فيفتِنُونا، أو يغلِبُونا، فَيفتَتِنُونَ بذلكَ، ويقولون: لو كانُوا على حقٍّ لما غُلِبُوا»[٤].

وفي حديثِ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -ويأتي إنْ شاءَ اللهُ-، قال: كُنتُ أسمَعُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا يقولُ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من الهَمِّ، والحَزَنِ، والعَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، وضَلَعِ الدَّينِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ**»[٥].

قال الحافظُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**غَلَبَةِ الرِّجالِ**» أي: شِدَّةِ تَسَلُّطِهِمْ»[٦].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٨٤)، وصححه الألباني.

(٢) البدر التمام، للمغربي (١٠/ ٤٥٩)، التنوير، للصنعاني (٣/ ١٦٨).

(٣) فيض القدير (٢/ ١٤٧)، شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٦/ ٢٤).

(٤) تفسير السعدي (ص٣٧٢).

(٥) رواه البخاري (٢٨٩٣).

(٦) فتح الباري (١١/ ١٧٤).

وأنواعُ التسلُّطاتِ والتحكُّماتِ في هذِه الدُّنيا كثيرةٌ، فمَنْ غلبَه شيءٌ، فليستعِذْ باللهِ، ولْيلجَأْ إليه، ولْيقُلْ: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من غلبَةِ الرِّجالِ**».

فالرَّجلُ في عملِه، قد يتسلَّطُ عليه رئيسُه بغيرِ الحقِّ، فيظلمُه، ويبْخسُه حقَّه.

والمرأةُ قد تُبتلى بوليٍّ أو زوجٍ ظالمٍ، يسيءُ معاملتَها، ويذهَبُ بمالِها.

والمظلومُ قد يتسلَّطُ عليه والٍ ظالمٌ، فيحبِسُه، أو يضربُه، وليسَ له مَنْ ينصرُه.

وقد يستدينُ الرجُلُ، ويكونُ الدائنُ ظالِمًا، فيقهرُه بالباطلِ، بأنْ يزيدَ عليه زيادةً رِبويَّةً -مثلًا- إنْ تأخَّرَ في السَّدادِ، ولا يُنْظِرَه، أو يَسْجُنَه معَ إعسارِه.

فمثلُ هؤلاءِ يستعيذُونَ باللهِ من غلبةِ الرجالِ، وقهرِ الرِّجالِ.

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضَلَعُ الدَّينِ، وقَهْرُ الرِّجالِ، قَرينانِ؛ فَإنَّ اسْتِعْلاءَ الغَيرِ عليه: إنْ كان بِحَقٍّ؛ فهوَ من ضَلَعِ الدَّينِ، وإنْ كان بِباطِلٍ، فهوَ من قَهْرِ الرِّجالِ»[1].

وقال أيضًا: «وضَلَعُ الدَّينِ، وقهرُ الرِّجالِ، قرينانِ، وهما مُؤْلِمانِ للنفسِ، مُعَذِّبانِ لها، أحدُهما: قَهْرٌ بحقٍّ، وهو ضَلَعُ الدَّينِ، والثاني: قَهْرٌ بباطلٍ، وهو غَلَبَةُ الرِّجالِ.

وأيضًا، فضَلَعُ الدَّينِ قَهْرٌ بسَبَبٍ منَ العبدِ في الغالبِ، وغَلَبَةُ الرِّجالِ قَهْرٌ بغيرِ اختيارِه»[2].

ثمَّ استعاذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من «**شَماتَةِ الأعْداءِ**»:

يعني: فرحَ الأعداءِ بالبليَّةِ التي تصيبُ الشخصَ، وحُزنَهم بالفرحِ الذي يُصيبُه،

---

(١) الجواب الكافي (ص٧٣).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٧).

وهو ممَّا يؤثِّرُ في القلبِ، ويبلُغُ منَ النفسِ أشدَّ مبلغٍ، وقد يؤدِّي إلى العداوةِ، والبَغضاء، والحسَدِ، وقد يُفضي إلى الانتقامِ، والقتلِ؛ لهذا استُعيذَ منه لخطورتِه.

وقد حكَى اللهُ تعالى قولَ هارونَ لأخيهِ موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وصحَّ عن أيُّوبَ، قال: دَخَلَ عمرُ بنُ عبدِ العَزيزِ على أبي قِلابَةَ يَعُودُهُ، فَقال له: «يا أبا قِلابَةَ، تَشَدَّدْ، ولا تُشْمِتْ بِنا المُنافِقينَ»[١].

وذَكَرُوا أَنَّهُ هاجَتْ ريحٌ شَديدَةٌ في زَمَنِ المَهْديِّ، فَدَخَلَ المَهْديُّ بَيتًا في دارِه، فَأَلْزَقَ خَدَّهُ بالتُّرابِ، وجَعلَ يَتضرَّعُ إلى اللهِ، ويقول: «اللهُمَّ لا تُشْمِتْ بيَ الأعْداءَ من أَهْلِ الأدْيانِ»، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى انْجَلَتْ[٢].

وختمَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاستعاذَةَ بهذِه الكلمةِ البديعةِ؛ لكونِها جامعةً، مُتضمِّنةً لسؤالِ الحِفظِ من جميعِ المعاصي[٣].



(١) صفة النفاق وذم المنافقين، للفريابي (٥٦).

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ٥٤٤).

(٣) فيض القدير (٢/ ١٤٧).

الحديث السادس عشر:

عَنْ عَليٍّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ صَلَّى عليه وسَلَّمَ كان يقولُ في آخِرِ وِتْرِه: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِرِضاكَ من سَخطِكَ، وبِمُعافاتِكَ من عُقُوبَتِك، وأعُوذُ بكَ منكَ، لا أُحْصي ثَناءً عليك، أنْتَ كما أثْنَيت على نَفْسِكَ»**[١].

وعن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: فَقَدْتُ رسولَ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيلَةً منَ الفِراشِ، فالتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدي على بَطْنِ قَدَمَيهِ وهو في المَسْجِدِ، وهُما مَنْصُوبَتانِ، وهو يقولُ: **«اللهُمَّ أعُوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ، وبِمُعافاتِكَ من عُقُوبَتِكَ، وأعُوذُ بكَ منكَ، لا أُحْصي ثَناءً عليك، أنْتَ كما أثْنَيتَ على نَفْسِكَ»**[٢].

قال أبو سُليمانَ الخطَّابيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الكلامِ معنى لطيفٌ، وهو أنَّه قدِ استعاذَ باللهِ، وسألَه أنْ يُجيزَهُ برضاهُ من سخطِهِ، وبمعافاتِه من عقوبَتِه، والرِّضاءُ والسخطُ، ضدَّانِ متقابلانِ، وكذلكَ المعافاةُ والمؤاخذةُ بالعقوبةِ، فلمَّا صارَ إلى ذِكْرِ ما لا ضِدَّ لَه، وهو اللهُ سبحانَه، استعاذَ به منه لا غيرَ، ومعنى ذلكَ: الاستغفارُ منَ التقصيرِ في بلوغِ الواجبِ من حقِّ عبادَتِه، والثناءِ عليهِ»[٣].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، وحسنه، والنسائي (١٧٤٧)، وابن ماجه (١١٧٩)، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٤٨٦).

(٣) معالم السنن (١/ ٢١٤).



وقال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغَضَبُ، والرِّضا، والعَفْوُ، والعقوبةُ، لَمَّا كانت متقابلةً؛ استعاذَ بأحدَهِما منَ الآخرِ.

فلَمَّا جاءَ إلى الذَّاتِ المقدَّسةِ، التي لا ضِدَّ لها، ولا مُقابِلَ، قال: «**وأعوذُ بكَ مِنكَ**».

فاستعاذَ بصفةِ الرِّضا من صفةِ الغَضَبِ، وبفِعْلِ العَفْوِ من فِعْلِ العقوبةِ، وبالموصوفِ بهذِه الصِّفاتِ، والأفعالِ، منه، وهذا يتضمَّنُ كمالَ الإثباتِ للقدَرِ، والتوحيدِ، بأوجَزِ لفظٍ، وأخصَرِه»[١].

«فهوَ سبحانه الذي يُعيذُ عبدَهُ، ويُنجيهِ من بَأْسِهِ، الذي هو بِمَشيئَتِهِ، وقُدْرَتِهِ، فَمنهُ البَلاءُ، ومنهُ الإعانَةُ، وإليه الاِلتِجاءُ في النَّجاةِ، فهوَ الذي يُلْجَأُ إليه في أنْ يُنْجيَ مِمَّا منه، ويُسْتَعاذُ به مِمَّا منه، فهوَ رَبُّ كُلِّ شيءٍ، ولا يكونُ شيءٌ إلا بِمَشيئَتِهِ، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]»[٢].

وقال الحافظُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبدُ إذا خافَ من مَخْلُوقٍ، هَرَبَ منه، وفَرَّ إلى غَيرِهِ، وأَمَّا مَنْ خافَ منَ اللهِ، فَما له من مَلْجَأٍ يَلْجَأُ إليه، ولا مَهْرَبٍ يَهْرُبُ إليه، إلا هو، فَيَهْرُبُ منه إليه، كما كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ في دُعائِهِ «**لا مَلْجَأ، ولا مَنْجا منكَ إلا إلَيكَ**»[٣]، وكان يقولُ: «**أعُوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ، وبِعَفْوِكَ من عُقُوبَتِكَ، وبِكَ منكَ**»[٤].

---

(١) شفاء العليل (ص٢٧٢).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٢٢٤).

(٣) رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٥).

وقولُه: **«لا أُحْصي ثَناءً عليكَ»:**

قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا أُطيقُهُ، ولا آتي عليه، وقيلَ: لا أُحيطُ به، وقال مالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعالى: «مَعْناهُ: لا أُحْصي نِعْمَتَكَ، وإحْسانَكَ، والثَّناءَ بِها عليك، وإنْ اجْتَهَدْتُ في الثَّناءِ عليكَ»[1].

وقال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أُطيقُ أنْ أعُدَّ وأُحْصِرَ فَرْدًا من أفرادِ الثَّناءِ الواجِبِ لك عَلَيَّ، في كُلِّ لَحْظَةٍ، وذَرَّةٍ؛ إذْ لا تَخْلُو لمحَةٌ قَطُّ من وُصُولِ إحْسانٍ منكَ إلَيَّ، وكُلُّ ذَرَّةٍ من تِلْكَ الذَّرَّاتِ، لو أرَدْتُ أنْ أُحْصِيَ ما في طَيِّها منَ النِّعَمِ، لَعَجَزْتُ لِكَثْرَتِها جِدًّا، قال اللهُ تَعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] فَأنا العاجِزُ عن قيامِ شُكْرِكَ، فَأسْأَلُكَ رِضاكَ، وعَفْوَكَ»[2].

«أنْتَ كما أثْنَيتَ على نَفْسِكَ»:

قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ميرَكُ: قيلَ: يُحْتَمَلُ أنَّ «الكافَ» زائِدَةٌ، والمعنى: أنْتَ الذي أثْنَيتَ على نَفْسِكَ، وقال بَعْضُ العُلَماءِ: «ما» في «كَما» مَوْصُوفَةٌ، أو مَوْصُولَةٌ، و«الكافُ» بِمعنى المثلِ، أي: أنْتَ الذَّاتُ التي لَها صِفاتُ الجَلالِ، والإكْرامِ، ولَها العِلْمُ الشَّامِلُ، والقُدْرَةُ الكامِلَةُ، أنْتَ تَقْدِرُ على إحْصاءِ ثَنائِكَ، وهذا الثَّناءُ إمَّا بالقولِ، وإمَّا بالفِعْلِ»[3].

وفي هذا اعترافٌ بأنَّ شأنَه، وعَظَمَتَه، ونعوتَ كمالِه، وصفاتِه، أعظمُ وأجَلُّ من أنْ يُحصيَها أحدٌ منَ الخَلْقِ، ولكمالِ مَعْرِفَتِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأسماءِ اللهِ، وصفاتِه، استدلَّ بما عرَفَه منها على أنَّ الأمرَ فوقَ ما أحصاهُ، وعَلِمَه.

---

(١) شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٠٤).

(٢) مرقاة المفاتيح (٢/ ٧٢٢).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٩٥٣).

وأنَّه لا يبلُغُ أحدٌ حقيقةَ الثناءِ عليه إلا هو سبحانَه، فهوَ أعلَمُ بنفسِه من غيرِه، لكثرةِ أسمائِه، وصفاتِ كمالِه، ونعوتِ جلالِه سبحانَه.

وله سبحانه أسماءٌ، وأوصافٌ، وحمدٌ، وثناءٌ، لا يَعْلَمُه مَلَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ، ونِسْبةُ ما يَعلمُ العبادُ من ذلك إلى ما لا يَعلمونَه، كنَقرةِ عُصفورٍ في بَحْرٍ، فلا يُحْصي أحدٌ مِن خَلْقِه ثناءً عليه ألبتَّةَ.

وثناءُ الرَّبِّ سبحانه على نفسِه، وحَمْدُه لنفسِه، وتمجيدُه لنفسِه، ومحبَّتُه لنفسِه، ورضاهُ عن نفسِه، فوقَ ما يخطُرُ ببالِ الخَلْقِ، أو يدورُ في قلوبِهم، أو تَجري به ألسِنَتُهم.

فَوَكَلَ ذلك إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المحيطِ بكلِّ شيءٍ جملةً، وتفصيلًا، وكما أنَّه لا نهايةَ لصفاتِه، لا نهايةَ للثناءِ عليهِ؛ لأنَّ الثناءَ تابعٌ للمَثنيّ عليه، وكلُّ ثناءٍ أُثنيَ به عليهِ -وإنْ كثُرَ، وطالَ، وبُولِغَ فيهِ- فقَدْرُ اللهِ أعظمُ، وسُلْطانُه أعزُّ، وصفاتُه أكبرُ وأكثرُ، وفضلُه وإحسانُه أوسَعُ وأسبَغُ.

وهذا توحيدٌ في الأسماءِ، والصفاتِ، والنُّعوتِ، مضادٌّ للتعطيلِ، والاستعاذةُ قبلَه، وإفرادُه بالخوفِ، والرَّجاءِ، توحيدٌ في العبوديَّةِ، والتألُّهِ، وهو مُضادٌّ للشِّرْكِ[1].



(١) شرح النووي (٤/ ٢٠٤)، الصواعق المرسلة (٣/ ٩٨٣، ٤/ ١٤٥٦)، طريق الهجرتين (ص١٣٦)، مدارج السالكين (٣/ ٢٢٢)، شفاء العليل (ص٢٧٣).

الحديث السابع عشر:

عَنْ عبدِ اللّهِ بنِ سَرْجِسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **«كانَ رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سافَرَ يَتَعَوَّذُ من وعْثاءِ السَّفرِ، وكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ، ودَعْوَةِ المَظْلُومِ، وسُوءِ المَنْظَرِ في الأهْلِ، والمالِ»**(١).

وفي روايةٍ:

كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سافَرَ يقولُ: **«اللهُمَّ أنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخَليفَةُ في الأهْلِ، اللهُمَّ اصْحَبْنا في سَفَرِنا، واخْلُفْنا في أهْلِنا، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من وعْثاءِ السَّفَرَ، وكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، ومنَ الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ، ومن دَعْوَةِ المَظْلُومِ، ومن سُوءِ المَنْظَرِ في الأهْلِ، والمالِ»**(٢).

وعن عَليٍّ الأزْديِّ، أنَّ ابْنَ عمرَ عَلَّمَهُمْ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اسْتَوَى على بَعيرِهِ خارِجًا إلى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قال: «**سُبْحانَ الذي سَخَّرَ لَنا هذا، وما كُنَّا له مُقْرِنينَ، وإنَّا إلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنا هذا البِرَّ، والتَّقْوَى،**

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٣٩)، وصححه.



ومنَ العَمَلِ ما تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَينا سَفَرَنا هذا، واطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخَليفَةُ في الأهْلِ، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من وعْثاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ المَنْظَرِ، وسُوءِ المُنْقَلَبِ في المالِ، والأهْلِ».

وإذا رَجَعَ قالَهُنَّ، وزادَ فيهِنَّ: «**آيِبُونَ، تائِبُونَ، عابِدُونَ، لِرَبِّنا حامِدُونَ**»[1].

كانَ النبيُّ ﷺ يَستعيذُ باللهِ تعالى من هذِه الأمورِ في السَّفرِ:

«وَعْثاءِ السَّفَرِ» هو شِدَّةُ السَّفَرِ، ومشقَّتُه.

«وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ» يعني: تغيُّرَ النفسِ من حُزْنٍ، ونَحْوِه.

والمُنقلَبُ: المَرْجِعُ، بأنْ ينقَلِبَ من سفرِه إلى أهلِه بأمرٍ يكتَئِبُ منه، بسببِ أمرٍ أصابَه في سفرِه، أو بعدَه، مثل: أن يُصيبَه في طريقِه مَرَضٌ، أو ينالَه خُسرانٌ، أو يرجعَ غيرَ مقضيِّ الحاجةِ، أو يأتيَ أهلَه فيجدَهم مَرْضَى، أو يكونَ قد هلكَ بعضُهم، وما شابهَ ذلك منَ الأمورِ التي يكتئبُ منها الإنسانُ.

و **«الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ»**:

وفي روايةٍ لمسلمٍ، وغيرِه: «بَعْدَ الكَوْنِ»:

قال الترمذيُّ عقِبَ روايتِه بلفظِ: «الكَوْرِ»: «وَيُرْوَى «الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ» أيضًا، ومعنى قولِهِ: «الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ»، أو «الكَوْرِ»، وكِلاهُما له وجْهٌ، يُقال: إنَّما هو الرُّجُوعُ منَ الإيمانِ إلى الكُفْرِ، أو منَ الطَّاعَةِ إلى المَعْصيَةِ، إنَّما يَعْني: الرُّجُوعَ من شيءٍ، إلى شيءٍ منَ الشَّرِّ».

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٢).

قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَكَذا قال غَيرُهُ منَ العُلَماءِ: مَعْناهُ- بالرَّاءِ والنُّونِ جَميعًا-: الرُّجُوعُ من الاِسْتِقامَةِ أو الزِّيادَةِ إلى النَّقْصِ، قالوا: ورِوايَةُ الرَّاءِ مَأْخُوذَةٌ من تكويرِ العِمامَةِ، وهو لَفُّها، وجَمْعُها، ورِوايَةُ النُّونِ مَأْخُوذَةٌ منَ الكَوْنِ، مَصْدَر: كانَ، يكونُ، كَوْنًا، إذا وُجِدَ، واسْتَقَرَّ.

قال المازِريُّ في رِوايَةِ الرَّاءِ: قيلَ أيضًا: إنَّ مَعْناهُ: أعُوذُ بكَ منَ الرُّجُوعِ عن الجَماعَةِ، بَعْدَ أنْ كُنَّا فيها، يُقال: كارَ عِمامَتَهُ، إذا لَفَّها، وحارَها، إذا نَقَضَها.

وقيلَ: نَعُوذُ بكَ من أنْ تفْسَدَ أمُورُنا بَعْدَ صَلاحِها، كَفَسادِ العِمامَةِ بَعْدَ اسْتِقامَتِها على الرَّأْسِ.

وعلى رِوايَةِ النُّونِ، قال أبو عُبَيدٍ: سُئِلَ عاصِمٌ عن مَعْناهُ، فَقال: ألَمْ تَسْمَعْ قولَهُمْ: حارَ بَعْدَ ما كانَ، أي: أنَّهُ كان على حالَةٍ جَميلَةٍ، فَرَجَعَ عَنْها»[١].

وقال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَولُه: «والحَوْرِ بعدَ الكَوْنِ» الحَوْرُ: الرُّجُوعُ عن الاسْتقامَةِ، والحالةِ الجميلةِ، بعدَ أنْ كان عَلَيها، وفي بعض الرِّوايات: «بعدَ الكَوْرِ» بالراءِ، قيلَ: مَعْناهُ: أنْ يعودَ إلى النُّقْصانِ بعدَ الزِّيادَةِ، وقيلَ: منَ الرُّجُوعِ عن الجَماعَةِ المُحقَّةِ بعدَ أنْ كان فيها، يُقال: كان في الكَوْرِ: أي في الجَماعَةِ، شبَّه اجْتِماعَ الجَماعَةِ باجتماعِ العِمامَةِ إذا لُفَّتْ.

وحكَى الحَرْبِيُّ أنَّه يُقال: كارَ عمامَتَه: إذا لفَّها، وحارَ عمامَتَه: إذا نَقضَها.

وقال بعضُ العلماءِ: يجوزُ أنْ يُرادَ من ذلك الاِسْتِعارَةُ لفسادِ الأُمُورِ، وانتقاضِها بعدَ صَلاحِها، واستقامتِها، كانتقاضِ العِمامَةِ بعدَ ثباتِها على الرَّأْسِ»[٢].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٩/ ١١٢).

(٢) كشف المشكل (٤/ ٢٣٧).

وقال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكَوْنُ: مَصْدَرُ «كانَ» التامَّةِ، يُقال: كانَ، يكونُ، كَوْنًا: أي وُجِدَ، واسْتَقرَّ، أي: أعُوذُ بكَ منَ النَّقْصِ بَعْدَ الوجُودِ، والثَّباتِ»(١).

و«دَعْوَةِ المَظْلُومِ»:

«أي: أعوذُ بكَ منَ الظُّلْمِ؛ فإنَّه يترتَّبُ عليه دُعاءُ المظلومِ، ودعوةُ المظلومِ ليس بينَها وبينَ اللهِ حِجابٌ، ففيهِ: التحذيرُ من الظُّلْمِ، ومنَ التعرُّضِ لأسبابِه»(٢).

واستعاذَ من دَعوةِ المظلومِ في السَّفرِ، معَ أنَّه يُستعاذُ منها في الحضَرِ، والسَّفرِ؛ لأنَّ السَّفرَ مَظِنَّةُ البلايا، والمصائبِ، والمشقَّة فيه أكثرُ، فقَدْ يحصُلُ فيه التعدِّي على حقِّ الرُّفْقةِ، وغيرِهم، خاصَّةً معَ قلَّةِ الطَّعامِ، والشَّرابِ.

ولأنَّ المظلومَ إذا كان مُسافِرًا يكونُ دُعاؤُه أقربَ إلى الإجابةِ؛ لاجتماعِ الكُرْبَةِ، والغُرْبةِ، فيُستعاذُ من دَعْوَتِه(٣).

«وسُوءِ المَنْظَرِ في الأهْلِ، والمالِ»: كلُّ ما يَسوءُ النظرُ إليه، وسَماعُه في الأهلِ، والمالِ(٤).

وقولُه في الرِّوايةِ الأخرَى: «وَكَآبَةِ المَنْظَرِ» أي: تغيُّرُ النفسِ بالانكسارِ من شِدَّةِ الحُزْنِ.

وقيلَ: المرادُ منه: الاستعاذةُ من كلِّ منظرٍ تعقُبُه الكآبةُ عندَ النظرِ إليه(٥).

---

(١) النهاية (٤/ ٢١١).
(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ١١٢).
(٣) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٨١).
(٤) التمهيد (٢٤/ ٣٥٢).
(٥) شرح المشكاة (٦/ ١٨٩٣).

أمَّا قولُه: «اللهُمَّ أنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخَليفَةُ في الأهْلِ، اللهُمَّ اصْحَبْنا في سَفَرِنا، واخْلُفْنا في أهْلِنا»:

قال المباركفوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**اللهُمَّ أنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ**» أيِ: الحافِظُ، والمُعينُ، والصَّاحِبُ في الأصْلِ: المُلازِمُ، والمُرادُ: مُصاحَبَةُ اللهِ إيَّاهُ بالعِنايَةِ، والحِفْظِ، والرِّعايَةِ، فَنَبَّهَ بهذا القولِ على الاِعْتِمادِ عليه، والاِكْتِفاءِ به، عن كُلِّ مُصاحِبٍ سِواهُ.

«والخَليفَةُ في الأهْلِ» الخَليفَةُ: مَنْ يَقُومُ مَقامَ أحَدٍ في إصْلاحِ أمْرِهِ.

قال التُّورِبِشْتيُّ: «المعنى: أنْتَ الذي أرْجُوهُ، وأعْتَمِدُ عليه في سَفَري، بِأنْ يكونَ مُعيني، وحافِظي، وفي غيبَتي عن أهْلي، أنْ تَلُمَّ شَعَثَهُمْ، وتُداويَ سَقَمَهُمْ، وتَحْفَظَ عَلَيهِمْ دينَهُمْ، وأمانَتَهُمْ»[1].

وهو سبحانه يكونُ معَ المسافِرِ، ويكونُ معَ أهلِه الذينَ تركَهُم في بلدِه، وهو على عرشِه عَزَّوَجَلَّ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهوَ مَعَ المُسافِرِ في سَفَرِهِ، ومَعَ أهْلِهِ في وطَنِهِ، ولا يَلْزَمُ من هذا أنْ تَكُونَ ذاتُهُ مُخْتَلِطَةً بِذَواتِهِمْ، كما قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] أي: على الإيمانِ، لا أنَّ ذاتَه في ذاتِهِمْ، بل هُمْ مُصاحِبُونَ لَهُ»[2].

وفي هذا الحديثِ منَ الفقهِ:

«أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكُنْ ليغفُلَ عن ربِّه في حالِ سفرِه، ولا في حالِ

---

(١) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٧).

قُدُومِه، ولا مقامِه، ولا ظَعْنِه، ولا ليلِه، ولا نهارِه، وكان في كلِّ حالٍ من حالِه له ذِكْرٌ يخصُّه.

وهكَذا ينبغي لكلِّ مسلمٍ؛ فإنَّ اللهَ تعالى هو الصاحبُ في السفَرِ، وهو الخليفةُ في الأهلِ، والسلامةُ في السفرِ منه سبحانَه»[١].



(١) الإفصاح (٤/ ٢٨٤).

الحديث الثامن عشر:

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«كان يَتَعَوَّذُ من جَهْدِ البَلَاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القَضاءِ، وشَماتَةِ الأعْداءِ»**[١].

هذا الدُّعاءُ منَ الجوامعِ التي ينبَغي للمؤمِنِ أنْ يتعلَّمَها، وفيهِ بيانُ أمَّهاتِ الشرِّ، التي ينبَغي التعوُّذُ باللهِ منها، كما تعوَّذ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلِّمًا أمَّتَه، فهذِه الكلماتُ الأربعُ جامعةٌ مانِعةٌ لصُنوفِ البلاءِ[٢].

قولُهُ: «جَهْدِ البلاءِ»:

قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجَهْدُ: بِفَتْحِ الجيمِ وضَمِّها، والفَتْحُ أشْهَرُ وأفْصَحُ، رُويَ عن ابنِ عمرَ أنَّه فَسَّرَهُ بِقِلَّةِ المالِ، وكَثْرَةِ العيالِ، وقال غَيرُهُ: هي الحالُ الشَّاقَّةُ»[٣].

وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَهْدِ البَلاءِ» أي: مَشَقَّتِهِ إلى الغايَةِ، وشِدَّتِهِ إلى النِّهايَةِ، وقيلَ: الجَهْدُ مَصْدَرُ اجْهَدْ جَهْدَكَ، أي: ابْلُغْ غايَتَكَ، وقد يُطْلَقُ على المَشَقَّةِ أيضًا، وهيَ المَصائِبُ التي تُصيبُ الإنْسانَ في دينِهِ، أو دُنْياهُ، ويَعْجِزُ عن دَفْعِها، ولا يَصْبِرُ على وُقُوعِها»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

(٢) شرح ابن بطال (١٠/ ١١٠)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٤)، التنوير (٨/ ٥٣٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣١).

(٤) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٣).

وقولُه: «دَرَكِ الشَّقاءِ»:

«**دَرَكِ**»: بِفَتْحِ الدَّالِ والرَّاءِ، ويَجُوزُ سُكُونُ الرَّاءِ، وهو الإِدْراكُ، واللِّحاقُ، و«**الشَّقاء**» هو الهَلاكُ، ويُطْلَقُ على السَّبَبِ المُؤَدِّي إلى الهَلاكِ[١].

وقال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**مَعْناهُ**: أَعُوذُ بكَ أَنْ يُدْرِكَني شَقاءٌ»[٢].

وقال ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّقاءُ يكونُ في دينٍ، ودُنيا، وإذا كان في الدُّنيا كان تضييقًا في العيشِ، وتقتيرًا في الرزقِ، وإنْ كان في الدِّينِ، فذلكَ كفرٌ، أو معاصٍ»[٣].

والشَّقاءُ ضدُّ السعادةِ، والسَّعادةُ سببُها العملُ الصالحُ، والشَّقاءُ سببُه العملُ السيّءُ، فإذا استعذتَ باللهِ من دَرَكِ الشقاءِ، فهذا يتضمَّنُ الدُّعاءَ بألا تعملَ عملَ الأشقياءِ[٤].

وقولُه: «وَسُوءِ القَضاءِ»:

وهو ما يَسوءُ الإنسانَ، ويُوقِعُه في المكرُوهِ، ويَدْخُلُ فيه سُوءُ القَضاءِ في الدِّينِ، والدُّنْيا، والبَدَنِ، والمالِ، والأهْلِ، وقد يكونُ ذلك في الخاتِمَةِ.

والمرادُ بـ«القضاءِ»: الشيءُ المقضيُّ، لا نَفْس القضاءِ، فقضاءُ اللهِ كلُّه خيرٌ[٥].

وفي دُعاءِ القنوتِ: «**وَقِنِي شَرَّ ما قَضَيتَ**»[٦].

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٤٨).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣١).
(٣) شرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٢٣).
(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٦/ ٢٤).
(٥) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣١)، فتح الباري (١١/ ١٤٩)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٣).
(٦) رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، وصححه الألباني.

وقال الشوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قولُه: «وَسُوءِ القَضاءِ»: هو ما يسوءُ الإنْسانَ ويَحزُنُه منَ الأقْضيَةِ المقدّرَةِ عليه، وذلك أعمُّ من أنْ يكونَ في دينِه، أو في دُنْياهُ، أو في نَفسِه، أو في أهلِه، أو في مالِه، وفي الاِسْتِعاذَةِ منه ﷺ من ذلك ما يدلُّ على أنَّه لا يُخالفُ الرِّضا بالقضاءِ، فَإن الاِسْتِعاذَةَ من سُوءِ القَضاءِ هي من قَضاءِ اللهِ سبحانه وتَعالى، وقدَرِه؛ ولهذا شرعَها لِعِبادِهِ، ومن هذا ما وردَ في قنوتِ الوترِ بِلَفْظِ: «**وقني شَرَّ ما قضَيتَ**».

والحاصِلُ: أنَّها قَد وردَتِ السُّنةُ الصَّحيحَةُ بِبَيانِ أنَّ القَضاءَ بِاعْتِبارِ العبادِ يَنْقَسِمُ إلى قسمَينِ: خيرٍ، وشرٍّ، فَإنَّهُ قد شرُعَ لهم الدُّعاءُ بالوِقايةِ من شَرِّه، والاستعاذةُ منهُ»[1].

أمَّا قضاءُ اللهِ الذي هو حُكْمُه وفِعْلُه، فكلُّه خيرٌ، لا شرَّ فيه بوجهٍ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**والشرُّ ليس إلَيكَ**»[2]، فلا يدخُلُ الشرُّ في صفاتِه، ولا في أفعالِه.

قال ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنَفْسُ قضاءِ اللهِ تعالى ليس فيه شرٌّ أبدًا؛ لأنَّه صادرٌ عن رحمةٍ، وحكمةٍ.

وإنَّما يكونُ الشرُّ في مُقتضياتِه؛ لقولِ النبيِّ ﷺ في دعاءِ القُنوتِ الذي علَّمهُ الحسنَ: «**وقني شرَّ ما قضَيت**»، فأضافَ الشرَّ إلى ما قضاهُ.

ومعَ هذا: فإنَّ الشرَّ في المُقضياتِ ليس شرًّا خالصًا محضًا، بل هو شرٌّ في محَلِّه من وجهٍ، خيرٌ من وجهٍ، أو شرٌّ في محلِّه، خيرٌ في محلٍّ آخَرَ.

فالفســـادُ في الأرضِ منَ الجدبِ والمرضِ والفقرِ والخوفِ شرٌّ، لكنَّه خيرٌ في

---

(١) تحفة الذاكرين (ص٤٤٦).

(٢) رواه مسلم (٧٧١).

محلٍّ آخَرَ، قال اللهُ تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقَطْعُ يدِ السارقِ، ورَجمُ الزاني، شرٌّ بالنسبةِ للسارِقِ والزاني، في قطعِ اليدِ وإزهاقِ النفسِ، لكنَّه خيرٌ لهما من وجهٍ آخرَ، حيثُ يكونُ كفارةً لهُما، فَلا يُجمعُ لهُما بين عُقوبتَيِ الدُّنيا، والآخرةِ، وهو -أيضًا- خيرٌ في محلٍّ آخرَ، حيثُ إنَّ فيه حمايةَ الأموالِ، والأعراضِ، والأنسابِ»[1].

وقال ابنُ هُبيرةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سوءُ القضاءِ، ضدُّ حُسْنِ القضاءِ، فيجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بهِ: الجورَ في الحُكْمِ، وأنْ يحكمَ الحاكمُ بأحكامٍ زائغةٍ عن الحقِّ»[2].

وقال ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سوءُ القضاءِ يحتمِلُ معنيَين: المعنى الأولَ: أنْ أقضيَ قضاءً سيِّئًا، والمعنى الثاني: أنَّ اللهَ يقضي على الإنسانِ قضاءً يسوءُهُ، والقضاءُ يعني: الحكمَ، فالإنسانُ ربَّما يحكُمُ بالهَوى، ويتعجَّلُ الأمورَ، ولا يتأنَّى، ويضطربُ، هذا سُوءُ قضاءٍ، كذلك القضاءُ منَ اللهِ، قَد يقضي اللهُ عَزَّوَجَلَّ على الإنسانِ قضاءً يسُوءُه، ويحزنُه، فتستعيذُ باللهِ عَزَّوَجَلَّ من سوءِ القضاءِ»[3].

فإنْ قيلَ: وهَلْ تنفَعُ الاستعاذةُ ممَّا قُضيَ؟

فالجوابُ: أنَّ هذِه الاستعاذةَ هي ممَّا قُضيَ أيضًا، فقَدْ يُقضَى على الإنسانِ بلاءٌ، ويَسْبِقُ في القضاءِ أنَّه يدعُو، فيُدْفَعُ عنه، فيكونُ في القضاءِ الدافعُ، والمدفوعُ.

وفائدةُ الدُّعاءِ: التعبُّدُ به، وإظهارُ الفاقةِ منَ العبدِ[4].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٢٥٨).
(٢) الإفصاح (٦/ ٤٠٩).
(٣) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٤).
(٤) كشف المشكل (٣/ ٤٥٧).

حكمُ قولِ بعضِهم: «**اللهمَّ إنَّا لا نسألُكَ ردَّ القضاءِ، ولكِنْ نسألُكَ اللُّطفَ فيهِ**»:

قال الشَّيخُ ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا نَرى الدُّعاءَ هذا، بل نرَى أنَّه محرَّمٌ، وأنَّه أعظَمُ من قولِ الرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يقولَنَّ أحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْني إنْ شِئْتَ**»[1]؛ وذلك لأنَّ الدعاءَ ممَّا يَرُدُّ اللهُ به القضاءَ، كما جاءَ في الحديثِ: «**لا يَرُدُّ القَضاءَ إلا الدُّعاءُ**»[2]، واللهُ عَزَّوَجَلَّ يقضي الشيءَ، ثمَّ يجعلُ له موانِعَ، فيكونُ قاضيًا بالشيءِ، وقاضيًا بأنَّ هذا الرجلَ يدعُو، فيردُّ القضاءَ، والذي يردُّ القضاءَ هو اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

فمثلًا: الإنسانُ المريضُ هل يقولُ: «اللهمَّ إنِّي لا أسألُكَ الشِّفاءَ، ولكنِّي أسألُكَ أنْ تهوِّنَ المرضَ»؟ لا، بل يقولُ: «اللهمَّ إنَّا نسألُكَ الشِّفاءَ»، فيجزِمُ بطلبِ المحبوبِ إليه، دونَ أنْ يقولَ: «يا ربِّ أبْقِ ما أكرَهُ، لكنِ الطُفْ بي فيهِ»، هذا خطأٌ، هلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلا أكرمُ الأكرمينَ، وأجودُ الأجودينَ؟ وهو القادرُ على أنْ يردَّ عنك ما كان أرادَه أوَّلًا؛ بسببِ دعائِكَ.

فلهذا نحنُ نرَى أنَّ هذِه العبارةَ محرمةٌ، وأنَّ الواجبَ أنْ نقولَ: اللهمَّ إنِّي أسألُكَ أنْ تعافيَني، أنْ تشفيَني، أن تردَّ عليَّ غائبي، وما أشبهَ ذلكَ»[3].

وقولُه: «وَشَماتَةِ الأعْداءِ»:

هيَ: فرحُ الأعداءِ بالبليَّةِ التي تصيبُ الشخصَ، وحُزنُهم بالفرحِ الذي يُصيبُه، كما تقدَّم.



(١) رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٩)، وقال: «حسن غريب»، وحسنه الألباني.

(٣) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٤/ ٢) بترقيم الشاملة.



الحديث التاسع عشر:

عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان من دُعاءِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عافيَتِكَ، وفُجاءَةِ نِقْمَتِكَ، وجَميعِ سَخَطِكَ»**[١].

فاستعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الدُّعاءِ من سلبِ النِّعمةِ، والعافيةِ، وهما من أعظمِ العطايا، واستعاذَ من وقوعِ النِّقمةِ بغتةً، وجميعِ ما يؤدِّي إلى سَخَطِ اللهِ تعالى، وهاتانِ أعظمُ البلايا.

فَقولُه: «اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من زَوالِ نِعْمَتِكَ»:

«**نعمتِكَ**»: مفردٌ في معنى الجمعِ، يعمُّ النعَمَ الظاهرةَ، والباطنةَ، والنعمةُ: كلُّ ملائمٍ تُحمَدُ عاقبتُه.

وزوالُها أي: ذَهابُها[٢].

وهذا يعُمُّ النِّعَمَ الظاهرةَ، والباطنةَ، الدِّينيَّةَ، والدُّنيويَّةَ، التي يعلَمُها العبدُ، والتي لا يعلَمُها، فاستعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زوالِ نِعَمِ اللهِ تعالى، وهذا يتضمَّنُ -أيضًا- الحفظَ عن الوقوعِ في المعاصي؛ لأنَّها تُزيلُ النِّعَمَ، كما قيلَ:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٩).

(٢) فيض القدير (٢/ ١١٠).

إذا كُنتَ في نِعْمَةٍ فارْعَها فإنَّ المَعاصي تُزيلُ النِّعَم

قال الصنعانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زَوالُ النِّعْمَةِ لا يكونُ منه تَعالى، إلا بِذَنْبٍ يُصيبُهُ العبدُ، فالِاسْتِعاذَةُ من الذَّنْبِ في الحَقيقَةِ، كَأَنَّهُ قال: نَعُوذُ بِك من سَيِّئاتِ أعْمالِنا»(١).

كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبِرُ تعالى عن تَمامِ عَدْلِهِ وقِسْطِهِ في حُكْمِهِ، بِأَنَّهُ تعالى لا يُغَيِّرُ نِعْمَةً أَنْعَمَها على أحَدٍ؛ إلا بِسَبَبِ ذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ»(٢).

ومن أسبابِ زوالِ النِّعَمِ: تَرْكُ شُكْرِها؛ فحِفْظُ النِّعَمِ، واستمرارُها، مقرونٌ بالشُّكْرِ؛ فمَنْ شكرَ زادَه اللهُ ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

ولهذا كانُوا يسمونَ الشكرَ «الحافظَ»؛ لأنَّه يحفظُ النعمَ الموجودةَ، و«الجالِبَ»؛ لأنَّه يجلِبُ النعمَ المفقودةَ(٣).

فتضمَّنتْ هذِه الاستعاذةُ: طلبَ التوفيقِ لشُكْرِ النِّعَمِ، والحِفظ منَ الوقوعِ في المعاصي.

وقولُه: **«وَتَحَوُّلِ عافيَتِكَ»**:

العافيَةُ: أنْ تَسْلَم منَ الأسْقام والبَلايا.

يُقال: عافاهُ اللهُ، وأعْفاهُ، أي: وهبَ له العافيَةَ مِن العِلَلِ والبَلايا(٤).

---

(١) سبل السلام (٢/ ٧١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٨).

(٣) عدة الصابرين (ص١٢٠).

(٤) النهاية (٣/ ٢٦٥)، تهذيب اللغة (٣/ ١٤١).

فاستعاذَ النبيُّ ﷺ من تحوُّلِ العافيةِ، وهو إبدالُها بضِدِّها.

والفَرْقُ بين الزَّوالِ، والتَّحَوُّلِ: أنّ الزَّوالَ يُقال في شيءٍ كان ثابتًا في شيءٍ، ثُمَّ فارَقَهُ، والتَّحوُّل: تَغيُّرُ الشيءِ، وانْفِصالُهُ عن غَيرِهِ، فَمعنى زَوالِ النِّعْمَةِ: ذَهابُها من غَيرِ بَدَلٍ، وتَحَوُّل العافيَةِ: إبْدالُ الصِّحَّةِ بالمَرَضِ.

فكأنَّه سألَ دوامَ العافيةِ، وثباتَها، وهيَ السلامةُ منَ الآلامِ، والأسقامِ، كما في الحديثِ: «**اسْأَلُوا اللهَ العَفْوَ، والعافيَةَ؛ فإن أحَدًا لم يُعْطَ بَعْدَ اليَقينِ خيرًا منَ العافيَةِ**»[1].

وتحوّلُ العافيةِ قَدْ يجرُّ العبدَ إلى التسخُّطِ، وعدَمِ الرِّضا، والعَجْزِ عن القيامِ بأمورِ الدِّينِ، والدُّنيا؛ ولذا استعاذَ منه ﷺ[2].

وليُعلمَ أنَّ كفرَ النعمةِ؛ قد يؤدِّي إلى زوالِها، وإبدالِها، بما يعودُ بالخَسارِ، والبوارِ، قال تعالى عن قومِ سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٥-١٩].

فكانُوا في نِعْمَةٍ، وغِبْطَةٍ، في بِلادِهِمْ، وعَيشِهِمْ، واتِّساعِ أرْزاقِهِمْ، وزُرُوعِهِمْ، وثمارِهِمْ، فَغرسوا الأشْجارَ، واسْتَغَلُّوا الثِّمارَ، في غايَةِ ما يكونُ منَ الكَثْرَةِ، والحُسْنِ،

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٨)، وحسنه، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: الإفصاح لابن هبيرة (٤/ ٢٧٢)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٧)، فيض القدير (٢/ ١١٠).

وذَكَرَ غَيرُ واحِدٍ منَ السَّلَفِ: أنَّ المَرْأَةَ كانَتْ تَمْشي تَحْتَ الأشْجارِ، وعلى رَأْسِها مِكْتَلٌ، أو زنْبيلٌ، وهو الذي تُجنى فيه الثِّمارُ، فَيَتَساقَطُ منَ الأشْجارِ مِن الثِّمارِ ما يَمْلَؤُهُ، من غَيرِ أنْ يحْتاجَ إلى كُلْفَةٍ، ولا قِطَافٍ؛ لِكَثْرَتِهِ، ونُضْجِهِ، واسْتِوائِهِ.

وذَكَرَ آخَرُونَ: أنَّهُ لم يَكُنْ بِبَلَدِهِمْ شيءٌ منَ الذُّبابِ، ولا البَعُوضِ، ولا البَراغيثِ، ولا شيءٌ منَ الهَوامِّ؛ وذلك لِاعْتِدالِ الهَواءِ، وصِحَّةِ المِزاجِ، وعِنايَةِ اللهِ بهِمْ.

وبَعَثَ اللهُ إليهمُ الرُّسُلَ، تَأْمُرُهُمْ أنْ يَأْكُلُوا من رِزْقِهِ، ويَشْكُرُوهُ بِتَوْحيدِهِ، وعِبادَتِهِ، فَكانُوا كَذَلِكَ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ أعْرَضُوا عَمَّا أُمِرُوا به من تَوْحيدِ اللهِ، وعِبادَتِهِ، وشُكْرِهِ على ما أنْعَمَ به عَلَيهِمْ، وعَدَلُوا إلى عِبادَةِ الشَّمْسِ، فَعُوقِبُوا بِإرْسالِ السَّيلِ، وزوالِ النعمَةِ، والتَّفَرُّقِ في البِلَادِ[1].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

«وهذِه القريةُ هي مكَّةُ المشرفةُ، التي كانَتْ آمنةً مطمئنَّةً، لا يُهاجُ فيها أحدٌ، فحصلَ لها منَ الأمنِ التامِّ، ما لم يحصُلْ لسواها، وكذلك الرزقُ الواسعُ.

كانَتْ بلدةً ليس فيها زرعٌ، ولا شجرٌ، ولكِنْ يسَّرَ اللهُ لها الرزقَ، يأتيها من كلِّ مكانٍ، فجاءَهُم رسولٌ منهم يعرِفُونَ أمانتَه، وصدقَه، يدعوهُم إلى أكمَلِ الأمورِ، وينهاهُم عن الأمورِ السيئةِ، فكذَّبُوه، وكفرُوا بنعمةِ اللهِ عليهِم، فأذاقَهُمُ اللهُ ضدَّ ما كانُوا فيهِ، وألبَسَهم لباسَ الجوعِ الذي هو ضدُّ الرَّغدِ، والخوفِ الذي هو ضدُّ الأمنِ؛ وذلك بسببِ صنيعِهم، وكفرِهم، وعدمِ شكرِهم»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٠٤-٥٠٨).

(٢) تفسير السعدي (ص٤٥١).

فتزولُ النعمةُ، وتتحوَّلُ إلى النقمةِ، والبلاءِ، والعناءِ؛ بسببِ الكفرِ، وعدمِ الشُّكرِ.

وقولُه: «وَفُجاءَةِ نِقْمَتِكَ»:

النِّقْمَةُ: المُكافَأةُ بالعُقُوبَةِ، والانتقامُ بالغَضَبِ، والعَذابِ، وخَصَّها بالذِّكْرِ؛ لأنَّها أشَدُّ.

فاستعاذَ النبيُّ ﷺ من غَضَبِ اللهِ تعالى، وعقوبَتِه، وأنْ يأتيَ بغتةً بغيرِ مُقدّمةٍ، فالنِّقْمةُ إذا جاءَتْ فجأةً بغتةً، لم يكُنْ هناكَ زمانٌ يُستدرَكُ فيهِ، ولا وقتٌ لإعتابٍ، ففُجاءتُها أشدُّ من نزولِها تدريجيًّا[1].

كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال قتادةُ: «بَغَتَ القومَ أمرُ اللهِ، وما أخذَ اللهُ قومًا قطُّ، إلا عندَ سَكْرَتِهم، وغِرَّتِهم، ونَعيمِهم، فلا تغترُّوا باللهِ؛ إنَّه لا يغترُّ باللهِ إلا القومُ الفاسقونَ»[2].

«وَجَميعِ سَخَطِكَ»:

ثمَّ عمَّ النبيُّ ﷺ الاستعاذةَ من جميعِ ما يؤدِّي إلى سَخَطِ اللهِ تعالى، منَ الأقوالِ، والأعمالِ، أو من جميعِ آثارِ غضَبِه.

---

(١) الإفصاح (٤/ ٢٧٢)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٧)، فيض القدير (٢/ ١١٠)، المنهل العذب المورود (٨/ ٢٠٦).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٨٧٦١).

وإذا انتفَتِ الأسبابُ المُقتضيةُ للسَّخَطِ؛ حصلَت أضدادُها، فإنَّ الرضا ضدُّ السَّخَطِ(١).

فهَذه الجُملةُ تعميمٌ، وتذييلٌ، وتعليلٌ، لجميعِ الجُمَلِ السابقةِ؛ فزوالُ النِّعمةِ، وتحوُّلُ العافيةِ، وفُجاءةُ النِّقْمةِ، كلُّها ناتجٌ عن سَخَطِ اللهِ تعالى، وأثرٌ من آثارِ سَخَطِه.

واللهُ تعالى إذا سَخِطَ على العبدِ، فقَدْ هلكَ، وخابَ، وخَسِرَ، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]؛ «لأنَّه عَدِمَ الرِّضا، والإحسانَ، وحلَّ عليه الغضبُ، والخُسْرانُ»(٢).

وقال ابنُ هبيرةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قولُه: **«وجميعِ سخَطِك»**: فيه أنَّه لَمَّا كان في تعديدِ مساخِطِ اللهِ سبحانه نوعُ ترويعٍ، تستَجْدي له قلوبُ المؤمنينَ، أجمَلَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذلكَ، وعدَلَ عن تفصيلِه إلى قولِه عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «وجميع سخَطِك».

ثمَّ من حُسنِ الترتيبِ، وبديعِ التصريفِ: أنْ بَدأ في الاستعاذةِ من تحوُّلِ العافيةِ؛ لأنَّه من لُطْفِ اللهِ تعالى به إدامَة العافيةِ عليه، وقد حرسَ خصالَه منَ الالتفاتِ، ثمَّ أتبعَ ذلك بالتعوُّذِ من فُجاءةِ النقمَةِ، وهيَ أنْ يفجأ بالنقمةِ من قبلِ مُنذراتٍ تُنذِرُ، ومُؤذِناتٍ تُؤذِنُ، وتُشعِرُ، فتَسبقُ الاستغفارَ، وتعجلُ عن الإعتابِ؛ ثمَّ أتبعَ ذلك بالتعميمِ منَ الاستعاذةِ من جميعِ سَخطِه»(٣).



(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٧)، الفتوحات الربانية (٧/ ٢٠٥).

(٢) تفسير السعدي (ص٥١٠).

(٣) الإفصاح (٤/ ٢٧٣).

الحديث العشرون:

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا فَرَغَ أحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ باللّهِ من أرْبَعٍ: من عَذابِ جَهَنَّمَ، ومن عَذابِ القَبْرِ، ومن فِتْنَةِ المَحْيا، والمَماتِ، ومن شَرِّ المَسيحِ الدَّجّالِ**»[1].

وفي رِوايةٍ لُمسلمٍ:

«**عُوذُوا باللّهِ من عَذابِ اللّهِ، عُوذُوا باللّهِ من عَذابِ القَبْرِ، عُوذُوا باللّهِ من فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجّالِ، عُوذُوا باللّهِ من فِتْنَةِ المَحْيا، والمَماتِ**».

وعن طاوُوسٍ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ، أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَلِّمُهُمْ هذا الدُّعاءَ، كما يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ منَ القُرْآنِ، يقولُ: «**قُولُوا: اللهُمَّ إنّا نَعُوذُ بكَ من عَذابِ جَهَنَّمَ، وأعُوذُ بكَ من عَذابِ القَبْرِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجّالِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ المَحْيا، والمَماتِ**»[2].

قال الإمامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَلَغَني أنَّ طاوُسًا قال لِابْنِهِ: «أدَعَوْتَ بها في صَلاتِكَ؟» فَقال: لا، قال: «أعِدْ صَلاتَكَ»؛ لأنَّ طاوُسًا رَواهُ عن ثَلاثَةٍ، أو أرْبَعَةٍ».

---

(١) رواه مسلم (٥٨٨)، ورواه البخاري (١٣٧٧) ولفظه: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبْر، ومن عذاب النار، ومن فتْنة المحْيا، والمات، ومن فتْنة المسيح الدجال».

(٢) رواه مسلم (٥٩٠).

وقال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من آكدِ أدعيةِ الصلاةِ، حتى أوجبَ بعضُ السلَفِ، والخلَفِ، الإعادةَ على مَنْ لم يَدْعُ به في التشهُّدِ الأخيرِ، وأوجبَه ابنُ حزمٍ في كلِّ تشهُّدٍ، فإنْ لم يأتِ به بطلَتْ صلاتُه»[١].

لكِنَّ الراجحَ هو قولُ الجمهورِ: بأنَّ قولَ هذا الدُّعاءِ على الاستحبابِ، وأمْر طاوُسٍ لابنِه بالإعادةِ إنَّما كان تغليظًا عليه؛ لئلَّا يتهاونَ بتلكِ الدَّعواتِ، فيترُكَها، فيُحْرَمَ فائدَتَها، وثوابَها[٢].

قولُه: «من عذابِ جهنَّمَ»:

أي: العذابِ الحاصلِ منها، فالإضافةُ هُنا على تقديرِ «من»، فهيَ جنسيَّةٌ، كما تقول: «خاتمُ حَديدٍ»، أي: خاتمٌ من حديدٍ، ويحتمَلُ أنْ تكونَ الإضافةُ على تقديرِ «في»، أي: عذابٍ في جهنَّمَ، كما قال تعالى: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] أي: مكرٌ في الليلِ، والإضافةُ تأتي على تقديرِ «مِن»، وعلى تقديرِ «في»، وعلى تقديرِ «اللامِ»، وهيَ الأكثرُ.

وقولُه: «جهنَّمَ»: عَلَمٌ على النَّارِ، التي أعدَّها اللهُ عَزَّوَجَلَّ للكافرينَ.

وهَلِ المرادُ أنَّه يتعوَّذُ باللهِ من فِعْلِ المعاصي المؤدِّيةِ إلى جهنَّمَ، أو يتعوَّذُ باللهِ من جهنَّم، وإنْ عَصَى، فهُوَ يطلُبُ المغفرةَ منَ اللهِ، أو يشمَلُ الأمرَين؟

الجوابُ: يشمَلُ الأمرَين، فهوَ يَستعيذُ باللهِ من عذابِ جهنَّم، أي: مِن فِعْلِ الأسبابِ المؤدِّيةِ إلى عذابِ جهنَّم، ومن عذابِ جهنَّم، أي: من عقوبةِ جهنَّمَ، إذا فَعلَ الأسبابَ التي توجِبُ ذلكَ؛ لأنَّ الإنسانَ بين أمرَين: إمَّا عصمةٌ مِن الذُّنوبِ،

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٢) ينظر: المغْني (١/ ٣٩١)، المجموع (٣/ ٤٧٠)، بداية المجتهد (١/ ١٣٩).

فهذا إعاذةُ الله من فِعْلِ السببِ، وإمَّا عفوٌ عن الذُّنوبِ، وهذا إعاذةُ اللهِ من أثَرِ السببِ.

قولُه: «ومن عذابِ القبرِ»:

معطوفةٌ على «من عذابِ جهنَّمَ»، وعذابُ القبرِ ما يحصُلُ فيه منَ العقوبةِ.

وقد ثبتَ عذابُ القبرِ بصريحِ السُّنَّةِ، وظاهرِ القرآنِ، وإجماعِ المسلمينَ.

والأصلُ: أنَّ عذابَ القبرِ على الرُّوحِ؛ لأنَّ الحُكْمَ بعدَ الموتِ للرُّوحِ، والبدنُ جُثَّةٌ هامدةٌ، لكِنْ قال العلماءُ: إنَّ الرُّوحَ قد تتَّصلُ بالبدنِ، فيكونُ العذابُ على هذا، وهذا، وربَّما يُستأنَسُ لذلكَ بحديثِ البَراءِ بنِ عازبٍ في نعيمِ القبرِ، وعذابِه، وفيهِ: «**وَيُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ -يعني: الكافرَ- حَتَّى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاعُهُ**»[١]، فهوَ يدلُّ على أنَّ العذابَ يكونُ على الجسمِ؛ لأنَّ الأضلاعَ في الجسمِ[٢].

قولُه: «ومن فِتْنَةِ المَحْيا، والمَماتِ»:

«**فِتْنَةُ المَحْيا**»: ما يَعْرِضُ للإنْسانِ مُدَّةَ حَياتِهِ، منَ الافْتِتانِ بالدُّنْيا، والشَّهَواتِ، والجَهالاتِ، وأعْظَمُها -والعياذُ باللهِ- أمْرُ الخاتِمَةِ عِنْدَ المَوْتِ.

و«**فِتْنَةُ المَماتِ**»: يَجُوزُ أنْ يُرادَ بها: الفِتْنَةُ عِنْدَ المَوْتِ، أُضيفَتْ إليه؛ لِقُرْبِها منه، ويكونُ المُرادُ بِفِتْنَةِ المَحْيا -على هذا- ما قَبْلَ ذَلِكَ.

ويَجُوزُ أنْ يُرادَ بها: فِتْنَةُ القَبْرِ، ولا يكونُ مَعَ هذا الوَجْهِ مُتَكَرِّرًا مَعَ قولِهِ: «عَذابِ القَبْرِ»؛ لأنَّ العَذابَ مُرَتَّبٌ عن الفِتْنَةِ، والسَّبَبُ غيرُ المُسَبَّبِ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤)، وصححه محققو المسند.

(٢) ينظر: الشرح الممتع (٣/ ١٦٩-١٧٩).

وقيلَ: أرادَ بِفتْنَةِ المَحْيا الابْتِلاءَ، مَعَ زَوالِ الصَّبْرِ، وبِفِتْنَةِ المَماتِ السُّؤالَ في القَبْرِ، مَعَ الحيرَةِ»[١].

وقال الحافظُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فتنةُ المحيا:** تدخُلُ فيها فتنُ الدِّينِ، والدُّنيا، كلُّها، كالكفرِ، والبدعِ، والفسوقِ، والعصيانِ.

وفتنةُ المماتِ: يدخُلُ فيها سوءُ الخاتمةِ، وفتنةُ الملَكين في القبرِ، فإنَّ الناسَ يُفتنونَ في قبورِهم»[٢].

وقال ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**المرادُ بالفتنةِ:** اختبارُ المرءِ في دينه، في حياتِه، وبعدَ مماتِه، وفتنةُ الحياةِ عظيمةٌ، وشديدةٌ، وقلَّ مَنْ يتخلَّصُ منها إلا مَنْ شاءَ اللهُ، وهيَ تدورُ على شيئَين: شُبُهاتٍ، وشهواتٍ.

أمَّا الشُّبُهاتُ: فتعرِضُ للإنسانِ في عِلْمِهِ، فيلتبسُ عليه الحقُّ بالباطلِ، فيرَى الباطلَ حقًّا، والحقَّ باطلًا، وإذا رَأى الحقَّ باطلًا تجنَّبَه، وإذا رَأى الباطلَ حقًّا فَعَلَهُ.

وأمَّا الشَّهواتُ: فتعرِضُ للإنسانِ في إرادتِه، فيُريدُ بشهواتِه ما كان محرَّمًا عليه، وهذِه فتنةٌ عظيمةٌ، فما أكثرَ الذينَ يرَوْنَ الرِّبا غنيمةً، فينتهكُونَه، وما أكثرَ الذينَ يرَوْنَ غِشَّ النَّاسِ شَطارةً، وجَودةً في البيعِ، والشِّراءِ، فيغشُّونَ، وما أكثرَ الذينَ يرَوْنَ النَّظَرَ إلى النساءِ تلذُّذًا، وتمتُّعًا، وحريّةً، فيطلِقُ لنفسِه النظَرَ للنساءِ، بل ما أكثرَ الذينَ يشرَبونَ الخمرَ، ويرَوْنَه لذَّةً، وطربًا، وما أكثرَ الذينَ يرَوْنَ آلاتِ اللهوِ والمعازِفِ فنًّا، يُدرَّسُ، ويُعطَى عليه شهاداتٌ، ومراتبُ!

وأما فتنةُ المماتِ: فاختلفَ فيها العلماءُ على قولَين:

---

(١) فتح الباري (٢/ ٣١٩).

(٢) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص١١٨).

القولِ الأوَّلِ: الفتنةُ التي تكونُ عندَ الموتِ.

والقولِ الثاني: التي تكونُ بعدَ الموتِ، وهيَ سؤالُ الملَكَين الإنسانَ عن رَبِّه، ودينِه، ونبيِّه.

ولا مانِعَ أنْ نقولَ: إنَّها تشمَلُ الأمرَين جميعًا، ويكونُ قد نصَّ على الفتنةِ التي قبلَ الموتِ، وعندَ الموتِ؛ لأنَّها أعظمُ فتنةٍ تَرِدُ على الإنسانِ، وذكر ما يُخشَى منها من سوءِ الخاتمةِ، إذا لم يُجِرِ اللهُ العبدَ من هذِه الفتنةِ.

وعلى هذا: ينبغي للمتعوِّذِ من فِتنةِ المماتِ أنْ يستحضِرَ كلتا الحالتَين»[١].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقْتُ المَوْتِ أحْرَصُ ما يكونُ الشَّيطانُ على إغْواءِ بَني آدَمَ؛ لأَنَّهُ وقْتُ الحاجَةِ، وقد قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَديثِ الصَّحيحِ: «**الأعْمالُ بِخَواتيمِها**»[٢].

ولهذا رُويَ أنَّ الشَّيطانَ أشَدّ ما يكونُ على ابْنِ آدَمَ حينَ المَوْتِ، يقولُ لِأعْوانِهِ: «دُونَكُمْ هذا، فَإِنَّهُ إنْ فاتَكُمْ لَنْ تَظْفَرُوا به أبَدًا».

وحِكايَةُ عبدِ اللهِ بنِ أحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ مَعَ أبيهِ، وهو يقولُ: «لا بَعْدُ، لا بَعْدُ»، مَشْهُورَةٌ[٣].

---

(١) الشرح الممتع (٣/ ١٨٥-١٨٦)، باختصار.

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٣).

(٣) عن صالح بن الإمام أحمد، أنه قال: «لما احْتضر أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل يكْثر أنْ يقول: لا بعْد، لا بعْد، فقلْت: يا أبت، ما هذه اللفْظة التي لهجْت بها في هذه الساعة؟ فقال: يا بني، إن إبْليس واقف في زاوية البيت، وهو عاض على أصْبعه، وهو يقول: فتني يا أحمد؟ فأقول: لا بعْد لا بعْد».
يعْني: أنه لا يفوته حتى تخْرج روحه من جسده على التوْحيد، كما جاء في الحديث: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب، لا أبْرح أغْوي عبادك ما دامتْ أرْواحهمْ في أجْسادهمْ، قال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغْفر لهم ما اسْتغْفروني»، رواه أحمد (١١٢٣٧)، وحسنه محققو المسند.
وينظر: تاريخ دمشق (٥/ ٣٢٤)، سير السلف الصالحين (ص١٠٥٥)، طبقات الحنابلة (١/ ١٧٥)، البداية والنهاية (١٤/ ٤٢٢).

وأمَّا الفِتْنَةُ في القُبُورِ: فَهيَ الاِمْتِحانُ والاِخْتِبارُ للمَيِّتِ حينَ يَسْأَلُهُ المَلَكانِ، فَيقولانِ له: «ما كُنْت تقول في هذا الرَّجُلِ الذي بُعِثَ فيكُمْ؟»، فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا بالقولِ الثَّابِتِ، فَيقولُ المُؤْمِنُ: «اللهُ رَبِّي، والإِسْلامُ ديني، ومحمدٌ نَبيِّي»، ويقول: «هُوَ محمدٌ رسولُ اللهِ، جاءَنا بالبَيِّناتِ والهُدَى، فَآمَنَّا به، واتَّبَعْناهُ»، فَيَنْتَهِرانِهِ انتهارةً شَديدَةً، وهيَ آخِرُ الفتنِ التي يُفْتَنُ بِها المُؤْمِنُ»[1].

وقولُه: **«وَمِن شَرِّ المَسيحِ الدَّجَّالِ»**:

وفتنتُه أعظمُ فتنةٍ؛ فعَنْ هِشامِ بنِ عامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقولُ: «**ما بين خَلْقِ آدَمَ إلى قيامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أكْبَرُ منَ الدَّجَّالِ**»[2].

وفي روايةٍ: «**واللهِ ما بين خَلْقِ آدَمَ إلى قيامِ السَّاعَةِ أمْرٌ أعْظَمُ منَ الدَّجَّالِ**»[3].

والمعنى: ليس فيما بَيْنَهُما فِتْنَةٌ أعْظَمُ منَ الدَّجَّالِ؛ لِعِظَمِ فِتْنَتِهِ، وبَلِيَّتِهِ، ولِشِدَّةِ تَلْبيسِهِ، ومِحْنَتِهِ[4].

وعنِ ابْنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ المَسيحَ الدَّجَّالَ، فَأطْنَبَ في ذِكْرِهِ، وقال: «**ما بَعَثَ اللهُ من نَبيٍّ إلا أنْذَرَ أُمَّتَهُ، أنْذَرَهُ نُوحٌ، والنبيُّونَ من بَعْدِهِ**»[5].

وقال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «يَستعيذُ المصلِّي باللهِ مِنَ مجامعِ الشرِّ كلِّه؛ فإنَّ الشرَّ: إمَّا عذابُ الآخرةِ، وإمَّا سببُه، فليسَ الشرُّ إلا العذابُ، وأسبابُه.

والعذابُ نوعانِ: عذابٌ في البَرْزَخِ، وعذابٌ في الآخرةِ.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٥-٢٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٦).

(٣) رواه أحمد (١٦٢٥٥)، وصححه محققو المسند.

(٤) مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٥٢).

(٥) رواه البخاري (٤٤٠٢).

وأسبابُه: الفِتنةُ، وهيَ نوعانِ: كُبْرَى، وصُغْرَى.

فالكُبْرى: فِتنةُ الدَّجَّالِ، وفِتنةُ المماتِ.

والصُّغْرى: فِتنةُ الحياةِ التي يُمكِنُ تداركُها بالتوبةِ، بخلافِ فِتنةِ المماتِ، وفِتنةِ الدَّجَّالِ، فإنَّ المفتونَ فيهِما لا يتدارَكُهُما»[١].

وبالجملةِ:

فالمُسلمُ لا غِنى له عن سؤالِ ربِّه، والالتجاءِ إليه، في كشفِ الضرِّ، ودفعِ الشرِّ، وتحصيلِ الخيرِ، فلا يدفَعُ عنه النقمَ، ولا يمنُّ عليه بالنعمِ، ولا يردُّ عنه كيدَ شياطينِ الإنسِ، والجنِّ، ولا يحفظُه من غوائلِ الفتَنِ، إلا ربُّه الكريمُ، فما أشدَّ حاجتَهُ إليه، وما أعظمَ مِنَّةَ ربِّه عليه.

وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له فيما يُعلِّمُه: «... **واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ، لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، ولو اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عليكَ**»[٢].



---

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص١٥٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه، وصححه الألباني.



الحديث الحادي والعشرون:

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ من أرْبَعٍ، يقولُ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من عَذابِ القَبْرِ، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من عَذابِ النَّارِ، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها، وما بَطَنَ، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ الأعْوَرِ الكَذَّابِ**»[١].

وفي حديثِ زَيدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم: «**تَعَوَّذُوا باللهِ من عَذابِ النَّارِ**»، قالوا: نَعُوذُ باللهِ من عَذابِ النَّارِ، فَقال: «**تَعَوَّذُوا باللهِ من عَذابِ القَبْرِ**»، قالوا: نَعُوذُ باللهِ من عَذابِ القَبْرِ، قال: «**تَعَوَّذُوا باللهِ منَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها، وما بَطَنَ**»، قالوا: نَعُوذُ باللهِ منَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها، وما بَطَنَ، قال: «**تَعَوَّذُوا باللهِ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»، قالوا: نَعُوذُ باللهِ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ[٢].

تقدَّمَ الكلامُ على الاستعاذةِ باللهِ من عذابِ النارِ، وعذابِ القبرِ، وفتنةِ المَحْيا، والمماتِ، وفتنةِ الدجَّالِ، وبقيَ الكلامُ على الاستعاذةِ باللهِ منَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها، وما بَطَنَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٧٧٨)، وصححه محققو المسند لغيره، وتقدم في الحديث السابق رواية مسلم عن ابْن عباس، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلمهمْ هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرْآن، يقول: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبْر، وأعوذ بك من فتْنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتْنة المحْيا، والممات».

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٧).

وتبيَّن بهذَين الحديثَين أنَّ النبيَّ ﷺ استعاذَ منها، وأمرَ أصحابَه أنْ يستعيذُوا منها.

والفتنُ: جمعُ فتْنَةٍ، وأصلُ الفِتْنَةِ: الاختبارُ، يُقال: فتنتُ الفضةَ على النَّارِ، إذا خلَّصتُها، ثمَّ اسْتعْمِلَت فيما أخرجَه الاختبارُ للمكروهِ، ثمَّ كثُرَ اسْتِعْمالُه في أبْوابِ المَكْرُوهِ، فجاءَ -مرَّةً- بِمعنى الكفْرِ، كَقولِه تَعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ويَجيءُ للإثمِ، كَقولِه تَعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩] ويكونُ بِمعنى الإحراقِ، كَقولِه تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠] أي: حَرقُوهم، ويَجيءُ بِمعنى الصَّرْفِ عن الشيءِ، كَقولِه تَعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣][(١)].

وقال ابنُ فارسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفاءُ والتَّاءُ والنُّونُ أصْلٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ على ابْتِلاءٍ، واخْتِبارٍ، من ذَلِكَ: الفِتْنَةُ، يُقال: فَتَنْتُ أفْتِنُ فَتْنًا، وفَتَنْتُ الذَّهَبَ بالنَّارِ، إذا امْتَحَنْتُهُ، وهو مَفْتُونٌ وفَتينٌ، والفَتَّانُ: الشَّيطانُ»[(٢)].

وقال الراغبُ الأصفهانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفتنةُ: منَ الأفعالِ التي تكونُ منَ اللهِ تعالى، ومنَ العبدِ، كالبليَّةِ، والمُصيبةِ، والقتلِ، والعذابِ، وغيرِ ذلك منَ الأفعالِ الكريهةِ، ومتى كان منَ اللهِ، يكونُ على وجهِ الحكمةِ، ومتى كان منَ الإنسانِ بغيرِ أمرِ اللهِ، يكونُ بضدِّ ذلكَ؛ ولهذا يذمُّ اللهُ الإنسانَ بأنواعِ الفتنةِ في كلِّ مكانٍ، نحوَ قولِه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البروج: ١٠]، ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٢] أي: بمضلِّينَ»[(٣)].

فاستعاذَ ﷺ منَ الفِتَنِ الظاهرةِ، والباطنةِ؛ لأنَّ الفِتنةَ لا تخلُو من هذَين

---

(١) عمدة القاري (١/ ١٦٣).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٢).

(٣) المفردات (ص٣٧٢).

الأمرَين، فالظاهِرُ: ما يجري على ظاهرِ الإنسانِ، والباطِنُ: ما يكونُ في القلبِ، كالشِّرْكِ، والرِّياءِ، والحَسَدِ.

وقيلَ: ما جُهِرَ، وما أُسِرَّ[١].

فالمسلمُ يَستعيذُ باللهِ تعالى من جملةِ الفِتَنِ، ولا ينجُو إلا مَنْ عصمَه اللهُ تعالى: ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٠١].

فالفتنُ تدلُّ على الضَّلالةِ، والضَّلالةُ تدلُّ على النارِ، وفي البخاريِّ عن أبي سَعيدٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**وَيحَ عَمَّارٍ! تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغيَةُ، يَدْعُوهُمْ إلى الجَنَّةِ، ويَدْعُونَهُ إلى النَّارِ**» قال: يقولُ عَمَّارٌ: «**أعُوذُ باللهِ منَ الفِتَنِ**»[٢].

فاستعاذَ باللهِ من جُملةِ الفتنِ؛ لأنَّها تدعُو إلى النارِ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قولُهُ: «يقولُ عَمَّارٌ: أعُوذُ باللهِ منَ الفِتَنِ» فيهِ: دَليلٌ على اسْتِحْبابِ الِاسْتِعاذَةِ منَ الفِتَنِ، ولو عَلِمَ المَرْءُ أنَّهُ مُتَمَسِّكٌ فيها بالحَقِّ؛ لأنَّها قَدْ تُفْضي إلى وُقُوع مَنْ لا يُرَى وُقُوعُه»[٣].

وقال ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيهِ: أنَّ عمارًا فَهِمَ عن الرَّسولِ ﷺ أنَّ هذِه الفتنةَ في الدِّينِ، يُستعاذُ باللهِ منها، وفي الاستعاذةِ منها دليلٌ أنَّه لا يَدري أحدٌ في الفتنةِ أمأجورٌ هو، أمْ مأزورٌ؟ إلا بغلبةِ الظَّنِّ، ولو كان مأجورًا ما استعاذَ باللهِ منَ الأجرِ، وهذا يردُّ الحديثَ الذي رُوي: «**لا تستعيذُوا باللهِ منَ الفتنةِ؛ فإنَّها حصادُ المنافقينَ**»[٤].

---

(١) شرح المشكاة (٢/ ٥٩٣)، مرقاة المفاتيح (١/ ٢٠٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤٧).

(٣) فتح الباري (١/ ٥٤٣).

(٤) شرح صحيح البخاري (٢/ ٩٩).

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد سُئِلَ ابن وهْبٍ عنه، فَقال: إنَّهُ باطِلٌ»(١).

وكذلكَ ما رُوي عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قال: «ما منكُم من أحدٍ، إلا وهو مشتملٌ على فتنةٍ، إنَّ اللهَ يقولُ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥]، فليستعِذْ باللهِ من مُضِلَّات الفتَنِ»(٢) لا يصحُّ سندُه؛ لانقطاعِه.

وصحَّ عن ابْنِ عمرَ أنَّهُ كان يقولُ عِنْدَ الصَّفا: «اللهُمَّ أحْيِني على سُنَّةِ نَبيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَوَفَّني على مِلَّتِه، وأعِذْني من مُضِلَّاتِ الفِتَنِ»(٣).

وقولُه: «ما ظَهَرَ منها، وما بَطَنَ»، كقولِه تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، وقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

فيطلبُ العبدُ الوقايةَ منَ السُّوءِ، والإثمِ، والفُحشِ، والفتنةِ، باجتنابِ ما نهَى اللهُ عنه، وعدمِ قربانِه، والتعوُّذِ باللهِ من جملةِ الفتَنِ، ظاهرِها، وباطنِها، سرِّها، وعلانيتِها، وبذلكَ تحصُلُ له النجاةُ، ويُكتَبُ له الفلاحُ بإذنِ اللهِ.



(١) فتح الباري (١/ ٥٤٣).
(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٤٧٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩٣١).
(٣) رواه البيهقي (٩٣٤٩).

الحديث الثاني والعشرون:

عَنْ عبدِ اللّه بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان نَبيُّ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمْسَى قال: **«أمْسَينا وأمْسَى المُلْكُ لِلَّهِ، والحَمْدُ لِلَّهِ، لا إلَهَ إلا اللّهُ، وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، له المُلْكُ، ولَهُ الحَمْدُ، وهو على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، رَبِّ أسْألُكَ خَيرَ ما في هذه اللَّيلَةِ، وخَيرَ ما بَعْدَها، وأعُوذُ بكَ من شَرِّ ما في هذه اللَّيلَةِ، وشَرِّ ما بَعْدَها، رَبِّ أعُوذُ بكَ مِنَ الكَسَلِ، وسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أعُوذُ بكَ من عَذابٍ في النَّارِ، وعَذابٍ في القَبْرِ»**، وإذا أصْبَحَ قال ذلك أيضًا: **«أصْبَحْنا وأصْبَحَ المُلْكُ لِلَّهِ»**[١].

هذا الذِّكْرُ من أذكارِ الصَّباحِ، والمساءِ، وكان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَستعيذُ فيه باللهِ تعالى من شرِّ ما في اليومِ، وشرِّ ما بعدَه، وشرِّ ما في اللَّيلةِ، وشرِّ ما بعدَها، ومنَ الكَسَلِ، وسُوءِ الكِبَرِ، ومن عذابِ النارِ، ومن عذابِ القبرِ.

وهذا من تمامِ العبوديةِ للهِ، وتمامِ الفقرِ إليه، بالرغبةِ إليه في تحصيلِ الخيرِ، ودفعِ الشرِّ، كلَّ يومٍ، وكلَّ ليلةٍ، وهذا من فضائلِ أذكارِ الصَّباحِ، والمساءِ: أنَّ العبدَ قائمٌ ليلَه، ونهارَه، على عبوديةِ اللهِ، فيذكُرُه، ويسألُه، ويلجأُ إليه، ويستعيذُ به، مفتقرًا إليه بكليَّتِه في كلِّ ما أهمَّهُ من أمرِ دينِه، وأمرِ دُنياهُ، وأمرِ آخرتِه.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٣).

قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الحَديثِ: إظْهارُ العُبُوديَّةِ، والِافْتِقارِ إلى اللهِ، وأنَّ الأمْرَ كُلَّهُ -خَيرَهُ، وشَرَّهُ- بيَدِ اللهِ، وأنَّ العبدَ ليس له منَ الأمْرِ شيءٌ، وفيهِ تَعْليمٌ للأُمَّةِ، ليَتَعَلَّمُوا آدابَ الدُّعاءِ»[1].

وقدَّم النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين يدَي سؤالِه، واستعاذَتِه، الثناءَ الحسَنَ على ربِّه بما هو أهلُه، منَ الإقرارِ بربوبيَّتِه، وتمامِ مُلكِه، وقدرتِه، وتوحيدِه، وحمدِه.

قولُه: «أمْسَينا وأمْسَى المُلْكُ لِلَّهِ»:

أي: دَخَلْنا في المَساءِ، ودَخَلَ فيه المُلْكُ، كائِنًا للهِ، ومُخْتَصًّا به، أو الجُمْلَةُ حاليَّةٌ بِتَقْديرِ: «قَدْ» أو بِدُونِهِ، أي: أمْسَينا وقد صارَ- بِمعنى: كانَ، ودامَ- المُلْكُ للهِ[2].

قولُه: «رَبِّ أسْألُكَ خَيرَ ما في هذه اللَّيلَةِ»:

قال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: من خَيرِ ما يَنْشَأُ فيها، وخَيرِ ما سكَنَ فيها، قال تَعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ١٣]»[3].

وقال **ابْنُ حَجَرٍ المكيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي مِمَّا أرَدْتَ وُقُوعَهُ فيها لِخَواصِّ خَلْقِكَ منَ الكَمالاتِ الظَّاهِرَةِ، والباطِنَةِ، وخَيرَ ما يَقَعُ فيها منَ العِباداتِ التي أُمِرْنا بها فيها.

أوِ المُرادُ: خَيرُ المَوْجُوداتِ، التي قارَنَ وجُودُها هذه اللَّيلَةَ، وخَيرُ كُلِّ مَوْجُودٍ الآنَ»[4].

«وَخَيرَ ما بَعْدَها»:

أي: منَ اللَّيالي، أو مُطْلَقًا[5].

---

(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٥١).
(٢) المصدر السابق (٤/ ١٦٥١).
(٣) شرح المشكاة (٦/ ١٨٧٢).
(٤) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٥١).
(٥) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٣٦).

قولُه: «وَأعُوذُ بكَ من شَرِّ ما في هذِهِ اللَّيلَة، وشَرِّ ما بَعْدَها»:

والاستعاذةُ من شرِّ اللَّيلةِ، وما فيها منَ الشُّرورِ الظاهرةِ، والباطنةِ، مُناسِبٌ لأذكارِ المساءِ، ودُخولِ الليلِ، فمُعظَمُ الشُّرورِ تكونُ باللَّيلِ؛ ولِذا خصَّها بالاستعاذةِ في سورةِ الفلَقِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]، أي: اللَّيلِ إذا أظلمَ[(١)].

فكثيرٌ منَ الفواحشِ تُرتكَبُ باللَّيلِ، وتَناوُلُ المُسْكراتِ، يَكونُ -غالبًا- في سهراتِ الليلِ، والشياطينُ، والهوامُّ، والحيَّاتُ، والعقاربُ، تنتشِرُ بالليلِ.

وفي الحديثِ: «**إذا كان جُنْحُ اللَّيلِ**[(٢)]**، أو أمْسَيتُمْ، فكُفُّوا صِبْيانَكُمْ؛ فإنَّ الشَّياطيَنَ تَنْتَشِرُ حينَئِذٍ، فإذا ذَهَبَتْ ساعَةٌ منَ اللَّيلِ فَخَلُّوهُمْ...**» الحديثَ[(٣)].

وقولُه: «رَبِّ أعُوذُ بكَ منَ الكَسَلِ»:

التثاقُلِ عمَّا لا ينبَغي التثاقُلُ عنه، وعدمِ نهوضِ النَّفسِ إلى الخيرِ، وقِلَّةِ الرغبةِ فيهِ، معَ وجودِ الاستطاعَةِ.

فالعاجزُ معذورٌ؛ لأنَّه لا استطاعةَ لَه، والكسلانُ غيرُ معذورٍ؛ لوجودِ الاستطاعةِ له[(٤)].

وهو من قبائحِ الصِّفاتِ التي تصدُّ كثيرًا منَ الناسِ عن المعالي، والفضائلِ، والأمورِ المحمودةِ، وتُرَضِّيهم بالدُّونِ منَ الأعمالِ، معَ القُدرةِ على ما هو أعلى منها.

وقد حُكيَ عن الشَّيخِ الفقيهِ زكريَّا الأنصاريِّ الشافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أنَّه كان لا يكادُ

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٤).
(٢) أي: ظلامه.
(٣) رواه البخاري (٣٣٠٤)، ومسلم (٢٠١٢).
(٤) المفاتيح شرح المصابيح للمظهري (٣/ ٢٠٤)، شرح المشكاة (٦/ ١٨٧١).

يفتُرُ عن الطاعةِ ليلًا، ونهارًا ، وكان يصلِّي النوافلَ من قيامٍ، معَ كِبَرِ سِنِّه، وبلوغِه مائةَ سنةٍ، أو أكثرَ، ويقول: «لا أعوِّدُ نفسي الكَسَلَ».

ويقول: «النَفسُ من شأنِها الكَسَلُ، وأخافُ أنْ تَغْلِبَني، وأختِمُ عمري بذلكَ»[1].

والكسلُ عن القيامِ للطاعاتِ، من صفاتِ المنافقينَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يُصَلُّونَ مُراءاةً، وهُمْ مُتكاسِلُونَ، مُتَثاقِلُونَ، لا يَرْجُونَ ثوابًا، ولا يعتقدونَ على تَرْكِها عِقابًا»[2].

وقال السعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلينَ لها، متبرِّمينَ من فعلِها، والكسَلُ لا يكونُ إلا من فقدِ الرغبةِ من قلوبِهم، فلَوْلا أنَّ قلوبَهم فارغةٌ منَ الرغبةِ إلى اللهِ، وإلى ما عندَه، عادمةٌ للإيمانِ، لم يصدُرْ منهُمُ الكسلُ»[3].

وقولُه: «وَسُوءِ الكِبَرِ»:

قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال القاضي: رويناهُ «الكِبرِ» -بإسْكانِ الباءِ وفَتْحِها- فالإسْكانُ بِمعنى التَّعاظُمِ على النَّاسِ، والفَتْحُ بِمعنى الهَرَمِ، والخَرَفِ، والرَّدِّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، كما في الحَديثِ الآخَرِ، قال القاضي: وهذا أظهرُ وأشهرُ بما قَبْلَهُ، قال: وبالفَتْحِ ذَكَرَهُ الهَرَويُّ، وبالوَجْهَينِ ذَكَرَهُ الخَطَّابيُّ، وصَوَّبَ الفَتْحَ»[4].

---

(١) الكواكب السائرة للغزي (١/ ٢٠٣).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٢).

(٣) تفسير السعدي (ص٢١١).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٤٢).

وتُعَضِّدُهُ رِوايَةُ ابنُ حبَّانٍ: «**وَأعُوذُ بكَ منَ الكَسَلِ، والهَرَمِ، وسُوءِ العُمُرِ**»[١].

قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الأصَحُّ رِوايَةً، ودِرايَةً، أي: ما يُورِثُهُ الكِبَرُ من ذَهابِ العَقْلِ، واخْتِلاطِ الرَّأْيِ، وغَيرِ ذلك مِمَّا يَسُوءُ به الحالُ»[٢].

أمَّا مَنْ كبرَ سنُّه، وحسُنَ عملُه؛ فهُوَ من خيرِ الناسِ:

فعَنْ أبي بَكْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ رَجُلًا قال: يا رسولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ خَيرٌ؟ قال: «**مَنْ طالَ عُمُرُهُ، وحَسُنَ عَمَلُهُ**».

قال: فَأيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قال: «**مَنْ طالَ عُمُرُهُ، وساءَ عَمَلُهُ**»[٣].

وجاءَ في روايةٍ عندَ مسلمٍ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الكَسَلِ، والهَرَمِ، وسُوءِ الكِبَرِ، وفِتْنَةِ الدُّنْيا، وعَذابِ القَبْرِ**»[٤].

قال الطيبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهرَمُ»: كِبَرُ السنِّ الذي يؤدِّي إلى تماذقِ الأعضاءِ، وتساقُطِ القُوَى، وإنَّما استعاذَ منه؛ لكونِه منَ الأدواءِ التي لا دواءَ لها، والمرادُ بسُوءِ الكِبَرِ: ما يورثُه كِبَرُ السنِّ من ذَهابِ العقلِ، والتَّخابُطِ في الرَّأي، وغيرِ ذلك ممَّا يسوءُ به الحالُ.

ويمكِنُ أنْ يُرادَ بالفقراتِ كلِّها معنى الترقِّي، فاستعاذَ أوَّلًا منَ الكسَلِ، أي: أعوذُ أنْ أتثاقَلَ في الطاعةِ معَ استطاعَتي، ثمَّ منَ الهرَمِ الذي فيه سقُوطُ بعضِ

---

(١) صحيح ابن حبان (٩٦٣).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٥١).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وصححه، وصححه الألباني.

(٤) صحيح مسلم (٢٧٢٣).

الاستطاعَةِ، فيقومُ ببعضِ وظائفِ العباداتِ، ثمَّ من سوءِ الكِبَرِ الذي يصيرُ فيه كالحِلْسِ[١] المُلقَى على الأرضِ، لا يصدُرُ منه شيءٌ منَ الخيراتِ»[٢].

وقولُه: «رَبِّ أعُوذُ بكَ من عَذابٍ في النَّارِ، وعَذابٍ في القَبْرِ»:

خصَّهما بالذِّكْرِ؛ لشِدَّتِهما، وعِظَمِ شأنِهما؛ فالقبرُ أوَّلُ مَنازِلِ الآخِرَةِ، فَإنْ نَجا منه، فَما بَعْدَهُ أيسَرُ منه، وإنْ لم يَنْجُ منه، فَما بَعْدَهُ أشَدُّ منه، والنارُ ألَمُها عظيمٌ، وعذابُها شديدٌ، أعاذَنا اللهُ من عذابِ النارِ، وعذابِ القبرِ.



(١) «الحلْس»: كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرحْل، والسرْج، وما يبسط في البيت من حصير ونحْوه، تحت كريم المتاع. المعجم الوسيط (١/ ١٩٢).

(٢) شرح المشكاة (٦/ ١٨٧٢).

الحديث الثالث والعشرون:

عن عُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **«كانَ النبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يتعوَّذُ من خَمسٍ: منَ الجُبْنِ، والبُخْلِ ، وسُوءِ العُمُرِ، وفِتْنَةِ الصَّدْرِ، وعَذابِ القَبْرِ»**[١].

استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ «**الجُبْنِ، والبُخلِ**»، يعني: الجُبْنَ في القتالِ، والبُخلَ في بذلِ المالِ.

والجُبْنُ والبُخلُ قرينانِ؛ فسُوءُ الجُبْنِ يمنعُ من نكايةِ الأعداءِ، والبُخلُ يمنعُ من إخراجِ ما وجبَ[٢].

فاستعاذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهما؛ لِما فيهما منَ التقصيرِ عن أداءِ الواجباتِ، والقيامِ بحقوقِ اللهِ تعالى، وإزالةِ المُنكَرِ، ولأنَّ بشجاعةِ النفسِ، وقوَّتِها المُعتَدِلةِ، تتمُّ العباداتُ، ويُنصَرُ المظلومُ، وبالسلامةِ منَ البُخلِ، يقومُ بأداءِ الحُقوقِ، وينبعِثُ للإنفاقِ، والجُودِ، ومكارمِ الأخلاقِ، ويمتنعُ منَ الطَّمَعِ فيما ليس لَه[٣].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٣٩)، والنسائي (٥٤٤٦)، وابن ماجه (٣٨٤٤)، وأحمد (١٤٥)، وصححه محققو المسند.

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٩)، التنوير (٨/ ٥٣٤).

(٣) شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٥١).

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإحسانُ المتوقَّعُ منَ العبدِ، إمَّا بمالِه، وإمَّا ببَدنِه، فالبخيلُ مانِعٌ لنفعِ مالِه، والجبانُ مانِعٌ لنفعِ بَدْنِه»[١].

والجُبْنُ والبُخْلُ مذمومانِ غايةَ الذَّمِّ؛ فَفي الحديثِ: «**حَسْبُ الرَّجُلِ**[٢] **أنْ يكونَ فاحِشًا بَذيًّا**[٣]**، بَخيلاً، جَبانًا**»[٤].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما في القُرْآنِ من الحَضِّ على الجِهادِ، والتَّرْغيبِ فيهِ، وذَمِّ النَّاكِلينَ عنه، والتَّارِكينَ لَهُ، كُلُّهُ ذَمٌّ للجُبْنِ.

ولَمَّا كان صَلاحُ بَني آدَمَ، لا يَتِمُّ في دينِهِمْ، ودُنْياهُمْ، إلا بالشَّجاعَةِ، والكَرَمِ، بيَّنَ سبحانه أنَّ مَنْ تَوَلَّى عن الجِهادِ بِنَفْسِهِ، أبْدَلَ اللهُ به مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ؛ فَقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩].

وقال تَعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وبالشَّجاعَةِ والكَرَمِ في سَبيلِ اللهِ، فَضَّلَ السَّابِقينَ؛ فَقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٣).

(٢) أي: كافيه من الشر.

(٣) أي: قبيح الكلام.

(٤) رواه أحمد (١٧٣١٣)، وحسنه محققو المسند.

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقد ذَكَرَ الجِهادَ بالنَّفْسِ والمالِ في سَبيلِه، ومَدَحَهُ في غَيرِ آيةٍ من كِتابِهِ»[١].

وقولُه: «سُوءِ العُمُرِ»:

يعنَي به سُوءَ الكِبَرِ، والرَّدَّ إلى أرذلِ العُمُرِ، الذي وردَت الاستعاذَةُ به في أحاديث أخرَى، وهو الخَرَفُ، وفسادُ العقلِ عندَ الكِبَرِ.

وقيلَ: عدَمُ البركةِ في العمُرِ، بفواتِ الطاعاتِ، والإخلالِ بالواجباتِ.

فهوَ: إمَّا سُوءُ الكِبَرِ في آخرِ الحالِ، أو مُضيُّه فيما لا ينفَعُه في المآلِ[٢].

واستعاذَ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّه حالةٌ يختلُّ فيها أشرفُ الأشياءِ الذي هو العقلُ، ويَعْجِزُ به عن أداءِ العباداتِ، ويصبحُ عالةً على الناسِ[٣].

ثمَّ استعاذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من «فِتْنَةِ الصَّدْرِ»:

أي: قَساوَةِ القَلْبِ، وحُبِّ الدُّنْيا، وأمْثالِ ذَلِكَ.

وقيلَ: هو مَوْتُ القلبِ، وفَسادُهُ.

وقيلَ: ما يَنْطَوِي عليه منَ الحِقْدِ، والعَقائِدِ الباطِلَةِ، والأخْلاقِ السَّيِّئَةِ.

وقال الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِتْنَةُ الصَّدْرِ: هو الضِّيقُ المُشارُ إليه بِقولِهِ تَعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٥٧–١٥٨).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٩)، فيض القدير (٥/ ٢٠١)، التنوير (٨/ ٥٣٤).

(٣) شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٥١)، التنوير (٨/ ٥٣٤).

أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فَهِيَ الإنابَةُ إلى دارِ الغُرُورِ، التي هي سِجْنُ المُؤْمِنِ، والتَّجافي عن دارِ الخُلُودِ، التي هي الجَنَّةُ، التي عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأرْضِ، أُعِدَّتْ للمُتَّقينَ».

وهو ضِدُّ شَرْحِ الصَّدْرِ، الذي قال فيه اللهُ تَعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥][1].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]؛ «أي: ضَنكًا في الدُّنيا، فلا طُمأنينةَ له، ولا انشراحَ لصَدْرِه، بل صدرُه ضيِّقٌ حَرِجٌ؛ لضلالِه، وإنْ تنعَّم ظاهرُه، ولبسَ ما شاءَ، وأكلَ ما شاءَ، وسكنَ حيثُ شاءَ»[2].

وهذا يكونُ بسببِ اتِّباعِ الشُّبُهاتِ، والشهواتِ، والإعراضِ عن اللهِ.

وقال العينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بفتنةِ الصَّدرِ: ما يحصُلُ فيه منَ الوساوسِ الشَّيطانيةِ، ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ: ما يكونُ فيه منَ الهممِ إلى المعاصي، واكتسابِ الآثامِ، ونحوِ ذلكَ؛ وذلك لأنَّ الصَّدرَ فيه القلبُ، وهو محلُّ هذِه الأشياءِ، وهو الأصلُ في أعمالِ سائرِ الأعضاءِ، حتى إذا صلحَ هو صَلحَتِ الأعضاءُ، وإذا فسدَ فسدَتِ الأعضاءُ»[3].

وفِتْنَة الصَّدْر مِن أخطَرِ الفِتَنِ، فيدخلُ فيها:

* فِتنةُ الشَّيطانِ؛ لأنَّه ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥].
* فِتَنُ الشُّـبُهاتِ؛ لأنَّها تُعرَضُ على القلوبِ التي في الصُّدورِ، كما في الحديثِ:

(١) شرح المشكاة (٦/ ١٩١٦)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٥).
(٣) شرح أبي داود (٥/ ٤٥٢).

«**تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلُوبِ كالحَصيرِ عُودًا، عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيضاءُ...**» الحديثَ[١].

* فِتَنُ الشَّهواتِ؛ لأنَّ منبعَها القلبُ.

* أمراضُ القلوبِ، كالشكِّ، والغلِّ، والحَسَدِ، والرِّياءِ، والنِّفاقِ، وغيرِ ذلكَ.

* الوساوسُ، كالوَسْواس القَهْريِّ، وغيرِه.

ثمَّ استعاذَ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **من «عذابِ القَبْرِ»**:

أي: التعذيبِ فيهِ، على ما وقعَ التقصيرُ فيه منَ المأموراتِ، أو المنهيَّاتِ، والقصدُ بذلكَ: تعليمُ الأمَّةِ كيفَ يتعوَّذونَ[٢].

وقال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُٱللَّهُ: «**الأَسْبابُ التي يُعذَّبُ بها أَصْحابُ القُبُورِ**:

من جهةِ الإجمالِ: فإنَّهم يُعَذبُونَ على جهلِهِم باللهِ، وإضاعتِهم لأمرِه، وارتكابِهم لمعاصيهِ، فَلا يعذِّبُ اللهُ روحًا عَرفَتْهُ، وأحبَّتْه، وامتثلَتْ أمرَه، واجتنبَتْ نَهْيَه، ولا بدنًا كانَت فيه أبدًا، فإنَّ عَذابَ القَبْرِ، وعَذابَ الآخِرَةِ، أثرُ غضبِ اللهِ، وسخطِه على عَبدِه، فَمَنْ أغضَبَ اللهَ، وأسخَطَه في هَذِه الدَّارِ، ثمَّ لم يتُبْ، وماتَ على ذَلِكَ، كان له من عَذابِ البرزَخِ بِقدرِ غضَبِ اللهِ، وسخطِه عليه، فمستقلٌّ، ومستكثرٌ، ومصدِّقٌ، ومكذِّبٌ.

و**أمَّا من جهةِ التّفصيلِ**: فقَدْ أخبرَ النبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الرَّجلَين الَّذين رآهُما يعذَّبانِ في قبورِهما، يمشِي أحدُهما بالنميمةِ بين النَّاسِ، ويتْرُكُ الآخرُ الإسْتِبْراءَ منَ البَوْلِ.

فَهذا ترَكَ الطَّهارَةَ الواجِبَة، وذلك ارْتكب السَّبَبَ المُوقِعَ للعداوةِ بين النَّاسِ بِلِسانِهِ، وإنْ كان صادِقًا.

---

(١) رواه مسلم (١٤٤).

(٢) فيض القدير (٥/ ٢٠١).

وفي هذا تَنْبيهٌ على أنَّ الموقعَ بَينهُمُ العَداوَةَ بالكَذِبِ، والزُّورِ، والبهتانِ، أعظمُ عذابًا، كما أنَّ في تركِ الِاسْتِبْراءِ منَ البَوْلِ تَنْبيهًا على أنَّ مَنْ تركَ الصَّلاةَ، التي الِاسْتِبْراءُ منَ البَوْلِ بعضُ واجباتِها، وشروطِها، فهوَ أشدُّ عذابًا.

وفي حَديثِ سَمُرَةَ في صَحيحِ البخاريِّ تَعْذيبُ مَنْ يكذِبُ الكَذْبَةَ، فتبلغُ الآفاقَ، وتعذيبُ مَنْ يقْرَأُ القُرْآنَ، ثمَّ ينامُ عنه باللَّيلِ، ولا يعْملُ به بالنَّهارِ، وتعذيبُ الزناةِ، والزَّواني، وتعذيبُ آكلِ الرِّبا، كما شاهدَهُمُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البرزخِ[1].

وحَديثُ أبي هُرَيرَة رضِيَ اللهُ عنه، الذي فيه رضخُ رُءُوسِ أقوامٍ بالصَّخرِ؛ لتثاقُلِ رُءُوسِهم عن الصَّلاةِ، والذين يسرَحُونَ بين الضريعِ، والزَّقومِ؛ لتركِهِم زَكاةَ أمْوالِهِم، والَّذين يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ المنتِنَ الخَبيثَ؛ لِزِناهُم، والَّذين تُقْرضُ شفاهُهُم بمقاريضَ من حَديدٍ؛ لقيامِهم في الفِتَنِ بالكلامِ، والخُطبِ[2].

وقد أخبرنا النبي صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم عن صاحبِ الشملةِ التي غلَّها منَ المغنَمِ، أنَّها تشتعِلُ نارًا في قَبرِه[3]، هذا وله فيها حقٌّ، فكيفَ بِمَنْ ظلمَ غَيرَه، ما لا حقَّ له فيهِ؟

فعذابُ القَبرِ عن معاصي القلبِ، والعينِ، والأُذنِ، والفمِ، واللِّسانِ، والبطنِ، والفَرْجِ، واليَدِ، والرِّجلِ، والبدنِ كُلِّه»[4].



(١) رواه البخاري (١٣٨٦).

(٢) رواه البزار (٩٥١٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٤٦٧).

(٣) رواه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥).

(٤) الروح (ص٧٧-٧٨)، باختصار، وتصرف يسير.

الحديث الرابع والعشرون:

عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذامِ، ومن سَيِّئِ الأسْقامِ»**[١].

وفي روايةٍ:

كان رسولُ اللّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ في دُعائِه: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ العَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والهَرَمِ، والقَسْوَةِ، والغَفْلَةِ، والعيلَةِ، والذِّلَّةِ، والمَسْكَنَةِ، وأعُوذُ بكَ منَ الفَقْرِ، والكُفْرِ، والفُسُوقِ، والشِّقاقِ، والنِّفاقِ، والسُّمْعَةِ، والرِّياءِ، وأعُوذُ بكَ منَ الصَّمَمِ، والبَكَمِ، والجُنُونِ، والجُذامِ، والبَرَصِ، وسَيِّئِ الأسْقامِ»**[٢].

استعاذَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عمومِ الأمراضِ السَّيئةِ، وخصَّ منها بعضَ الأمراضِ المُزْمِنةِ بالذِّكرِ؛ لشِدَّتِها، ومفاسِدِها في الدِّين، والدُّنيا، ولنُفرةِ الناسِ من أصحابِها، معَ ما في بعضِها منَ الشَّينِ، والعَيبِ، وفسادِ الخِلْقةِ، وتغييرِ الصُّورةِ، والبلاءُ بِها يَشتَدُّ.

وهيَ داخلةٌ في «جَهْدِ البَلاءِ» الذي كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوَّذُ منه.

(١) رواه أبو داود (١٥٥٤)، والنسائي (٣٩٤٥)، وأحمد (١٣٠٠٤)، وصححه محققو المسند على شرط مسلم.

(٢) رواه الحاكم (١٩٤٤)، وابن حبان (١٠٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٥).

ولَمْ يَسْتَعِذْ ﷺ من سائرِ الأسقامِ؛ لأنَّ بعضَها ممَّا يَخِفُّ مؤنَتُه، وتكثُرُ مثوبَتُه عندَ الصَّبرِ عليه، معَ عدَمِ إزمانِه، كالحُمَّى، والصُّداعِ، والرَّمَدِ، ونحوِ ذلكَ، ففيها أجرٌ، وتكفيرٌ للذُّنوبِ، ثمَّ هي تزولُ، ولا تدومُ[1].

«البَرَص»: مرضٌ معروفُ، وهو بياضُ الأعضاءِ على وجهِ العِلَّةِ.

«والجُنونِ»: ذَهابُ العقلِ، أو فسادُه.

«والجُذام»: مرضٌ مُزْمِنٌ بكتيريٌّ معروفٌ، يَذهَبُ معَه شعورُ الأعضاءِ، ويتفتَّتُ اللَّحْمُ، ويسقطُ الشَّعْرُ، ويجري الصَّديدُ على الأعضاءِ، حتى تعافَ النفوسُ صاحبَه.

ويجتمِعُ البَرَصُ، والجُذامُ، في بشاعةِ المنظَرِ، وتغييرِ الصُّورةِ، وأنَّهما مُعْديانِ.

«وسَيِّئِ الأسقامِ»: وهيَ الأمراضُ الفاحشةُ الرديئةُ؛ مثل الاستِسْقاءِ، والسُّلِّ، والسَّرطاناتِ، والإيدزِ، والأمراضِ المزمنةِ[2].

وهو من عَطْفِ العامِّ على الخاصِّ.

وقال العينيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما استعاذَ من هذِه الأسقامِ؛ لأنَّها عاهاتٌ تُفْسِدُ الخِلْقةَ، وتُبْقي الشَّينَ، وبعضُها يؤثرُ في العقلِ، وليستْ كسائرِ الأمراضِ التي إنَّما هي أعراضٌ لا تدومُ، كالحُمَّى، والصّداعِ، وسائرِ الأمراضِ التي لا تجري مجرَى العاهاتِ، وإنَّما هي كفاراتٌ، وليسَتْ بعقوباتٍ»[3].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص١٧٢)، معالم السنن (١/ ٢٩٧)، شرح المشكاة للطيبي (٦/ ١٩١٨)، فيض القدير (٢/ ١٥٠)، عون المعبود (٤/ ٢٨٨).
(٢) ينظر: فيض القدير (٢/ ١٢٣).
(٣) شرح أبي داود (٥/ ٤٦٣).

وقال **الطيبيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «استعاذَ منَ السّقمِ المُزمنِ، الذي ينتهي بصاحبِه إلى حالةٍ يفرُّ منها الحميمُ، ويقلُّ دونَها المؤانِسُ، والمداوي، معَ ما يورثُ منَ الشَّينِ، فمنها: الجنونُ الذي يزيلُ العقلَ، فلا يأمَنُ صاحبُه القتلَ، ومنها: البرَصُ، والجُذامُ، وهما العلَّتانِ المزمنتانِ، مع ما فيهِما منَ القذارةِ، والبشاعَةِ، وتغييرِ الصورةِ»[١].

والضابطُ في استحبابِ الاستعاذةِ منَ الأمراضِ:

أنَّ كلَّ مرضٍ يَحْتَرِزُ الناسُ من صاحبِه، ولا ينتَفِعونَ منه، ولا يَنتفِعُ منهُم، ويَعْجِزُ بسبَبِه عن حقوقِ اللهِ، وحقوقِ المسلمينَ، فيُستَحَبُّ الاستعاذةُ من ذلك المرضِ[٢].

وقولُه في الروايةِ الأخرى:

«والقَسْوَةِ»: قسوة القلبِ، وهيَ غِلْظتُه، وصلابتُه، وقد ذمَّ اللهُ أهلَها.

«والغفلةِ»: غيبَة الشيءِ المهمِّ عن البالِ، وعَدم تذكُّرِه، والسَّهو عنه.

«والعيلةِ»: هي الفقرُ، من قولِه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨].

«والذّلةِ»: الهَوان على الناسِ، ونَظرهم إليه بعينِ الاحتقارِ.

«والمسكنةِ»: قلَّة المالِ، والحال السِّيئةِ.

«والفُسُوقِ»: العِصْيان، والتَّرْك لأمرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، والخُرُوج عن طَريقِ الاستِقامةِ.

«والشِّقاقِ»: الخِلاف، والعَداوة.

«والنِّفاقِ»: فِعْل المنافقينَ، وهو إظهارُ الإيمانِ، وإبطانُ الكفرِ.

---

(١) شرح المشكاة (٦/ ١٩١٨).

(٢) المفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ٢٣٨-٢٣٩).

«والسُّمْعَةِ»: التّنويه بالعملِ؛ ليسمعَه الناسُ.

«والرِّياءِ»: إظْهار العِبادةِ؛ ليراها الناسُ، فيحمَدُوهُ.

فالسُّمعةُ: أنْ يعملَ للهِ خِفيةً، ثمَّ يتحدّثُ بها تَنويهًا، والرياءُ: أنْ يعملَ لغيرِ اللهِ.

وذَكرَ هذِه الخصالَ؛ لكونِها أقبحَ خصالِ الناسِ، فاستعاذتُه منها إبانةٌ عن قبحِها، وزجرٌ للناسِ عنها بألطفِ وجهٍ، وأمرٌ بتجنُّبِها بالالتجاءِ إلى اللهِ.

«وَأعُوذُ بكَ مِنَ الصَّمَمِ»: وهو انْسدادُ الأُذنِ، وثقلُ السَّمعِ، وضعفُه.

«والبَكَمِ»: الخرَس، مَعَ عيّ وبَلَهٍ، وقيلَ: هو الخرَس ما كان [١].

وقال الأزهريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَينَ الأَخْرَسِ والأَبْكَمِ فَرْقٌ في كَلام العَربِ، فالأَخْرَسُ: الذي خُلِقَ ولا نُطْقَ لَهُ، كالبَهيمَةِ العَجْماءِ، والأبكَمُ: الذي لِلسانِه نُطْقٌ، وهو لا يعقِلُ الجوابَ، ولا يُحْسِنُ وجْهَ الكَلامِ» [٢].

وقد كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بدوامِ العافيةِ في البدَنِ، والسَّمعِ، والبصرِ، كلَّ صباحٍ، ومساءٍ، فيقولُ: «**اللهُمَّ عافِني في بَدَني، اللهُمَّ عافِني في سَمْعي، اللهُمَّ عافِني في بَصَري، لا إلَهَ إلا أنْتَ**»، **ثلاثًا** [٣].

ومن دعائِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَتِّعْنا بِأَسْماعِنا، وأَبْصارِنا، وقُوَّتِنا، ما أَحْيَيْتَنا**» [٤].

أمَّا الاستعاذةُ منَ العجزِ، والكسلِ: فيأتي الكلامُ عليها -إنْ شاءَ اللهُ- في الحديثِ السادسِ والعشرينَ.

---

(١) ينظر: فيض القدير (٢/ ١٢٢)، التنوير (٣/ ١٢٧)، لسان العرب (١٠/ ٣٠٨)، (١٢/ ٥٣).

(٢) تهذيب اللغة (١٠/ ١٦٣).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه، وحسنه الألباني.

وهذِه الأمراضُ، ونحوُها، لا يُصابُ بها نبيٌّ؛ لأنَّه يُشترَطُ في النبيِّ: السلامةُ من كلِّ ما يقدَحُ في نُبُوَّتِه، وتبليغِه، أو يُنفِّرُ عن اتِّباعِه، فالرُّسلُ أكمَلُ البشَرِ نوعًا، وأشرفُهُم نَسبًا، وأحسنُهُم صورةً، وخَلْقًا، قال تعالى: ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٨٧].

ولكنَّ النبيَّ ﷺ يعلِّمُ الأمةَ كيفَ تدعُو اللهَ، وتستعيذُ به من ذلك وأمثالِه(١).

وهو -أيضًا- من كمالِ عبوديتِه لربِّه، وفقرِه إليه، ودوامِ الرغبةِ في إحسانِه، ولطفِه، وعافيتِه؛ فإنَّه لا غِنى للعبدِ عن مولاهُ في جلبِ نفعٍ، أو دفعِ ضرٍّ، فكيفَ بأكرَمِ الخَلْقِ على ربِّه، وأقرَبِهم إليه وسيلةً، ﷺ؟



(١) ينظر: فيض القدير (٢/ ١٢٢، ١٥٠)، الرسل والرسالات، للأشقر (ص٧٨-٨٤).



الحديث الخامس والعشرون:

عنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من الفَقْرِ، والقِلَّةِ، والذِّلَّةِ، وأعُوذُ بكَ من أنْ أظْلِمَ، أو أُظْلَمَ»**[١].

استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ الفقرِ، والقلَّةِ، والذِّلَّةِ، وبينَها تلازُمٌ:

فـ **«الفقرُ»:** المقصودُ بهِ: الفقرُ المُدقِعُ الشديدُ، الذي يُحْوِجُ الإنسانَ إلى التكفُّفِ، والتذلُّلِ، وتدنيسِ العِرْضِ.

والمُرادُ: فِتنةُ الفقرِ، المتفرِّعةُ عليه، كالجزَعِ، وعدمِ الرِّضا.

فالفقرُ المُستعاذُ منه، هوَ: الفقرُ الذي يكُونُ فيه التَّسخُّطُ، وقِلَّةُ الصَّبرِ، أو الوقوعُ في الحرامِ، أو الشُّبهاتِ؛ أو يتسبّبُ في سُؤالِ النَّاسِ، والاحْتياجِ إليهم.

وأمَّا الفقرُ الذي فيه القناعةُ، والصَّبرُ، والرِّضا، معَ صلاحِ صاحبِه، فهوَ محمودٌ.

وقيلَ: المرادُ بالفقرِ: فقرُ القَلْبِ، أو النفْسِ، وهو الذي يُقابِلُ غِنَى النفسِ الذي هو قناعَتُها.

أمَّا **«القلَّةُ»** فهي: قلَّةُ الصَّبرِ، أو قلَّةُ العدَدِ، أو القلَّةُ في أبوابِ البرِّ، والخيرِ.

وقيلَ: المُرادُ: قِلَّةُ المالِ، بحيثُ يكونُ الشَّخصُ فقيرًا، غيرَ راضٍ بقضاءِ اللهِ، ولا

---

(١) رواه أبو داود (١٥٤٤)، وأحمد (٨٠٥٣)، وصححه محققو المسند على شرط مسلم.

يكونُ له كَفافٌ منَ القوتِ، ويَعْجِزُ عن وظائفِ العباداتِ؛ بسببِ الجُوعِ، وحاجةِ العيالِ.

فتَحمِلُه هذِه القلَّةُ على التَّسخُّطِ على أقدارِ اللهِ تعالى، والجَزَعِ، والحَسَدِ، وقد يجُرُّه ذلك إلى الكُفرِ؛ ولذا قرنَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالكُفْرِ في قولِه: «**وأعوذُ بكَ منَ الفَقْرِ، والكُفْرِ**»(١).

فينتُجُ عن الفقرِ، والقلَّةِ: «**الذِّلَّةُ**»، فيكونُ الشخصُ ذليلًا، بحيثُ يَستَخِفُّه الناسُ، ويَحْقِرونَهُ، ويعيبونَهُ.

وقيلَ: المُرادُ: الذِّلَّةُ الحاصلةُ منَ المعصيَةِ(٢).

ثمَّ استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنْ يكونَ ظالِمًا، أو مظلومًا؛ فقال:

«وَأعُوذُ بكَ من أنْ أظْلِمَ، أو أُظْلَمَ»:

أي: وأعوذُ بك مِن أنْ أكونَ ظالمًا، أو مَظلومًا.

والظُّلْمُ هوَ: وضْعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ، أو مجاوزةُ الحدِّ، والتعدِّي على حقِّ الغيرِ(٣).

فاستعاذَ باللهِ أنْ يكونَ منَ الظالِمينَ المُعتدينَ، أو يكونَ منَ المظلومينَ المقهُورينَ.



---

(١) رواه ابن حبان (١٠٢٣)، والحاكم (١٩٤٤)، وقد تقدم ذكْره.

(٢) تحفة الأبرار، للبيضاوي (٢/ ١٠٦)، المفاتيح للمظهري (٣/ ٢٣٦)، شرح المشكاة (٦/ ١٩١٧)، شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٥٥)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٩).

(٣) شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٥٥)، عوْن المعبود (٤/ ٢٨٣)، ذخيرة العقبى (٨/ ٢٠٥).

الحديث السادس والعشرون:

عن أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان نَبيُّ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والهَرَمِ، وأعُوذُ بكَ من عَذابِ القَبْرِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ المَحْيا، والمَماتِ»**[١].

تقدَّمت هذِه الاستعاذاتُ، والجديدُ هنا: الجَمْعُ بين الاستعاذةِ منَ العَجْزِ، والكسَلِ.

والفَرْقُ بين العَجْزِ، والكسَلِ: أنَّ الكَسَلَ تَرْكُ الشيءِ، وعدمُ انبعاثِ النَّفسِ للخيرِ، وقلَّةُ الرَّغبةِ فيهِ، معَ القُدرةِ على فِعْلِه.

والعَجْزُ: عدمُ القُدرةِ[٢].

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَجْزُ والكَسَلُ قرينانِ؛ فإنَّ تخلُّفَ مصلحةِ العبدِ وكمالِه ولذَّتِه وسرورِه عنه، إمَّا أنْ يكونَ مصدرُه عدمَ القدرَةِ: فهوَ العَجْزُ.

أو يكونَ قادِرًا عليه، لكنْ تخلَّفَ لعدَمِ إرادتِهِ: فهُوَ الكَسَلُ، وصاحبُه يُلامُ عليه ما لا يُلامُ على العَجْزِ.

وقد يكونُ العَجْزُ ثمرةَ الكَسَلِ، فيُلامُ عليه أيضًا، فكثيرًا ما يكسلُ المرءُ عن

(١) رواه البخاري (٦٣٦٧)، ومسلم (٢٧٠٦).
(٢) شأن الدعاء (ص١١٩)، إكمال المعلم (٨/ ٢٠٢)، فتح الباري (٦/ ٣٦).

الشيءِ الذي هو قادِرٌ عليه، وتضعُفُ عنه إرادتُهُ؛ فيُفْضي به إلى العَجْزِ عنه، وهذا هو العَجْزُ الذي يُلامُ عليه صاحبُهُ»[١].

«وَيَنْشَأُ عن هاتَينِ الصِّفَتَينِ فَواتُ كُلِّ خَيرٍ، وحُصُولُ كُلِّ شَرٍّ»[٢].

ويقول -أيضًا- رَحِمَهُ اللَّهُ: «والإنْسانُ مَنْدُوبٌ إلى اسْتِعاذَتِهِ بِاللهِ تعالى من العَجْزِ، والكَسَلِ؛ فالعَجْزُ: عَدَمُ القُدْرَةِ على الحيلَةِ النَّافِعَةِ، والكَسَلُ: عَدَمُ الإرادَةِ لِفِعْلِها.

فالعاجِزُ لا يَسْتَطيعُ الحيلَةَ، والكَسْلانُ لا يُريدُها.

ومَنْ لم يَحْتَلْ، وقد أمْكَنَتْهُ هذه الحيلَةُ، أضاعَ فُرْصَتَهُ، وفَرَّطَ في مَصالِحِهِ، كما قال:

إذا المَـرْءُ لم يَحْتَـلْ وقـد جَـدَّ جِدُّهُ

أضاعَ وقاسَـى أمْـرَهُ وهـو مُدْبِرُ

وفي هذا قال بَعْضُ السَّلَفِ: «الأمْرُ أمْرانِ: أمْرٌ فيه حيلَةٌ، فَلا يُعْجَزُ عنه، وأمْرٌ لا حيلَةَ فيهِ، فَلا يُجْزَعُ منهُ»[٣].

وقال أبُو جَعفَر محمدُ بنُ عَليٍّ لِابْنِهِ: «يا بُنَيَّ إيَّاكَ والكَسَلَ، والضَّجَرَ، فَإنَّهُما مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ، إنَّكَ إنْ كَسِلَتْ لم تُؤَدِّ حَقًّا، وإنْ ضَجِرْتَ لم تَصْبِرْ على حَقٍّ»[٤].

وفي الاستعاذَةِ منَ العجزِ، والكسَلِ، دعوةٌ إلى القوَّةِ في دينِ اللهِ، والحِرْصِ على تحصيلِ المصالِحِ، والاستعانةِ باللهِ، والأخذِ بالأسبابِ، وعدمِ التواكُلِ، وعدمِ التمنِّي المُفْضي للكسلِ، المُفضي للعجزِ، والإفلاسِ.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٣).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٣٢٩).

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٢٦١).

(٤) حلية الأولياء (٣/ ١٨٣).

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المُؤْمِنُ القَويُّ، خَيرٌ وأَحَبُّ إلى اللهِ منَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خَيرٌ، احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجَزْ، وإنْ أصابَكَ شيءٌ، فَلا تَقُلْ: لو أنِّي فَعَلْتُ كان كَذا، وكَذا، ولكنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وما شاءَ فَعَلَ، فَإنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ**»[1].

وقال ثوبانُ بنُ إبراهيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكَيِّسُ: مَنْ بادَرَ بِعَمَلِهِ، واسْتَعَدَّ لِأَجَلِهِ»[2].

قال ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكَيسُ: هو مُباشَرَةُ الأسْبابِ التي رَبَطَ اللهُ بِها مُسَبَّباتِها النَّافِعَةَ للعبدِ، في مَعاشِهِ، ومَعادِهِ، فَهذه تَفْتَحُ عَمَلَ الخَيرِ، وأمَّا العَجْزُ: فَإنَّهُ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ، فَإنَّهُ إذا عَجَزَ عَمَّا يَنْفَعُهُ، وصارَ إلى الأمانيّ الباطِلَةِ بِقولِهِ: لو كان كَذا، وكَذا، ولو فَعَلْتُ كَذا، يَفْتَحُ عليه عَمَلَ الشَّيطانِ، فَإنَّ بابَهُ العَجْزُ، والكَسَلُ؛ ولهذا اسْتَعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهُما، وهُما مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ، ويَصْدُرُ عَنْهُما الهَمُّ، والحَزَنُ، والجُبْنُ، والبُخْلُ، وضَلَعُ الدَّينِ، وغَلَبَةُ الرِّجالِ، فَمَصْدَرُها كُلُّها عن العَجْزِ، والكَسَلِ، وعُنْوانُها «لَوْ»؛ فَلِذَلِكَ قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإنَّ «لَوْ» تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ**».

فالمُتَمَنِّي من أعْجَزِ النَّاسِ، وأفْلَسِهِمْ، فَإنَّ التَّمَنِّيَ رَأْسُ أمْوالِ المَفاليسِ، والعَجْزُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ.

وأصْلُ المَعاصي كُلِّها العَجْزُ، فَإنَّ العبدَ يَعْجِزُ عن أسْبابِ أعْمالِ الطَّاعاتِ، وعنِ الأسْبابِ التي تُبْعِدُهُ عن المَعاصي، وتَحُولُ بَينَهُ وبَينَها، فَيَقَعُ في المَعاصي»[3].

فاستعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ العَجْزِ، والكَسَلِ؛ لأنَّهما يمنعانِ العبدَ من أداءِ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) حلية الأولياء (٩/ ٣٨٤).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٢٦).

حُقوقِ اللهِ، وحقوقِ عبادِهِ، وحقوقِ نفسِ العاجِزِ، وحقوقِ أهلِه، ويؤدِّي إلى تضييعِ النَّظرِ في أمرِ معادِهِ، وأمرِ دُنياهُ.

وقد أُمِرَ المؤمنُ بالاجتهادِ في العملِ، والإجمالِ في الطَّلَبِ، ولا يكونُ عالةً على غيرِه، طالَمَا كان ممتَّعًا بصِحَّةِ جوارِحِه، وعقلِه[1].

وقد قيلَ:

وإنَّ التَّواني أنْكَحَ العَجْزَ بِنْتَهُ
وَساقَ إليها حينَ زوَّجَها مَهْرا

فِراشًا وطيئًا ثمَّ قال لها اتّكي
فصاراهُما لا بُدَّ أنْ يَلِدا الفَقْرا[2]



(١) ينظر: شرح ابن بطال على البخاري (٥/ ٣٥، ١٠/ ١١٩)، إكمال المعلم (٨/ ٢٠٣).
(٢) عيون الأخبار (١/ ٣٥١).

الحديث السابع والعشرون:

عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنتُ أسمَعُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من الهَمِّ، والحَزَنِ، والعَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، وضَلَعِ الدَّينِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ»**[١].

تقدَّمت هذِه الاستعاذاتُ، والجديدُ هُنا: الاستعاذةُ منَ الهَمِّ، والحَزَنِ.

والفرقُ بين الهَمِّ، والحَزَنِ: أنَّ الحَزَنَ إنَّما يكونُ على أمرٍ قَدْ وقَعَ، والهَمَّ إنَّما هو فيما يُتوقَّعُ حصولُهُ، ولمْ يحصُلْ بَعدُ[٢].

وقال ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا ينبغي للمؤمنِ أنْ يكونَ مهمومًا بشيءٍ من أمورِ الدُّنيا؛ فإنَّ اللهَ تعالى قَدْ قدَّرَ الأمورَ فأحكمَها، وقدَّرَ الأرزاقَ، فلا يَجْلِبُ الهَمُّ للعبدِ في الدُّنيا خيرًا، ولا يأتيهِ بما لم يُقَدَّرْ لَهُ.

وفي طُولِ الهمِّ قلَّةُ رضًا بقَدَرِ اللهِ، وسَخَطُه على ربِّهِ.

وقد كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ يقولُ: «اللهمَّ رضِّني بالقضاءِ، وحبِّبْ إليَّ القدَرَ، حتى لا أحِبَّ تقديمَ ما أخَّرتَ، ولا تأخيرَ ما قدَّمتَ»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٩٣).

(٢) أعلام الحديث (٢/ ١٣٩٤)، فتح الباري (١١/ ١٧٨)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٩٨).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٢٢٤)، ولفظه: «اللهم رضني بقضائك، وباركْ لي في قدرك، حتى لا أحب تعْجيل شيء أخرْته، ولا تأْخير شيء عجلْته».

ومَنْ آمنَ بالقدَرِ؛ فلا يَنبغي له أنْ يَهتمَّ على شيءٍ فاتَه منَ الدُّنيا، ولا يتَّهمَ ربَّهُ، ففيما قضَى له الخيرةُ.

وإنَّما ينبغي للعبدِ الاهتمامُ بأمرِ الآخرَةِ، ويفكِّرُ في مَعادِه، وعَرْضِه على ربِّه، وكيفَ يَنجُو من سؤالِه عن الفَتيلِ، والقِطْمير»[1].

وقد فرَغَ اللهُ من أمرِ عبادِه، وجفَّ القلمُ بما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

قال عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصيبُهُ المُصيبَةُ، فَيَعْلَمُ أنَّها من عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى، ويُسَلِّمُ».

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

قال ابنُ زيدٍ: «المصائِبُ، والرزقُ، والأشياءُ كلُّها، ممَّا تُحِبُّ وتكرَهُ، فرَغَ اللهُ من ذلك كلِّه، قبلَ أنْ يبرأَ النُّفوسَ، ويخلُقَها»[2].

وما قدَّرهُ اللهُ للمؤمنِ، هو خيرٌ له على كلِّ حالٍ؛ فعَنْ صُهَيبٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«عَجَبًا لِأمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيرٌ، ولَيسَ ذاكَ لِأحَدٍ إلا للمُؤْمِنِ: إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فكان خَيرًا لَهُ، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فكان خَيرًا لَهُ»**[3].

---

(١) شرح ابن بطال على البخاري (١٠/ ١٢٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢١)، (٢٣/ ١٩٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٨).

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٩).

وجاءَ في وصيَّةِ النبيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: **«واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ، لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ الله لك، ولو اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ، لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيءٍ قد كَتَبَهُ الله عليك، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ»**[١].

فالإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ يجعلُ الإنسانَ يَحيا حياتَه على منهجٍ سواءٍ، فلا النعمةُ تغرُّه، ولا المصيبةُ تُقلقُه، وتنغِّصُ عليه حياتَه، ومعيشتَه.

ولا شيءَ هو أنفعُ للعبدِ في ذَهابِ همِّه، وغمِّه، من إيمانِه بالقدَرِ، وتسليمِه الأمرَ للهِ، وهو يُحسنُ الظنَّ به، يعلَمُ أنَّه أرحمُ به من نفسِه.

فعلى العبدِ أنْ يثِقَ بربِّه، وأنَّه لَنْ يُضيِّعَه، وأنْ يرضَى بقضائِهِ؛ فقضاءُ اللهِ كلُّه خيرٌ، لِمَنْ آمنَ باللهِ، ورَضِيَ، وسلَّمَ، فلا أحدَ هو أطْيب عيشًا، ولا أكْرَم نفسًا، ولا أقوَى طُمَأنينةً، ممَّنْ آمنَ بالقدَرِ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ: «الإيمانُ بالقَدَرِ، والرِّضا به: يُذْهِبُ عن العبدِ الهَمَّ، والغَمَّ، والحَزَنَ»[٢].

وقد استعاذَ النّبيُّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذا الحَديثِ مِن جَميعِ مَوارِدِ الّشرِّ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ: «جمعَ في هذا الحديثِ الشريفِ في استعاذَتِه صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصولَ الشرِّ، وفروعَه، ومباديَه، وغاياتِه، ومواردَه، ومصادرَه»[٣].

فـ«استعاذَ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من ثمانيةِ أشياءَ، كلُّ شيئَينِ منهما قرينانِ:

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه، وصححه الألباني.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢١٣).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٢٦).

فالهمُّ والحَزَنُ قرينانِ: فإنَّ ورودَ المكروهِ على القلبِ: إنْ كان لِما مضَى، فهُوَ الحَزَنُ، وإنْ كان لِما يُستقبَلُ، فهوَ الهمُّ.

والعَجْزُ والكَسَلُ قرينانِ: فإنَّ تخلُّفَ العبدِ عن كمالِه: إنْ كان من عدَمِ القدرَةِ، فهوَ العَجْزُ، وإنْ كان من عدَمِ الإرادَةِ، فهوَ الكَسَلُ.

والجُبْنُ والبُخْلُ قرينانِ: فإنَّ الرجلَ يُرادُ منه النَّفعَ بمالِه، أو ببدَنِه، فالجبانُ لا ينفعُ ببدَنِه، والبخيلُ لا ينفعُ بمالِه.

وضَلَعُ الدَّينِ وغلَبَةُ الرِّجالِ قرينانِ: فإنَّ قَهْرَ الناسِ نوعانِ: نوعٌ بحقٍّ، فهوَ ضَلَعُ الدَّينِ، ونوعٌ بباطلٍ، فهوَ غلَبَةُ الرِّجالِ.

وقد نفَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن أهلِ الجنَّةِ الخوفَ، والحَزَنَ، فلا يَحزنونَ على ما مضَى، ولا يخافونَ ممَّا يأتي، ولا يطيبُ العيشُ إلا بذلكَ»[١].



(١) روضة المحبين (ص٣٨).

الحديث الثامن والعشرون:

عَنْ أمِّ المُؤمنينَ عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الكَسَلِ، والهَرَمِ، والمَأْثَمِ، والمَغْرَمِ، ومن فِتْنَةِ القَبْرِ، وعَذابِ القَبْرِ، ومن فِتْنَةِ النَّارِ، وعَذابِ النَّارِ، ومن شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ الفَقْرِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجَّالِ»**[١].

وفي روايةٍ:

أنَّ رسولَ اللّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يدعو في الصَّلاةِ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من عَذابِ القَبْرِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجَّالِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ المَحْيا، وفِتْنَةِ المَماتِ، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ المَأْثَمِ، والمَغْرَمِ»**.

فَقال له قائِلٌ: ما أكْثَرَ ما تَسْتَعيذُ منَ المَغْرَمِ، فَقال: **«إنَّ الرَّجُلَ إذا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، ووَعَدَ فَأخْلَفَ»**[٢].

وقد تقدَّمَ الكلامُ على عامَّةِ هذِه الاستعاذاتِ، وبقيَ الكلامُ على: الاستعاذةِ منَ المأثَمِ، والمَغْرَمِ، وشرِّ فتنةِ الغِنَى، وفتنةِ الفَقْرِ.

(١) رواه البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).



أمَّا «المَأثمُ»: **فقال القاري** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إمَّا مَصْدَرُ «أثِمَ الرَّجُلُ»، أوْ: ما فيه الإثْمُ، أوْ: ما يُوجِبُ الإثْمَ»[١].

وقال العينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: الإثْمُ الذي يجرُّ إلى الذَّمِ، والعقوبَةِ، أو المُرادُ هُوَ: الإثْمُ نَفسُه؛ وضعًا للمصدَرِ مَوضِعَ الاسمِ»[٢].

و**«المَغْرَم»**: الغرامَةُ، وهيَ ما يَلْزَمُ الشَّخصَ أداؤُهُ؛ بسببِ جنايَةٍ، أو مُعاملةٍ، كالدَّينِ، أو الدِّياتِ، أو الغراماتِ الماليَّةِ، ونحوِ ذلكَ.

فالمأثمُ إشارةٌ إلى حقِّ اللهِ، والمَغْرَمُ: إشارةٌ إلى حقِّ العبادِ[٣].

وقال ابنُ الأثيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المَغْرَمُ»: مَصدْرٌ وُضِعَ مَوْضعَ الِاسْمِ، ويُريدُ به مَغْرَمَ الذُّنوبِ، والمَعاصي، وقيلَ: المَغْرَمُ كالغُرْمِ، وهو الدَّينُ»[٤].

قولُه: فَقال له قائِلٌ: ما أكْثَرَ ما تَسْتَعيذُ منَ المَغْرَمِ:

هذا القائلُ هو عائشَةُ نفسُها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بيَّنَ ذلك النَّسائيُّ في روايتِه عن عائِشَةَ، قالت: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكْثَرَ ما يَتَعَوَّذُ منَ المَغْرَمِ، والمَأْثَمِ، قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، ما أكْثَرَ ما تَتَعَوَّذُ منَ المَغْرَمِ، **قال: «إنَّهُ مَنْ غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، ووَعَدَ فَأخْلَفَ»**[٥].

قولُه: «إنَّ الرَّجُلَ إذا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، ووَعَدَ فَأخْلَفَ»:

(١) مرقاة المفاتيح (٢/ ٧٥٢).
(٢) عمدة القاري (٦/ ١١٧). وينظر: النهاية (١/ ٢٤)، التنوير (٣/ ١٣٥).
(٣) ينظر: فتح الباري (١١/ ١٧٧)، فقه الأدعية والأذكار (٣/ ١٥٦).
(٤) النهاية (٣/ ٣٦٣).
(٥) رواه النسائي (٥٤٥٤)، وصححه الألباني.

فالمغرَمُ يؤدِّي إلى المأثَمِ، وهو الكَذِبُ، وإخلافُ الوَعْدِ.

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا استعاذَتُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المَغْرَمِ -وهو الدَّينُ-: فَقَدْ فَسَّرَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقولِه: «**إنَّ الرَّجُلَ إذا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، ووَعَدَ فَأَخْلَفَ**»، ولأَنَّهُ قَدْ يَمْطُلُ المَدينُ صاحِبَ الدَّينِ، ولأَنَّهُ قَدْ يَشْتَغِلُ به قَلْبُهُ، ورُبَّما ماتَ قبلَ وفاتِه، فَبَقِيَتْ ذِمَّتُهُ مُرْتَهَنَةً به»[1].

وقال الحافظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قولُه: «**وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**» المُرادُ: أنَّ ذلك شَأْنُ مَنْ يَسْتَدينُ غالِبًا»[2].

«فالمُسْتَدينُ يَتَعَرَّضُ لهذا الأمْرِ العَظيمِ»[3].

قولُه: «وَمِن شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى»:

لأنَّه يُخْشَى من فتنةِ الغِنَى: الأَشَرُ[4]، والبَطَرُ[5]، والعُجْبُ، والشَّرهُ، والحِرْصُ، وما يؤولُ من عواقبِ الإسرافِ في إنفاقِ المالِ وبذلِه فيما لا ينبغي، ، والبُخلِ به، ومنعِ حقوقِ اللهِ فيهِ، كالزَّكاةِ، والنَّفقةِ الواجبةِ.

ففتنةُ الغِنى مُتشعِّبةٌ إلى ما لا يُحصَى عدُّه.

و«**فتنة الفقرِ**» يُخشَى منها: قِلَّةُ الصَّبرِ على الإقلالِ، والتسخُّطُ له، وتزيينُ الشَّيطانِ للمَرْءِ حالَ الغنى، والحَسَدُ على الأغْنياءِ، والطَّمَعُ في أمْوالِهِمْ، والتَّذَلُّلُ بما

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٩).

(٢) فتح الباري (٢/ ٣١٩).

(٣) سبل السلام (٢/ ٧١٢).

(٤) الفرح، والتكبر، والتعاظم على الناس.

(٥) الطغيان عند النعمة، وكفرها.

يُدَنِّسُ العِرْضَ، ويَثْلِمُ الدِّينَ، وعَدَمُ الرِّضا بِما قَسَمَ اللهُ لَهُ، وغَيرُ ذلك مِمَّا لا تُحْمَدُ عاقِبَتُهُ[١].

وقولُه: «كانَ يدعو في الصَّلاةِ» يعني: يدعو بهذا الدُّعاءِ بين التَّشَهُّدِ، والتَّسْليمِ[٢].



(١) شرح ابن بطال على البخاري (١٠/ ١١٩)، شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٨) ، شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٥٥)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٥).

(٢) تحفة الذاكرين (ص١٧٦).

الحديث التاسع والعشرون:

عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُعَلِّمُنا هَؤُلاءِ الكَلِماتِ، كما تُعَلَّمُ الكِتابَةُ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ البُخْلِ، وأعُوذُ بكَ مِنَ الجُبْنِ، وأعُوذُ بكَ من أنْ نُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، وأعُوذُ بكَ من فِتْنَةِ الدُّنْيا، وعَذابِ القَبْرِ**»[١].

وفي روايةٍ:

عن عَمْرِو بنِ مَيمُونٍ الأوْديِّ، قال: كان سَعْدُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُعَلِّمُ بَنيهِ هَؤُلاءِ الكَلِماتِ، كما يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمانَ الكِتابَةَ، ويقول: إنَّ رسولَ اللّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يَتَعَوَّذُ منهُنَّ دُبُرَ الصَّلاةِ ...» فذكَرَهُ[٢].

وفي روايةٍ:

عن مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ، عن أبيهِ، قال: تَعَوَّذُوا بِكَلِماتٍ كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بهِنَّ ...»[٣].

ففي هذِه الرواياتِ بيانُ أهميةِ التعَوُّذِ بهؤلاءِ الكلماتِ من عدَّةِ أوجُهٍ:

---

(١) رواه البخاري (٦٣٩٠).
(٢) رواه البخاري (٢٨٢٢).
(٣) رواه البخاري (٦٣٧٤).



أوَّلًا: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَتَعَوَّذُ بهؤلاءِ الكلماتِ دُبُرَ الصَّلاةِ.

ثانيًا: أنَّه ﷺ كان يعلِّمهُنَّ أصحابَه كما تُعَلَّمُ الكِتابَةُ.

ثالثًا: أنَّ سَعْدًا رضي الله عنه كان يُعَلِّمُهنّ بَنيهِ، كما يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمانَ الكِتابَةَ.

رابعًا: أنَّه رضي الله عنه كان يأمُرُ غيرَه من بَنيهِ، وغيرِهم، بالتعوُّذِ بهؤلاءِ الكلماتِ.

فحِرْصُ النبيِّ ﷺ على هذِه الاستعاذاتِ، وعلى تعليمِها أصحابَه رضي الله عنهم، وحِرْصُ سعدٍ رضي الله عنه -وهو من أكابِرِ الصَّحابةِ- عليها، وعلى تعليمِها بنيهِ، وغيرِهم: يدلُّ على أهميتِها؛ لِما تشتملُ عليه منَ الافتقارِ إلى اللهِ، والاستعاذَةِ به من خُلُقينِ سيِّئين، يحملانِ أصحابَهُما على التقصيرِ في أمرِ الآخرَةِ، ومن الحِرصِ على الدُّنيا، ومن سُوءِ الحالِ آخرَ العُمُرِ، ومن فتنةِ الدُّنيا التي تشغلُ عن مهامِّ الآخرَةِ، وتهوي بأصحابِها في مهاوي أهوائِهم، ومن عذابِ القبرِ الذي هو أوَّلُ منازلِ الآخرةِ.

وتقدَّمَ الكلامُ على هذِه الاستِعاذاتِ، إلا الاسْتِعاذَة منَ الرَّدِّ إلى أرذَلِ العُمُرِ.

و«**أرْذَلُ العُمُر**»: هو سُوءُ الكِبَرِ، والهَرَمِ، وقد استعاذَ النبيُّ ﷺ من ذلك كلِّه، كما تقدَّمَ.

وهو حالُ الكِبَرِ منَ العَجْزِ، والخَرَفِ، وقلَّةِ العلمِ.

وهيَ الحالةُ التي يصلُ فيها الإنسانُ إلى الضَّعْفِ عن أداءِ الفرائضِ، وعن خدمَةِ نفسِه، فيكونُ كلًّا على أهلِه، ثقيلًا عليهِم[1].

والأرذَلُ من كلِّ شيءٍ: الرَّديء منه، فأرذَلُ العُمُرِ: هو كالشيءِ الرَّديء الذي لا يُنتفَعُ به، فينبغي أنْ يُستعاذَ منه[2].

---

(١) شرح ابن بطال على البخاري (٥/ ٣٥)، الإفصاح (١/ ٣٤٢).

(٢) شرح المشكاة (٣/ ١٠٥٨).

وقال البخاريُّ في صحيحِه: «بابُ قولِهِ: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾».

ثمَّ روَى عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَدْعُو: «**أعُوذُ بكَ منَ البُخْلِ، والكَسَلِ، وأرْذَلِ العُمُرِ، وعَذابِ القَبْرِ، وفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وفِتْنَةِ المَحْيا، والمَماتِ**»[١].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾: هو الشَّيخُوخَةُ، والهَرَمُ، وضَعْفُ القُوَّةِ، والعَقْلِ، والفَهْمِ، وتَناقُصُ الأحْوالِ منَ الخَرَفِ، وضَعْفِ الفِكْرِ؛ ولهذا قال: ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾ [الحج: ٥]، كما قال تَعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]»[٢].

وقال ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أرذلُ العُمُرِ» يعني: أرداهُ، وأنقَصه، وذلك على وجهَين:

الوجهِ الأوَّلِ: أنْ يَحدُثَ للإنسانِ حادثٌ، فيختلَّ به عقلُه، فيهذيَ، فيُردَّ إلى أرذلِ العُمُرِ، ويصيرَ كالصبيِّ كما يوجدُ هذا في الحوادثِ.

الوجهِ الثَّاني: أنْ يكونَ ذلك عن كِبَرٍ؛ لأنَّ الإنسانَ كلَّما كبرَ، إذا استوَى، وبلَغَ أربعينَ سنةً، بدأ يأخُذُ في النَّقصِ.

فمنَ الناسِ مَنْ يردُّ إلى أرذَلِ العُمُرِ في قُواهُ الحسيَّةِ، وقواهُ العقليَّةِ، فيضعفُ بدنُهُ، ويحتاجُ إلى مَنْ يحملُهُ، ويوضِّئُه، ويوجِّهُه، وما أشبَهَ ذلكَ، أو عقليًّا بحيثُ يهذي، ولا يدري ما يقولُ.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠٧)، ومسلم (٢٧٠٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٦).

فالرَّدُّ إلى أرذَلِ العُمُر يشملُ هذا، وهذا، ما كان بحادثٍ، وما كان بسببِ تقادُمِ السِّنِّ به.

ثمَّ إنَّ الإنسانَ إذا وصلَ إلى هذِه الحالِ -نسألُ اللهَ أن يعيذَنا وإيَّاكم منها- فإنَّ أهلَه يملُّونَه، أهلُهُ الذينَ هُم أرفقُ الناسِ به، يَتعبونَ منه، ويملُّونَه، وربَّما يتركونَه في مكانٍ تتكفَّلُ به الحكومةُ مَثلًا، وهذا لا شكَّ أنَّ الإنسانَ لا يرضاهُ، ولا يرضَى لنفسِه أنْ يصلَ إلى هذا الحدِّ.

وتسقُطُ أيضًا عنه الصَّلاةُ، ويسقطُ عنه الصَّومُ، وتسقطُ عنه الواجباتُ؛ لأنَّه وصلَ إلى حدٍّ يرتفعُ عنه التكليفُ»[(١)].

وعن عِكْرِمَةَ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «مَنْ قَرَأ القُرْآنَ، لم يُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ؛ لِكَيلا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيئًا، وذلك قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [التين: ٥-٦]» قال: «إلا الَّذينَ قَرَءُوا القُرْآنَ»[(٢)].



(١) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٩٩-٥٠٠).

(٢) رواه الحاكم (٣٩٥٢)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٢٤٥٠)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٤٣٥)، وقال البيهقي عقبه: «رواه أبو الأحْوص، عن عاصم، عن عكْرمة من قوله، لم يرْفعْه إلى ابْن عباس» انتهى.
ولعله أصح، والله أعلم.

الحديث الثلاثون:

عَنْ عبدِ اللّهِ بنِ عَمْرٍو، قال: إنَّ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يا رسولَ اللّهِ، عَلِّمْني ما أقُولُ إذا أصْبَحْتُ، وإذا أمْسَيتُ.

فَقال: «**يا أبا بَكْرٍ، قُل: اللهُمَّ فاطِرَ السَّمَواتِ والأرْضِ، عالِمَ الغَيبِ، والشَّهادَةِ، لا إلَهَ إلا أنْتَ، رَبَّ كُلِّ شيءٍ، ومَليكَهُ، أعُوذُ بكَ من شَرِّ نَفْسي، ومن شَرِّ الشَّيطانِ وشِرْكِهِ، وأنْ أقْتَرِفَ على نَفْسي سُوءًا، أو أجُرَّهُ إلى مُسْلِمٍ**»[١].

وعن أبي هُريرةَ، أنَّ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يا رسولَ اللّهِ، مُرْني بِكَلِماتٍ أقولُهُنَّ إذا أصْبَحْتُ، وإذا أمْسَيتُ، قال: «**قُل: اللهُمَّ فاطِرَ السَّمَواتِ والأرْضِ، عالِمَ الغَيبِ، والشَّهادَةِ، رَبَّ كُلِّ شيءٍ، ومَليكَهُ، أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا أنْتَ، أعُوذُ بكَ من شَرِّ نَفْسي، وشَرِّ الشَّيطانِ وشِرْكِهِ» قال: «قُلْها إذا أصْبَحْتَ، وإذا أمْسَيتَ، وإذا أخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»[٢].

فهذا دعاءٌ عظيمٌ، يُستحبُّ للمسلمِ أن يقولَه في الصباحِ، والمساء، وعندَ النَّومِ، وهو مشْتَمِلٌ على التعوُّذِ باللهِ، والالتجاءِ إليه، والاعتصامِ به سبحانَهُ، منَ الشُّرورِ كلِّها، من مصادِرِها، وبداياتِها، ومن نتائِجِها، ونِهاياتِها.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٩)، وحسنه، وأحمد (٦٨٥١)، وصححه محققو المسند.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢)، وصححه، وصححه الألباني.

وقد بدأهُ بتَوَسُّلاتٍ شريفةٍ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، بذِكْرِ جُملةٍ من نُعوتِه العظيمةِ، وصفاتِه الكريمةِ، الدَّالَةِ على عَظمتِه، وجلالِه، وكمالِه.

فتوسَّلَ إليه بأنَّه **«فاطِر السَّمواتِ والأرضِ»**، أي: خالقُهما، ومُبْدعهُما، ومُوجِدهُما على غيرِ مثالٍ سابقٍ.

وأنَّه **«عالِم الغيبِ، والشَّهادةِ»**، أي: لا يخفَى عليه خافيةٌ، فهوَ عليمٌ بكلِّ ما غابَ عن العبادِ، وما ظهرَ لهم، فالغيبُ عندَه شهادةٌ، والسِّرُّ عندَه علانيةٌ، وهو سبحانه بكلِّ شيءٍ مُحيطٌ.

وتوسَّلَ إليه بأنَّه **«رَبّ كلِّ شيءٍ، ومَليكهُ»** فلا يَخرجُ شيءٌ عن ربوبيَّتِه، ومُلكِهِ، فهوَ سبحانه ربُّ العالمينَ، الخالقُ، المالكُ، المدبِّرُ.

ثمَّ شَهِدَ له بوحدانيَّتِه، وأنَّه لا إلهَ غيرُه، فلا يُستعاذُ إلا به، ولا يُلجأُ إلا إليه، ولا يُثْنَى بالخيرِ كلِّه إلا عليه، فهوَ خالقُ كلِّ شيءٍ، ومدبِّرُ الأمرِ، عالمُ الغيبِ، والشَّهادةِ، فلا يُنعِمُ بالخيرِ إلا هو، ولا يَدفعُ الشرَّ إلا هوَ.

ثمَّ ذَكَرَ بعدَ ذلك حاجتَه، وسؤالَه، وهو أنْ يُعيذَه اللهُ منَ الشُّرورِ كلِّها، فقال: **«أعوذُ بكَ من شَرِّ نفسي، وشَرِّ الشَّيطانِ، وشِرْكِه، وأنْ أقْتَرفَ على نفسي سوءًا، أو أجُرَّه إلى مسلِمٍ»**.

وفي هذا جمعٌ بين التعوُّذِ باللهِ من أصولِ الشَّرِّ، ومنابِعِه، ومن نهاياتِه، ونتائِجِه.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فذَكَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَصْدَرَي الشَّرِّ، وهما: النَّفْسُ، والشَّيطانُ، وذَكَرَ مَوْرِدَيه، ونهايَتَيه، وهما: عَوْدُه على النَّفسِ، أو على أخيهِ المسلم، فجمَعَ الحديثُ مصادرَ الشَّرِّ، ومَوارِدَه، في أوجزِ لفظٍ، وأخْصرِه، وأجْمعِه، وأبْينِه»[١].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٩).

وقال أيضًا: «تضمَّنَ هذا الحديثُ الشريفُ الاستعاذةَ منَ الشرِّ، وأسبابِه، وغايَتِه؛ فإنَّ الشرَّ كلَّه إمَّا أنْ يَصدُرَ منَ النَّفسِ، أو منَ الشَّيطانِ، وغايَته: إمَّا أنْ تعودَ على العاملِ، أو على أخيهِ المسلِمِ، فتضمَّنَ الحديثُ مَصدرَيِ الشرِّ اللذَين يصدُرُ عنهما، وغايتَيه اللَّتَين يصلُ إليهما»[1].

فتضمَّنَ هذا الحديثُ التعوُّذَ باللهِ عَزَّوَجَلَّ من أربعةِ أمورٍ:

الأوَّلُ: شَرُّ النَّفسِ، وما يترتَّبُ عليه من فعلِ الذُّنوبِ، وارتكابِ الآثامِ.

والثَّاني: شَرُّ الشَّيطانِ، بدعوتِه إلى العِصيانِ، وتركِ طاعةِ الرَّحمنِ.

وقولُه: «**وشِرْكه**» أي: ما يدعو إليه منَ الإشْراكِ باللهِ، ويُرْوَى بِفَتْحَتَينِ: «**وشَرَكِه**» أي: مَصائِدِهِ، وحَبائِلِه، التي يَفْتَتِنُ بها النَّاسُ[2].

والثالثُ: اقترافُ الإنسانِ السُّوءَ على نفسِه.

والرابعُ: جرُّ السُّوء على المسلمينَ، والتسبُّبُ في عصيانِهِم، واقترافِهِمُ المنكَرَ.

وقد جمعَ الحديثُ التعوُّذَ باللهِ من ذلك كلِّه، فما أجْمَعَه من حديثٍ، وما أعظمَ دِلالَته، وما أكملَ إحاطته في التَّخَلُّصِ منَ الشَّرِّ كلِّه.



(١) إغاثة اللهفان (١/ ٩١).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٥٩).



الحديث الحادي والثلاثون:

عن زَيدِ بنِ أرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لا أقُولُ لَكُمْ إلا كما كان رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: كان يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ العَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والهَرَمِ، وعَذابِ القَبْرِ، اللهُمَّ آتِ نَفْسي تَقْواها، وزَكِّها، أنْتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها، أنْتَ وليُّها، ومَوْلاها، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومن نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومن دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَها»**[1].

تقدَّم الكلامُ على الاستعاذةِ مِنَ: العَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والهَرَمِ، وعَذابِ القَبْرِ.

ويُلاحَظُ في هذا الحديثِ، وغيرِه، وجودُ السَّجعِ في الدُّعاءِ، وقد وردَ النَّهيُ عن السَّجعِ في الدُّعاءِ؛ ففي البخاريِّ عن عِكْرِمَةَ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قال: «**انْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعاءِ فاجْتَنِبْهُ؛ فَإنِّي عَهِدْتُ رسولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأصْحابَهُ لا يَفْعَلُونَ إلا ذَلِكَ**» يَعْني: لا يَفْعَلُونَ إلا ذلك الاجْتِنابَ[2].

وقد نصَّ العلماءُ على أن المَكْرُوهَ مِنَ السَّجْعِ هو المُتَكَلَّفُ؛ لأنَّهُ لا يُلائِمُ الضَّراعَةَ، والذِّلَّةَ، فالدُّعاءُ يجبُ أنْ يُثيرَه صدقُ الحاجةِ، وأن يكونَ بذُلٍّ، وخشُوعٍ،

(١) رواه مسلم (٢٧٢٢).

(٢) رواه البخاري (٦٣٣٧).



واشتغالُ القلبِ بترتيبِ الألْفاظِ يُذهِلُه عن الخُشُوعِ، فَإذا وقعَ الدُّعاءُ مسجوعًا عن غيرِ تكلُّفٍ يُشغِلُ، فَلا بَأْس به [١].

قال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحَديثُ وغَيرُهُ منَ الأدْعيَةِ المَسْجُوعَةِ، دَليلٌ لِما قالَهُ العُلَماءُ: أنَّ السَّجْعَ المَذْمُومَ في الدُّعاءِ هو المتكلَّفُ؛ فَإنَّهُ يُذْهِبُ الخُشُوعَ، والخُضُوعَ، والإخْلاصَ، ويُلْهي عن الضَّراعَةِ، والإفْتِقارِ، وفَراغِ القَلْبِ، فَأمَّا ما حَصَلَ بِلا تَكَلُّفٍ، ولا إعْمالِ فِكْرٍ؛ لِكَمالِ الفَصاحَةِ، ونحوِ ذلكَ، أو كان مَحْفُوظًا، فَلا بَأْسَ به، بل هو حَسَنٌ» [٢].

وقولُه: «اللهُمَّ آتِ نَفْسي تَقْواها»:

أي: صيانَتَها عن المحظُوراتِ، وقيلَ: ارزُقْها الاحترازَ عمَّا يضرُّها، ويُهلِكُها في الآخرةِ [٣].

وقال الطيبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي أن تفسَّرَ التقوَى بما يقابِلُ الفجورَ في قولِه تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨] وهيَ الاحترازُ عن متابعةِ الهوَى، وارتكابِ الفُجورِ، والفواحِشِ؛ لأنَّ الحديثَ كالتفسيرِ والبيانِ للآيةِ» [٤].

«وَزَكِّها، أنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاها»:

قال المناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أنتَ مَن جعلَها زاكيةً، يعني: لا مزكِّي لها إلا أنتَ، فإنَّه تعالى هو الذي يزكِّي النُّفوسَ، فتصيرُ زاكيةً، أي: عاملةً بالطاعةِ، فاللهُ هو المزكِّي، والعبدُ هو المُتزكِّي» [٥].

---

(١) كشف المشكل (٢/ ٤٣٤)، فتح الباري (١١/ ١٣٩).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٤١).
(٣) مرعاة المفاتيح (٨/ ٢٢٠).
(٤) شرح المشكاة (٦/ ١٩١٣).
(٥) فيض القدير (٢/ ١٥٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١]، وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

فلا يزكِّي اللهُ إلا نفوسَ المتقينَ، فقولُه: «**اللهُمَّ آتِ نَفْسي تَقْواها، وزَكِّها أنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاها**» أي: ألهِمْها رُشدَها، ووفِّقْها لسُبُلِ الهدايةِ، وارزُقْها التقوى، التي تصيرُ بها زاكيةً؛ فتفلحُ، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

«**والمعنى**: قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطاعَةِ اللهِ، وخابَ مَنْ دَسَّاها بالمَعاصي، فالطَّاعَةُ تُزَكِّي النَّفْسَ، وتُطَهِّرُها، فَتَرْتَفِعُ، والمَعاصي تُدَسِّي النَّفْسَ، وتَقْمَعُها، فَتَنْخَفِضُ، وتَصيرُ كالَّذي يُدَسُّ في التُّرابِ»[١].

وقولُه: «أنْتَ وليُّها ومَوْلاها»:

«الوَليُّ»: هو الذي يتولَّى عبادَه بأنواعِ التدبيرِ، ويتولَّى القيامَ بمصالحِ دينِهم، ودنياهُم.

و«المَوْلى»: الذي يتولَّى عبادَه المؤمنينَ، ويُوصلُ إليهم مصالحَهم، وييسِّرُ لهم منافِعَهم الدينيةَ، والدنيويةَ[٢].

فلا يُنعِمُ على نفسي بالتقوَى، ويُلهِمُها رُشدَها، ويوفِّقُها لصالحِ الأعمالِ، إلا أنتَ، أنتَ الوليُّ، الذي يتولَّى عبادَه المؤمنينَ، فينعِمُ عليهِم بالخيرِ، ويصرِفُ عنهُمُ الشرَّ، ويكشفُ عنهُمُ الضُّرَّ، ويتولَّى مصالحَ دنياهُم، وأُخراهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨).

(٢) تفسير السعدي (ص٣٢١، ٧٥٩).

ثمَّ قال النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ»:

فإنَّ مِن العِلْمِ ما لا ينفَعُ صاحبَه ، بل يصيرُ حُجَّةً ووبالًا عليه، بأنْ لا يعملَ به، ولا يعلِّمَه النَّاسَ، ولا يهذِّبَ به الأخلاقَ، ولا الأقوالَ، ولا الأفعالَ، أو يكونَ عِلْمًا ضارًّا غيرَ نافعٍ، أو لا يُحتاج إليه، أو لم يَرِدْ إذْنٌ شرعيٌّ في تعلُّمِه[١].

فقَدْ تتعلَّقُ الاستعاذةُ بالعلمِ ذاتِه؛ لأنَّه لا ينفعُ، بل قد يضُرُّ، كعُلُومِ الفلسفةِ، والشَّعْوذَةِ، والتنجيمِ، والسِّحْرِ، ونحوِها.

وقد تتعلَّقُ بالنفعِ، فيكونُ العلمُ في ذاتِه نافعًا، إلا أنَّه لا ينتفِعُ به صاحبُه، فلا يعملُ به، ولا يعلِّمُه الناسَ، فيصيرُ حجةً عليه، كمَنْ يتعلَّمُ القرآنَ، ولا يعملُ به، وقد قال النبيُّ ﷺ: « **والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أو عليكَ**»[٢].

فمَنْ تعلَّمَه، وعمِلَ به، كان حُجةً لَه، ومَنْ تعلَّمَه، ولَمْ يعمَلْ به، كان حُجةً عليه.

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «القُرْآنُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مُصَدَّقٌ[٣]، فَمَنْ جَعَلَهُ أمامَهُ، قادَهُ إلى الجَنَّةِ، ومن جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، قادَهُ إلى النَّارِ»[٤].

وقولُه: «وَمن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ»:

أي: لقساوَتِه؛ فهُوَ لا يسكُنُ، ولا يطمئنُّ بذِكْرِ اللهِ تعالى، ولا لاستماعِ كلامِه، ولا يخافُ اللهَ، ولا تؤثِّرُ فيه موعظةٌ، ولا نصيحةٌ، ولا يرغَبُ في ترغيبٍ، ولا يَرْهَبُ من ترهيبٍ.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي (٦/ ١٩١٣)، ذخيرة العقبى (٣٩/ ٣٩٥)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٢٣).

(٣) أي: خصْم مجادل مصدق.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ١٣١)، وإسناده صحيح.

فاستعاذَ ﷺ من دنيءِ أعمالِ القلوبِ، ومنَ القلبِ القاسي(١).

والاستعاذةُ منه بعدَ الاستعاذةِ من «عِلْمٍ لا ينفَعُ»؛ إشارةٌ إلى أنَّ العِلْمَ النافعَ هوَ: ما يُورِثُ الخشوعَ لصاحبِه(٢).

فعَدَمُ الانتفاعِ بالعِلْمِ يؤدِّي إلى قسوةِ القلبِ، وعدمِ خشوعِه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحديد: ١٦].

وقولُه: «وَمِن نَفْسٍ لا تَشْبَعُ»:

أي: لا تقنَع بما آتاها ورزقَها اللهُ، ولا تفتُرُ عن جمعِ المالِ، غيرَ مُباليةٍ بحلالٍ، أو حرامٍ.

فاستعاذَ ﷺ منَ الحِرْصِ على جمعِ المالِ، والمناصِبِ، والطَّمَعِ، والشَّرَهِ، وتعلُّقِ النَّفسِ بالآمالِ البعيدةِ.

وقيلَ: المرادُ: النَّهَمةُ، وكثرةُ الأكلِ؛ فينتجُ عن ذلكَ: كثرةُ النَّوْمِ، والكَسَلُ، والوساوسُ، والخطراتُ الشيطانيَّةُ، المؤدِّيةُ إلى الضَّررِ في الدُّنيا، والآخرَةِ(٣).

وفي الحديثِ: «**وَمَنْ كانَت الدُّنْيا هَمَّهُ؛ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بين عَينَيهِ، وفَرَّقَ عليه شَمْلَهُ، ولَمْ يَأْتِهِ من الدُّنْيا إلا ما قُدِّرَ لَهُ**»(٤).

وقولُه: «وَمِن دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَها»:

---

(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٦)، التيسير (١/ ٢٢٥)، مرعاة المفاتيح (٨/ ٢٢١).
(٢) التيسير (١/ ٢٢٥).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٤١)، شرح المشكاة (٦/ ١٩١٣)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧٠٦).
(٤) رواه الترمذي (٢٤٦٥)، وصححه الألباني.

إمَّا بسببِ أكلِ المالِ الحرامِ، أو بسببَبِ المعاصي عمومًا، أو بسببِ الاعتداءِ في الدُّعاءِ، أو الاستِعجالِ فيهِ، أو بسببَبِ ضَعْفِ الإقبالِ على اللهِ ، وغيرِ ذلك من موانعِ استجابةِ الدُّعاءِ.

وعن أبي هُريرةَ، قال: كان رسولُ صَلَّى عليه وسَلَّمَ يقولُ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الأرْبَعِ: من عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومن نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومن دُعاءٍ لا يُسْمَعُ**»[١].

أي: أعوذُ بكَ من دُعاءٍ لا يُستجابُ لَه، ولا يُعتَدُّ به، فكأنَّه غيرُ مسموعٍ[٢].

وعن أَنَسٍ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقولُ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من قولٍ لا يُسْمَعُ، وعَمَلٍ لا يُرْفَعُ، وقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وعِلْمٍ لا يَنْفَعُ**»[٣].

وقولُه: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من قولٍ لا يُسْمَعُ**» أي: لا يُستجابُ[٤].

وعن كَعْبِ بنِ مُرَّةَ البَهْزيِّ رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ اللَّيلِ أسْمَعُ؟ قال: «**جَوْفُ اللَّيلِ الآخِرِ**»[٥].

وقولُه: «**عَمَلٍ لا يُرْفَعُ**»:

أي: لا يُرْفَعُ رفعَ قَبولٍ؛ بسببِ الرِّياءِ، وعدَمِ الإخلاصِ، وعدَمِ مُتابعةِ الشَّرْعِ، أو غيرِ ذلك من أسبابِ عدَمِ القَبُولِ[٦].



(١) رواه أبو داود (١٥٤٨)، وصححه الألباني.

(٢) شرح المشكاة، للطيبي (٦/ ١٩١٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٣٠٠٣)، وصححه محققو المسند على شرط مسلم.

(٤) معالم السنن (١/ ٢٣١).

(٥) رواه أحمد (١٨٠٥٩)، وصححه محققو المسند.

(٦) فيض القدير (٢/ ١٠٢).

الحديث الثاني والثلاثون:

عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكيمٍ السُّلَميَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً، ثُمَّ قال: أعُوذُ بِكَلِماتِ اللّهِ التَّامَّات مِن شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شيءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ من مَنْزِلِه ذَلِكَ»**[١].

«كلماتُ اللّهِ التامَّات» أي: الكاملاتُ، التي لا يدخُلُ فيها نقصٌ، ولا عيبٌ.

وقيلَ: النافعةُ الشافيةُ[٢].

وقال ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ» أي: أعتصِمُ بكلماتِ اللهِ التامَّاتِ، وكلماتُ اللهِ التامَّاتُ تشملُ: كلماتِه الكونيَّةَ، والشرعيَّةَ.

فأمَّا الكونيَّةُ: فهيَ التي ذكرَها اللهُ في قولِه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فيحميكَ اللهُ تعالى بكلماتِه الكونيَّةِ، ويدفعُ عنك ما يضرُّكَ، إذا قُلْتَ هذا الذِّكْرَ.

كذلكَ الكلماتُ الشرعيَّةُ، وهيَ الوحيُ، فيها وِقايةٌ من كلِّ سُوءٍ، وشرٍّ»[٣].

وقولُه: «من شرِّ ما خلَقَ»:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ٣١).

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/ ٦١٩).

وهذا يشملُ جميعَ ما خلَقَ اللهُ، من إنسٍ، وجنٍّ، وحيواناتٍ، فيُستعاذُ بخالِقِها، منَ الشرِّ الذي فيها[١].

قال أبو العبَّاسِ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا خبرٌ صحيحٌ، وقولٌ صادقٌ، عَلِمنا صِدقَه دليلًا، وتَجْرِبةً؛ فإنِّي منذُ سمعتُ هذا الخبرَ عملتُ به، فلم يضرَّني شيءٌ، إلى أنْ تركتُه، لدغتني عقربٌ بالمهديَّةِ ليلًا، فتفكَّرتُ في نفسي، فَإذا بي قد نَسيتُ أنْ أتعوَّذَ بتلكَ الكلماتِ»[٢].

وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه، أنَّهُ قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقال: يا رسولَ اللهِ، ما لَقيتُ من عَقْرَبٍ لَدَغَتْني البارِحَةَ، قال: «**أما لو قُلْتَ حينَ أمْسَيتَ: أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لم تَضُرَّكَ**»[٣].

ورواهُ الترمذيُّ، عن سُهَيلِ بنِ أبي صالِحٍ، عن أبيهِ، عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قال حينَ يُمْسي ثَلاثَ مَرَّاتٍ: أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ حُمَةٌ**[٤] **تِلْكَ اللَّيلَةَ**».

قال سُهَيلٌ: فكان أهْلُنا تَعَلَّمُوها، فكانُوا يقولونها كُلَّ لَيلَةٍ، فَلُدِغَتْ جاريَةٌ منهُمْ، فَلَمْ تَجِدْ لَها وجَعًا[٥].



(١) تفسير السعدي (ص٩٣٧).

(٢) المفهم (٢٢/ ٩٢).

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٩).

(٤) الحمة: السم.

(٥) سنن الترمذي (٥/ ٥٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٦٥٢).

الحديث الثالث والثلاثون:

عَنْ أبي موسى الأشْعَريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى عليه وسَلَّمَ كان إذا خافَ قَوْمًا قال: **«اللهُمَّ إنَّا نَجْعَلُكَ في نُحُورِهِمْ، ونَعُوذُ بكَ من شُرُورِهِمْ»**[١].

قولُه: «كانَ إذا خافَ قَوْمًا»:

هذا خوفٌ جِبليٌّ، يحمِلُ على الاحترازِ، والتوقِّي، وأخذِ الحذَرِ، وليسَ ممَّا يحمِلُ على الوَهنِ، والضَّعفِ، والخورِ، والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشَرٌ ، يَعْرِضُ له ما يَعْرِضُ للبشرِ، منَ الخَوفِ، والنِّسيانِ، وملاحظةِ الخطَرِ، فيعوذُ بربِّهِ، ويأخذُ حِذرَه، وهذا من تمامِ العبوديَّةِ، وصدقِ اللُّجوءِ إلى اللهِ.

ولذلكَ قال أنسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا غَزا قال: «**اللهُمَّ أنْتَ عَضُدي، ونَصيري، بكَ أحُولُ، وبِكَ أصُولُ، وبِكَ أُقاتِلُ**»[٢].

فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذُ بربِّه من شرِّ عدوِّهِ، ويستنصِرُه، ويستغيثُ به، فينصُرُه ربُّه، ويتولَّاهُ، ويغيثُهُ، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال العينيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فإنْ قيلَ: النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محفوظٌ من شرِّ الإنسِ،

(١) رواه أبو داود (١٥٣٧)، وأحمد (١٩٧٢٠)، وصححه النووي في الأذكار (ص١٢٣).

(٢) رواه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وقال: «حسن غريب»، وأحمد (١٢٩٠٩)، وصححه محققو المسند.

والجنِّ، بحِفظِ اللهِ إيَّاهُ، ومؤيَّدٌ بالملائكةِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يخافَ قومًا، وهُمْ أعداءُ اللهِ تعالى؟

قلتُ: هنا ثلاثةُ أجوِبَة: الأولُ: أنَّ الطبيعةَ البشريَّةَ من خواصِّها: الخوفُ، معَ قطعِ النَّظرِ عن العارِضِ، والثاني: يجوزُ أنْ يكونَ خوفُه على صحابتِه، والثالثُ: أنَّ هذا تعليمٌ لأمَّتِه، أنَّهم إذا خافُوا قومًا يدعونَ بهذا الدُّعاءِ»[١].

وقولُه: «اللهمَّ إنَّا نجعلُك في نُحورِهم»:

أي: في نَحرِ العدوِّ، بأنْ تكونَ حافظًا لنا، ومدافعًا عنَّا.

قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**في نُحُورِهِمْ**»: جَمْعُ النَّحْرِ، وهو الصَّدْرُ، يُقال: جَعَلْتُ فُلانًا في نَحْرِ العَدُوِّ، أي: قُبالَتَهُ، وحِذاءَهُ، وخُصَّ النَّحْرُ؛ لأنَّ العَدُوَّ يَسْتَقْبِلُ بِنَحْرِهِ عِنْدَ القِتالِ، أو لِلتَّفاؤُلِ بِنَحْرِهِمْ إلى قَتْلِهِمْ»[٢].

وقال العينيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعنى: نسألُكَ أنْ تتولَّانا في الجِهةِ التي يُريدونَ أنْ يأتُونا منها، ونتوقَّى بكَ عمَّا يواجهونَنا به، فأنتَ الذي تدفعُ شرورَهُم، وتكفينا أمرَهُم، وتحولُ بينَنا وبينَهُم.

ولعلَّه اختارَ هذا اللفظَ؛ تفاؤُلًا بنحرِ العدوِّ -أعني: قتلَهم- معَ ما أرادَ منَ المعنى الذي ذكرناهُ»[٣].

وقولُه: «ونعوذُ بكَ من شرورِهم»:

---

(١) شرح أبي داود (٥/ ٤٤٨).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٩٣).

(٣) شرح أبي داود (٥/ ٤٤٨).

أي: نَسْأَلُكَ أنْ تَدْفَعَ شُرُورَهُمْ، وتَكْفِيَ أُمُورَهُمْ، وتَحُولَ بَيننا وبَينَهُمْ[١].

وقال الصَّنعانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيهِ: أنَّه دعاءٌ يُندبُ عندَ لقاءِ مَنْ يُخافُ شَرُّه»[٢].

وقال أبو الحسَنِ المباركفُوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحديثِ دليلٌ على مشروعيَّةِ الدُّعاءِ عندَ الخوفِ من قومٍ، بهذا الدُّعاءِ»[٣].

وسُئِلَ الشَّيخُ ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هناكَ أناسٌ نلتقي بهم كثيرًا، ويظهَرُ عليهِمُ الشرُّ، والأذَى، فعندَ رؤيتِهم يقترنُ الفكرُ بالشرِّ، هلْ يجوزُ أنْ نسألَ اللهَ أنْ يكفيَنا شرَّهُم؟

فأجابَ:

«إذا وُجِدَت قرائنُ تدلُّ على أنَّ هذا يُريدُ بكَ الشرَّ، فلا بأسَ أنْ تدعُوَ فتقول: «اللهمَّ إنَّا نجعَلُك في نحورِهم، ونعوذُ بكَ من شُرورِهم»، وأنْ تأخُذَ حِذْرَك منهُم.

لكنَّ الأصلَ في المسلمِ السلامَةُ، فإنْ وُجِدَتْ قرائنُ تدلُّ على أنَّه يريدُ الشَّرَّ، إمَّا من نظراتِه، أو من حركاتِه، أو ما أشبَهَ ذلكَ، فخُذْ حِذْرَك منه، وادعُ اللهَ تعالى بما سمِعْتَ: «اللهمَّ إنِّي أجعلُكَ في نحرِه، وأعوذُ بكَ من شرِّه»[٤].



(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٦٩٣).

(٢) التنوير (٨/ ٣٧١).

(٣) مرعاة المفاتيح (٨/ ١٩٣).

(٤) لقاء الباب المفتوح (٨٣/ ١٧) بترقيم الشاملة.



الحديث الرابع والثلاثون:

عن مَعْقِلِ بنِ يَسارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي بكرٍ: **«والَّذي نَفْسي بيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أخْفَى من دَبيبِ النَّمْلِ، ألا أدُلُّكَ على شيءٍ إذا قُلْتَهُ، ذَهَبَ عنك قَليلُهُ، وكَثيرُهُ ؟»، قال: «قُلِ: اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ أنْ أُشْرِكَ بكَ وأنا أعْلَمُ، وأسْتَغْفِرُكَ لِما لا أعْلَمُ»**(٥).

هذا الحديثُ يدلُّ على أنَّ مَنْ طلَبَ الإخلاصَ في العملِ، فعلَيه أنْ يحترِزَ له من دقيقِ الشِّركِ، وجليلِه، وأنْ يعلمَ أنَّ منَ الشركِ ما هو أخفَى من دبيبِ النَّملِ، فمطلَبُ الإخلاصِ عزيزٌ، والنَّفْسُ تحتاجُ إلى طُولِ مُجاهدةٍ؛ لحمايةِ جنابِ التوحيدِ، والتوقِّي منَ الشركِ.

فيسيرُ الرياءِ منَ الشركِ، والحَلِفُ بغيرِ اللهِ منَ الشركِ، والتشريكُ بين اللهِ تعالى وبين خَلقِه في الألفاظِ، كقولِ: «لولا اللهُ، وفلانٌ»، أو: «ما شاءَ اللهُ، وشئتَ»، ونَحْو ذلكَ، منَ الشركِ، وتعلُّقُ القلبِ بالمخلوقينَ منَ الشركِ، وبعضُ ذلك يدبُّ دبيبَ النملِ، غيرَ ملحوظٍ، ومَنِ استغفرَ اللهَ، واجتهدَ في تحقيقِ الإخلاصِ، أعانهُ اللهُ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشِّرْكُ في العِبادَةِ يَصْدُرُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أنَّهُ لا إلَهَ إلا اللهُ، وأنَّهُ لا يَضُرُّ، ولا يَنْفَعُ، ولا يُعْطي، ولا يَمْنَعُ، إلا اللهُ، وأنَّهُ لا إلَهَ غَيرُهُ، ولا رَبَّ سِواهُ، ولكنْ لا يَخُصُّ اللهَ في مُعامَلَتِهِ، وعُبُوديَّتِهِ، بل يَعْمَلُ لِحَظِّ نَفْسِهِ تارَةً، ولِطَلَبِ الدُّنْيا

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، وأبو يعلى في مسنده (٥٩)، وصححه الألباني.

تارَةً، ولِطَلَبِ الرِّفْعَةِ والمَنْزِلَةِ والجاهِ عِنْدَ الخَلْقِ تارَةً، فَلِلَّهِ من عَمَلِهِ وسَعْيِهِ نَصيبٌ، ولِنَفْسِهِ وحَظِّهِ وهَواهُ نَصيبٌ، ولِلشَّيطانِ نَصيبٌ، وللخَلْقِ نَصيبٌ، وهذا حالُ أكْثَرِ النَّاسِ، وهو الشِّرْكُ الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «**الشِّرْكُ في هذه الأُمَّةِ أخْفَى من دَبيبِ النَّمْلِ**»، قالوا: كَيفَ نَنْجُو منه يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**قُلِ: اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ أنْ أُشْرِكَ بكَ وأنا أعْلَمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ لِما لا أعْلَمُ**»[١].

ويدلُّ الحديثُ على أنَّ منَ الشركِ ما يقعُ فيه العبدُ دونَ أنْ يعلمَ أنَّه شركٌ، وأصلُ تلكَ الآفةِ من قلَّةِ العلمِ، واتِّباعِ الهوَى، والتعلَّقِ بالدُّنيا، وملاحظةِ المخلوقينَ، وحبِّ الشرَفِ، والرياسةِ، ونحوِ ذلك من آفاتِ القُلوبِ.

وأشارَ الحديثُ إلى أهميةِ الاستعاذةِ باللهِ منَ الوقوعِ في الشركِ، وأهميةِ الاستغفارِ منَ الذُّنوبِ، ممَّا يعلمُ العبدُ، وما لا يعلَمُ، وما لا يعلَمُ أضعافُ ما يعلَمُ.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما سُلِّطَ على العبدِ مَنْ يؤذيهِ إلا بذنبٍ يعلمُهُ، أو لا يعلَمُه، وما لا يعلَمُه العبدُ من ذنوبِه أضعافُ ما يعلَمُه منها، وما ينساهُ ممَّا علِمَه، وعَمِلَه، أضعافُ ما يَذْكُرُه، وفي الدُّعاءِ المشهورِ: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أُشرِكَ بكَ وأنا أعلَمُ، وأستغفركَ لما لا أعلَمُ**».

فما يَحتاجُ العبدُ إلى الاستغفارِ منه ممَّا لا يعلَمُه أضعافُ أضعافِ ما يعلَمُه»[٢].

فما لا يَعْلَمُهُ العبدُ من ذُنُوبِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْلَمُهُ، ولا يَنْفَعُهُ في عَدَمِ المُؤاخَذَةِ بِها جَهْلُهُ، إذا كان مُتَمَكِّنًا منَ العِلْمِ، فَإِنَّهُ عاصٍ بِتَرْكِ العِلْمِ والعَمَلِ، فالمَعْصيَةُ في حَقِّهِ أَشَدُّ[٣].

---

(١) الجواب الكافي (ص١٣١).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٢) .

(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٨٣).

ولذلكَ كان من جوامعِ الأدعيَةِ النبويَّةِ طلبُ المغفرةِ منَ اللهِ على الإحاطَةِ، ممَّا يقعُ منَ العبدِ منَ الذَّنْبِ، عالمًا، وجاهلًا، جادًّا، وهازلًا، مخطئًا، وعامدًا، مقدِّمًا، ومؤخِّرًا، مسرًّا، ومعلِنًا، معترفًا بذلكَ كلِّه، أنَّه من جناياتِ نفسِه.

فعَنْ أبي موسى الأشْعَريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنَّه كان يدعو بهذا الدُّعاءِ: «**اللهُمَّ اغفِرْ لي خَطيئَتي، وجَهْلي، وإسْرافي في أمْري، وما أنْتَ أعْلَمُ به مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لي جِدِّي، وهَزْلي، وخَطَئي، وعَمْدي، وكُلُّ ذلك عِنْدي، اللهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ، وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ، وما أعْلَنْتُ، وما أنْتَ أعْلَمُ به مِنِّي، أنْتَ المُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، وأنْتَ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ**»(١).

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقولُ في سُجُودِهِ: «**اللهُمَّ اغفِرْ لي ذَنْبي كُلَّهُ، دِقَّهُ، وجِلَّهُ، وأوَّلَهُ، وآخِرَهُ، وعَلانيَتَهُ، وسِرَّهُ**»(٢).

«فَهذا التَّعْميمُ، وهذا الشُّمُولُ، لِتَأْتِيَ التَّوْبَةُ على ما عَلِمَهُ العبدُ من ذُنُوبِهِ، وما لم يَعْلَمْهُ»(٣).



(١) رواه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٤٨٣).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٨٣).



الحديث الخامس والثلاثون:

عَنْ أمِّ المؤمنينَ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّ رسولَ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَها هذا الدُّعاءَ: **«اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ منَ الخَيرِ كُلِّه، عاجِلِه، وآجِلِه، ما عَلِمْتُ منه، وما لم أعْلَمْ، وأعُوذُ بكَ منَ الشَّرِّ كُلِّه، عاجِلِه، وآجِلِه، ما عَلِمْتُ منه، وما لم أعْلَمْ، اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ من خَيرِ ما سَألَكَ عبدُكَ ونَبيُّكَ محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعُوذُ بكَ من شَرِّ ما عاذَ منه عبدُكَ ونَبيُّكَ، اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الجَنَّةَ، وما قَرَّبَ إليها من قولٍ، أو عَمَلٍ، وأعُوذُ بكَ منَ النَّارِ، وما قَرَّبَ إليها من قولٍ، أو عَمَلٍ، وأسْألُكَ أنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضاءٍ تَقْضيهِ لي خَيرًا»**(١).

وفي روايةٍ:

عن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّ أبا بَكْرٍ دَخَلَ على رسولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأرادَ أنْ يُكَلِّمَهُ وعائِشَةُ تُصَلِّي، فَقال لَها رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«عليكِ بالكَوامِلِ»، فَلَمَّا انْصَرَفَتْ عائِشَةُ، سَألَتْهُ عن ذَلِكَ، فَقال لَها: «قُولي: اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ مِنَ الخَيرِ كُلِّهِ...»** الحديثَ(٢).

وفي روايةٍ:

«يا عائِشَةُ، عليك بِجُمَلِ الدُّعاءِ، وجَوامِعِه»(٣).

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، والإمام أحمد (٢٥٠١٩)، وابن حبان (٨٦٩)، وصححه محققو المسند.

(٢) رواه أحمد (٢٥١٣٧)، وصححه محققو المسند.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٣٩)، وصححه الألباني.



وفي روايةٍ:

«عليكِ بالجَوامِعِ الكَوامِلِ»[١].

وبوَّبَ له ابنُ حبَّانٍ: «ذِكْرُ الأمْرِ للمَرْءِ أنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ جَلَّ وعَلا جَوامِعَ الخَيرِ، ويَتَعَوَّذَ به من جَوامِعِ الشَّرِّ».

فهذا الدُّعاءُ من أجمعِ الأدعيَةِ، وأكملِها، ويدلُّ على فضلِه أمورٌ:

أولًا: أنَّ النبيَّ ﷺ علَّمَه زوجتَه عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهيَ من أحبِّ الناسِ إليه.

ثانيًا: أنَّه من أدعيةِ الصَّلاةِ.

ثالثًا: أنَّ النبيَّ ﷺ سمَّى ما تضمَّنَه بالجَوامِعِ الكَوامِلِ.

رابعًا: أنَّ هذِه الجوامعَ منَ الأدعيةِ هي التي كان يختارُها النبيُّ ﷺ لنفسِه؛ فعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: «كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوامِعَ منَ الدُّعاءِ، ويَدَعُ ما سِوَى ذَلِكَ»[٢].

خامسًا: أنَّه لا شيءَ فوقَ سؤالِ اللهِ تعالى من خَيرِ ما سألَه عبدُه ونبيُّه محمدٌ ﷺ، والاستعاذةِ به من شَرِّ ما عاذَ منه عبدُه ونبيُّه محمدٌ ﷺ.

سادسًا: أنَّه لا أكمَلَ من هذا الدُّعاءِ في الجمعِ بين سؤالِ اللهِ الخيرَ، والاستعاذةِ به منَ الشرِّ.

(١) رواه أحمد (٢٥١٣٨)، وصححه محققو المسند.

(٢) رواه أبو داود (١٤٨٢)، وصححه الألباني.

قال الصنعانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هوَ أجمعُ حديثٍ في سؤالِ الخيرِ، والاستِعاذةِ منَ الشرِّ، فهوَ من جوامِعِ الكَلِمِ»[١].

سابعًا: أنَّه عَمَّ فيه وخصَّ، ولا أكمَلَ، ولا أجمَعَ، في الدُّعاءِ من هذا العمومِ، ولا من هذا الخصُوصِ.

فهذا الحديثُ أجْمَعُ حديثٍ في سؤالِ الخيرِ، والاستعاذةِ من الشرِّ؛ فتضمَّنَ الدُّعاءَ بخيرَيِ الدُّنيا، والآخرَةِ، والاستعاذةَ مِن شرِّهِما، وسؤالَ اللهِ الجنَّةَ، وأعمالَها، والاستعاذةَ به منَ النارِ، وأعمالِها.

وأنْ يجعلَ اللهُ كلَّ قضاءٍ للعبدِ خيرًا، بأنْ يرزُقَ العبدَ الصَّبرَ عندَ البلاءِ، والشُّكرَ عندَ الرَّخاءِ[٢].

وقولُه: **«اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ منَ الخَيرِ كُلِّهِ، عاجِلِه، وآجِلِه، ما عَلِمْتُ منه، وما لم أعْلَمْ»:**

قولُه: «**عاجِلِه، وآجِلِه**»: بدلٌ منَ الخيرِ بعدَ تأكيدِه.

«ما علمتُ منه، وما لم أعلَمْ»: تأكيدٌ بعدَ تأكيدٍ[٣].

قال الرَّاغبُ: «فيهِ: تنبيهٌ على أنَّ حقَّ العاقلِ أنْ يرغبَ إلى اللهِ أنْ يُعطيَه منَ الخيورِ ما فيه مصلحتُهُ، ممَّا لا سبيلَ بنفسِه إلى اكتسابِه، وأن يبذُلَ جهْدَه، مستعينًا باللهِ في اكتسابِ ما له كسبُه، عاجلًا، وآجلًا، ومطلقًا، وفي كلِّ حالٍ، وفي كلِّ زمانٍ، ومكانٍ»[٤].

---

(١) التنوير (٣/ ١٣٦).

(٢) سبل السلام (٢/ ٧١٧)، التنوير (٣/ ١٣٦).

(٣) التنوير (٣/ ١٣٦).

(٤) فيض القدير (٢/ ١٢٨).

وقولُه: «وَأعُوذُ بكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّه، عاجِلِه، وآجِلِه، ما عَلِمْتُ منه، وما لم أعْلَمْ»:

طلبُ الإحاطةِ بالعياذِ باللهِ منَ الشرِّ كلِّه، عاجِلِه، وآجِلِه، وهو يشملُ كافَّةَ صنوفِ الشرِّ، التي يُمكنُ أنْ تصيبَ المسلمَ في عاجِلِه، وآجِلِه، سواء كان ذلك بسببِ نفسِه، أو بسببِ غيرِه، منَ الجنِّ، أو الإنسِ، أو الحيوانِ، أو الهوامِّ، أو غيرِ ذلكَ.

وعن عُمَيرِ بنِ سَعيدٍ، قال: كان عبدُ اللهِ، يُعَلِّمُنا التَّشَهُّدَ في الصَّلاةِ ثُمَّ يقولُ: «إذا فَرَغَ أحَدُكُمْ منَ التَّشَهُّدِ في الصَّلاةِ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ منَ الخَيرِ كُلِّهِ ما عَلِمْتُ منه، وما لم أعْلَمْ، وأعُوذُ بكَ منَ الشَّرِّ كُلِّهِ ما عَلِمْتُ منه، وما لم أعْلَمْ، اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ من خَيرِ ما سَألَكَ منه عِبادُكَ الصَّالِحُونَ، وأعُوذُ بكَ من شَرِّ ما عاذَ منه عِبادُكَ الصَّالِحُونَ، رَبَّنا آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وقِنا عَذابَ النَّارِ، رَبَّنا إنَّنا آمَنَّا فاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، وكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا، وتَوَفَّنا مَعَ الأبْرارِ، وآتِنا ما وعَدْتَنا على رُسُلِكَ، ولا تُخْزِنا يَوْمَ القيامَةِ، إنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعادَ»[1].

وذَكَرَه الحافظُ في الفتحِ من روايةِ سعيدِ بنِ منصورٍ، وابنِ أبي شيبَةَ، وزادَ: «قال: ويقول: «لم يَدْعُ نَبيٌّ ولا صالِحٌ بِشَيءٍ، إلا دَخَلَ في هذا الدُّعاءِ»[2].

قولُه: «اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ من خَيرِ ما سَألَكَ عبدُكَ، ونَبيُّكَ، محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعُوذُ بكَ من شَرِّ ما عاذَ منه عبدُكَ، ونَبيُّكَ»:

هذا الدُّعاءُ يتضمَّنُ كلَّ ما فاتَ الإنسانَ من أدعيةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لم تبلُغْه،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٢٦٤)، والطبراني في الكبير (٩٩٤١)، وإسناده صحيح.

(٢) فتح الباري (٢/ ٣٢١-٣٢٢).

أو لم يسمَعْ بها، فضلًا عمَّا بلَغَه، وعَلِمَه، فهوَ يسألُ الخيرَ الذي سألَه النبيُّ ﷺ، ويستعيذُ ممَّا عاذَ منه النبيُّ ﷺ منَ الشرِّ، بأوجزِ لفظٍ، وأشملِ معنًى.

وفيهِ: تفضيلٌ لاختيارِ الرَّسولِ ﷺ على اختيارِ الداعي؛ لكمالِ نُصْحِه، وحِرْصِه على طلبِ الخيرِ، واستدفاعِ الشرِّ، بلزومِ العبوديَّةِ لله.

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأدْعيَةُ، والأذْكارُ النَّبَويَّةُ، هي أفْضَلُ ما يَتَحَرَّاهُ المُتَحَرِّي من الذِّكْرِ، والدُّعاءِ، وسالِكُها على سَبيلِ أمانٍ وسَلامَةٍ، والفَوائِدُ والنَّتائِجُ التي تَحْصُلُ لا يُعَبِّرُ عنه لِسانٌ، ولا يُحيطُ به إنْسانٌ.

فَفي الأدْعيَةِ الشَّرْعيَّةِ، والأذْكارِ الشَّرْعيَّةِ، غايَةُ المَطالِبِ الصَّحيحَةِ، ونِهايَةُ المَقاصِدِ العَليَّةِ، ولا يَعْدِلُ عَنْها إلى غَيرِها من الأذْكارِ المُحْدَثَةِ المُبْتَدَعَةِ، إلا جاهِلٌ، أو مُفَرِّطٌ، أو مُتَعَدٍّ»[1].

وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَعَلى الإنْسانِ أنْ يَسْتَعْمِلَ ما في كِتابِ اللهِ، وصَحيحِ السُّنَّةِ، مِنِ الدُّعاءِ، ويَدَعَ ما سِواهُ، ولا يقول: أخْتارُ كَذا؛ فَإنَّ اللهَ تعالى قَدِ اخْتارَ لِنَبيِّهِ، وأوْليائِهِ، وعَلَّمَهُمْ كَيفَ يَدْعُونَ»[2].

قولُه: «اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الجَنَّةَ، وما قَرَّبَ إليها من قولٍ، أو عَمَلٍ»:

قال الصَّنعانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فيهِ**: إعلامٌ بأنَّ الجنَّةَ لا تُدخَلُ إلا بالعملِ، وفي سؤالِ دخولِها أوَّلًا إعلامٌ بأنَّ العملَ وحدَه لا يكفي في دخولِها، بل لا بُدَّ من فضلِ اللهِ، والعملِ الصَّالحِ»[3].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥١١)، باختصار.

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٢٣١).

(٣) التنوير (٧/ ٢٨٢).

«وَأعوذُ بكَ منَ النَّارِ، وما قَرَّبَ إليها من قولٍ، أو عَمَلٍ»:

فلا يدخُلُ أحدٌ الجنَّةَ، ولا يوفَّقُ إلى فعلِ ما يقرِّبُ إليها من قولٍ، أو عملٍ، ولا ينجُو أحدٌ منَ النارِ، ولا يوفَّقُ إلى تركِ ما يقرِّبُ إليها من قولٍ، أو عملٍ، إلا بفضلِ اللهِ وحدَه.

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يُنْجيَ أحَدًا منكُمْ عَمَلُهُ**» قالوا: ولا أنْتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**وَلا أنا، إلا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ**»[(١)].

وفي لفظٍ: «**واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أحَدٌ منكُمْ بِعَمَلِهِ**».

وفي لفظٍ: «**لَيسَ أحَدٌ منكُمْ يُنْجيهِ عَمَلُهُ**»[(٢)].

وفي لفظٍ: «**لَنْ يُدْخِلَ أحَدًا منكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ**»[(٣)].

فلا يدخُلُ أحدٌ الجنَّةَ بِعَمَلِهِ، ولا يَنْجُو أحَدٌ منَ النَّارِ بِعَمَلِهِ.

قولُه: «وَأسْألُكَ أنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضاءٍ تَقْضيهِ لي خَيرًا»:

وقضاءُ اللهِ خيرٌ كلُّه لعبدِه المؤمنِ، الذي يشكُرُ في السرَّاءِ، ويصبرُ في الضرَّاءِ، كما في الصحيحِ عن صُهَيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيرٌ، ولَيسَ ذاكَ لِأحَدٍ إلا للمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فكان خَيرًا لَهُ، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فكان خَيرًا لَهُ**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٢) رواهما مسلم (٢٨١٦).

(٣) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٤) رواه مسلم (٢٩٩٩).

وعن أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا للمُؤْمِنِ، لا يَقْضي اللهُ له شَيئًا، إلا كان خَيرًا لَهُ**»[١].

قال الصّنعانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «تَضَمَّنَ الحَديثُ الدُّعاءَ بأنْ يَجْعَلَ اللهُ كُلَّ قَضاءٍ خَيرًا، وكأنَّ المُرادَ: سُؤالُ اعْتِقادِ العبدِ[٢] أنَّ كُلَّ ما أصابَهُ خَيرٌ، وإلّا: فَإنَّ كُلَّ قَضاءٍ قَضَى اللهُ به خَيرٌ، وإنْ رَآهُ العبدُ شَرًّا في الصُّورَةِ»[٣].

وقال المناويُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لا يعارِضُ هذا حديثَ: «**عجبًا للمؤمنِ لا يقضي اللهُ له قضاءً إلا كان له خيرًا**»؛ لأنَّ المرادَ هنا: طلبُ دوامِ شهودِ القلبِ، أنَّ كلَّ واقعٍ فهوَ خيرٌ، وينشأُ عن ذلك الرِّضا، ومَنْ جعلَ الرضا غنيمَتَه في كلِّ كائنٍ من أوقاتِه -وافقَ النَّفسَ، أو خالَفَها- لم يَزَلْ غانمًا بما هو راضٍ، بما أوقعَ اللهُ لَه، وأقامَ من حكمَتِه»[٤].

والحاصِلُ:

أنَّ هذا الحديثَ من أجمَعِ الأحاديثِ وأكمَلِها في سؤالِ اللهِ الخيرَ، والتعوُّذِ به منَ الشرِّ، في أمرِ الدُّنيا والآخِرَةِ، وحريٌّ بكلِّ مسلمٍ أنْ يتعلَّمَه، ويُعلِّمَه أهلَه، وأولادَه.

قال الحليميُّ رَحِمَهُ اللهُ: «هذا من جوامعِ الكَلِمِ التي استحبَّ الشَّارعُ الدُّعاءَ بها؛ لأنَّه إذا دعا بهذا، فقَدْ سألَ اللهَ من كلِّ خيرٍ، وتعوَّذَ به من كلِّ شرٍّ»[٥].

وقال الصنعانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الحَديثُ تَضَمَّنَ الدُّعاءَ بِخَيرِ الدُّنْيا، والآخِرَةِ، والاِسْتِعاذَةَ من شَرِّهِما، وسُؤالَ الجَنَّةِ، وأعْمالِها، وسُؤالَ أنْ يَجْعَلَ اللهُ كُلَّ قَضاءٍ خَيرًا.

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢٠٢٨٣)، وصححه محققو المسند.

(٢) يعني: المؤْمن.

(٣) سبل السلام (٢/ ٧١٧).

(٤) فيض القدير (٢/ ١٢٨).

(٥) فيض القدير (٢/ ١٢٨).

وفيهِ: أَنَّهُ يَنْبَغي للعبدِ تَعْليمُ أَهْلِهِ أَحْسَنَ الأَدْعيَةِ؛ لأَنَّ كُلَّ خَيرٍ يَنالُونَهُ، فهوَ لَهُ، وكُلَّ شَرٍّ يُصيبُهُمْ، فهوَ مَضَرَّةٌ عَلَيهِ»[١].

وقال الحُسينُ بنُ محمد المَغرِبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تضمَّنَ الحديثُ الدُّعاءَ بخيرِ الدُّنيا، والآخرَةِ، والاستعاذةَ من شرِّ الدُّنيا، والآخرةِ، وتكريرَ ما يؤدِّي هذا المعنَى؛ إظهارًا للتخضُّعِ، والتخشُّعِ، واللُّجوءِ إلى اللهِ سبحانَه، والامتثالِ بما أمرَ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من إخلاصِ الدُّعاءِ لَه، والتذلُّلِ بين يدَيه، وإطالةِ الكلامِ معَ الأحبابِ»[٢].



(١) سبل السلام (٢/ ٧١٧).

(٢) البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/ ٤٧٨).

الحديث السادس والثلاثون:

عنْ شَكَلِ بنِ حُمَيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، علِّمني تعوُّذًا أتعوَّذُ به، قال: فأخذَ بكفِّي، فقال: **«قُل: اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ سَمْعي، ومن شَرِّ بَصَري، ومن شَرِّ لِساني، ومن شَرِّ قَلْبي، ومن شَرِّ مَنيِّي»**، يعني: فَرْجَه[1].

كانَ الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حريصينَ أنْ يتعلَّمُوا من نبيِّهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممَّا علَّمَه اللهُ من الدُّعاءِ، والاستعاذاتِ الشرعيَّةِ؛ طلبًا لحُصولِ الخيرِ، ودفعِ الضرِّ.

فجاءَ شَكَلُ بنُ حُمَيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له: **«يا رسولَ اللّهِ، علِّمني تعوُّذًا أتعوَّذُ بهِ»**.

وعندَ أحمَدَ: «قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، عَلِّمْني دُعاءً أنْتَفِعُ به».

قال: «فأخَذَ بكفِّي»:

قال المباركفوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانَ أخْذُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَّهُ؛ لِمَزيدِ الاعْتِناءِ والاهْتِمامِ بالتَّعْليمِ»[2].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢) واللفظ له-، والنسائي (٥٤٤٤)، وأحمد (١٥٥٤١)، وصححه محققو المسند.

(٢) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٢٦).

فقال: «**قُل: اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من شَرِّ سَمْعي**»:

حتى لا أسمَعَ ما يضرُّني في ديني، ودنيايَ، وخُلُقي.

قال العينيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرُّ السَّمعِ: أنْ يستمِعَ إلى ما لا يجوزُ سماعُهُ»[١].

وقال الصنعانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آفاتُ السَّمعِ لا تنحصِرُ، كسماعِ الغناءِ، وما حرَّمَ اللهُ سماعَه، وسماعِ أقوالِ الناسِ بعضِهِم في بعضٍ، وسماعِ كلامِ الزَّنادقَةِ، والدُّعاةِ إلى التشكيكِ في الدِّينِ، وسماعِ الدُّعاةِ إلى الشهواتِ»[٢].

وقال القاري في الحِرزِ السَّمينِ: «**من شرِّ سمعي**»: بأنْ أسمعَ كلامَ الزُّورِ، والبهتانِ، والغيبَةِ، وسائرِ أسبابِ العصيانِ.

أو بأنْ لا أسمعَ كلمةَ الحقِّ، وأنْ لا أقبلَ الأمرَ بالمعروفِ، والنهيَ عن المنكَرِ»[٣].

قولُه: «**وَمن شَرِّ بَصَري**»:

حَتَّى لا أرَى شَيئًا لا تَرْضاهُ[٤].

وقيلَ: بأنْ أنظُرَ إلى محرَّمٍ، أو أرَى إلى أحدٍ بعينِ الاحتقارِ، وأنْ لا أتفكَّرَ في خلقِ السَّماءِ، والأرضِ، بنظرِ الفكرِ، والاعتبارِ[٥].

وقال العينيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرُّ البصرِ: أنْ ينظُرَ إلى ما لا يحلُّ رؤيتُهُ»[٦].

---

(١) شرح أبي داود (٥/ ٤٦١).
(٢) التنوير (٣/ ١٤٩).
(٣) مرعاة المفاتيح (٨/ ٢٣٢).
(٤) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧١٢).
(٥) مرعاة المفاتيح (٨/ ٢٣٢).
(٦) شرح أبي داود (٥/ ٤٦١).

وقال الصنعانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وآفاتُ البصرِ -أيضًا- لا تنحصِرُ، وهو مبدأُ كلِّ بلاءٍ، وهو رائدُ القلبِ»[١].

قولُه: «وَمن شَرِّ لِساني»:

وشرُّهُ من أعظمِ الشرِّ، فيستعيذُ باللهِ من شرِّ لسانِه، فلا يتكلَّمُ بما لا يَعْنيهِ، وبما يُسْخِطُ اللهَ تعالى، ولا يتكلَّمُ إلا بما يُرْجَى خيرُه ونفعُه، في الدُّنيا أو الآخرةِ، وأن يُؤْثِرَ الصَّمتَ على كلِّ كلامٍ لم تظهَرْ فيه مصلحةٌ.

وكذا لا يسكُتُ عن قولِ الحقِّ، والنُّصحِ للمسلمِ، وإنكارِ المنكَرِ، ونحوِ ذلكَ.

وقال العينيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرُّ اللسانِ: أنْ يتكلَّمَ بما لا يجوزُ»[٢].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كان يُؤْمِنُ باللهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خيرًا، أو ليَصْمُتْ»**[٣].

وفي حديثِ معاذٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قُلْتُ: يا نَبيَّ اللهِ، وإنَّا لَمُؤاخَذُونَ بِما نَتَكَلَّمُ به؟ فَقَال: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعاذُ! وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ -أو على مَناخِرِهِمْ- إلا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»**[٤].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إذا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإنَّ الأعْضاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ**[٥] **فتقول: اتَّقِ اللهَ فينا، فَإنَّما نَحْنُ بِكَ، فَإنْ اسْتَقَمْتَ**

---

(١) التنوير (٣/ ١٤٩).

(٢) شرح أبي داود (٥/ ٤٦١).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٤) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه، وصححه الألباني.

(٥) أي: تتذلل وتتواضع له.

اسْتَقَمْنا، وإنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا»[١].

فمَنْ عافاهُ اللهُ من شرِّ لسانِه سَلِمَ وغنمَ، ومَنْ لم يحترزْ منه ومن آفاتِهِ غَرِمَ.

قولُه: «وَمن شَرِّ قَلْبي»:

فلا يعتقِدُ اعتقادًا فاسدًا، ولا يكونُ في قلبِه شيءٌ مِنَ تلكَ الآفاتِ، كالرِّياءِ، والنِّفاقِ، وقساوةِ القلبِ، والحِقْدِ، والحَسَدِ، والغِلِّ، والخيانةِ، والوساوسِ الشَّيطانيَّةِ، ونحوِ ذلكَ.

وبصلاحِ القلبِ يكونُ صلاحُ باقي الأعضاءِ، كما في حديثِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهيَ القَلْبُ**»[٢].

قولُه: «وَمن شَرِّ مَنيِّي»:

قال في روايةِ الترمذيِّ: «يعني: فَرْجَه».

وعندَ النَّسائيِّ: «يَعْني: ذَكَرَهُ».

وفي روايةٍ له: قال سَعْدٌ -يعني: سعدَ بنَ أوسٍ، أحدَ الرُّواةِ-: «والمَنيُّ: ماؤُهُ».

قال المُباركفوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا تَفْسيرٌ من بَعْضِ الرُّواةِ لِقولِهِ: «مَنيِّي»، أي: يُريدُ شَرَّ فَرْجِهِ»[٣].

قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو أنْ يَغْلِبَ عليه حَتَّى يَقَعَ في الزِّنا، أو مُقَدِّماتِهِ، وقال

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وحسنه الألباني.
(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٣) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٢٧).

بَعْضُ العُلَماءِ: المَنيُّ جَمْعُ المَنيَّةِ، وهيَ طُولُ الأمَلِ.

أقُولُ: الظَّاهِرُ أنَّهُ غَيرُ صَحيحٍ؛ لأنَّ المَنيَّةَ -بِفَتْحِ الميمِ- إنَّما هي بِمعنى المَوْتِ، وبِمعنى المَنيِّ أيضًا، وأمَّا بِمعنى مُنْيَةٍ: فَهيَ بالضَّمِّ، والكَسْرِ، على ما في القامُوسِ»(١).

وقال المناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «من شرِّ شدَّةِ الغُلْمةِ، وسطوةِ الشهوةِ إلى الجماعِ، الذي إذا أفرطَ ربَّما أوقعَ في الزِّنا أو مُقدماتِه لا محالةَ، فهو حقيقٌ بالاستعاذةِ من شرِّه»(٢).

وقال في عَوْنِ المعبودِ:

«يَعْني: من شَرِّ فَرْجِهِ، وغَلَبَةِ المنيِّ عليّ؛ حتى لا أقعَ في الزِّنا، والنَّظَرِ إلى المَحارِمِ.

وقيلَ هو جَمْعُ المَنيَّةِ -بِفَتْحِ الميمِ- أي: من شَرِّ المَوْتِ، أي: قَبْضِ رُوحِهِ على عَمَلٍ قَبيحٍ»(٣).

والرَّاجحُ: أنّها استعاذةٌ مِن شرِّ الفَرْجِ.

وقال المناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «خصَّ هذه الأشياءَ بالاستعاذةِ؛ لأنَّها أصلُ كلِّ شرٍّ، وقاعدتُه، ومنبَعُه»(٤).



(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧١٢)، وانظر: القاموس المحيط (ص١٣٣٦).
(٢) فيض القدير (٢/ ١٣٥).
(٣) عون المعبود (٤/ ٢٨٦).
(٤) فيض القدير (٢/ ١٣٥).



الحديث السابع والثلاثون:

عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من يومِ السُّوءِ، ومنْ ليلةِ السُّوءِ، ومنْ ساعةِ السُّوءِ، ومنْ صاحبِ السُّوءِ، ومنْ جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامَةِ»**[1].

استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من **«يومِ السُّوءِ»**، وهو اليومُ الذي تحصُلُ فيه المُصيبةُ، أو ينزِلُ فيه البلاءُ، والشرُّ، أو تقعُ فيه المعصيةُ، أو تحدُثُ فيه الغفلةُ، وضياعُ الأوقاتِ[2].

فهذِه استعاذةٌ من كلِّ سُوءٍ وشرٍّ، يقعُ في اليومِ.

وقيلَ: المُرادُ بِهِ: يوم الحشرِ[3].

ثمَّ استعاذَ من **«ليلةِ السُّوءِ»**، ثمَّ استعاذَ من **«ساعةِ السُّوءِ»**:

فاستعاذَ باللهِ من كلِّ سوءٍ يقعُ في أيِّ ساعةٍ من ليلٍ، أو نهارٍ.

وفيهِ: تمامُ الافتقارِ إلى اللهِ تعالى؛ ولذلكَ كان من دعواتِ المكروبِ: «**اللهُمَّ**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٩٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢٠): «رجاله ثقات»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٩).

(٢) ينظر: فيض القدير (٢/ ١٣٩).

(٣) التنوير للصنعاني (٣/ ١٥٦).

رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَينٍ، وأصْلِحْ لي شَأْني كُلَّهُ، لا إلَهَ إلا أنْتَ»[١].

ولذلكَ فإنَّ المستعيذَ باللهِ منَ السُّوءِ، والكربِ، والهمِّ، والغمِّ، ونحوِ ذلكَ، لا بُدَّ له أنْ يستشعِرَ الافتقارَ إلى اللهِ، وشدةَ الحاجةِ إليه، في كلِّ ساعةٍ، بل في كلِّ لحظةٍ، فلا غنًى له عن مولاهُ طرفةَ عينٍ.

ثمَّ استعاذَ ﷺ من «صاحِبِ السُّوءِ»؛ لِشِدَّةِ خُطورَتِه على أخلاقِ صاحبِه، واعتقاداتِه، كما جاءَ في الحديثِ: «**الرجلُ على دينِ خَليلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ**»[٢].

وصاحِبُ السُّوءِ وبالٌ على صاحبِه في الدُّنيا، والآخرَةِ، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «الصَّاحِبُ الصَّالِحُ خَيرٌ منَ الوَحْدَةِ، والوَحْدَةُ خَيرٌ من صاحِبِ السُّوءِ»[٣].

وقال الرَّبيعُ بنُ أَنَسٍ: «مَكْتُوبٌ في الحِكْمَةِ: مَنْ يَصْحَبْ صاحِبَ السُّوءِ، لا يَسْلَمْ»[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسنه الألباني.
(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وحسنه الألباني.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٢٣).
(٤) شعب الإيمان (٩/ ١٣٤).

وقال سفيانُ الثَّوْريُّ: «صاحِبُ السُّوءِ جَذْوَةٌ منَ النَّارِ»[١].

وعن سعيدِ بنِ أبي أيوب قال: «لا تصاحِبْ صاحِبَ السُّوءِ؛ فإنَّه قطعةٌ منَ النارِ، لا يستقيمُ وُدُّه، ولا يفي بعهدِهِ»[٢].

ثمَّ استعاذَ ﷺ من **«جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامَةِ»**، وهو المُلازِمُ لجارِه في دارِ إقامَتِه، وهو مَنْ جمعَ الصِّفاتِ الدَّنيئةَ، والأخلاقَ الرَّذيلةَ.

فشرُّه هو الشرُّ الملازِمُ الدَّائمُ.

وقد تقدَّمَ معنا حديثُ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقولُ: «**اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من جارِ السَّوءِ**[٣] **في دارِ المُقامَةِ، فإنَّ جارَ الباديَةِ يَتحَوَّلُ**»[٤].



(١) المجالسة وجواهر العلم (٢/ ٣٦٢).

(٢) روضة العقلاء (ص١١٩).

(٣) السوء: بفتح السين وضمها.

(٤) رواه ابن حبان (١٠٣٣)، والحاكم (١٩٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٠).



الحديث الثامن والثلاثون:

عَنْ أبي اليَسَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ صَلَّى عليه وسَلَّمَ كان يَدْعو: **«اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَدْمِ، وأعُوذُ بكَ مِنَ التَّرَدِّي، وأعُوذُ بكَ مِنَ الغَرَقِ، والحَرَقِ، والهَرَمِ، وأعُوذُ بكَ أنْ يَتَخَبَّطَني الشَّيطانُ عِنْدَ المَوْتِ، وأعُوذُ بكَ أنْ أمُوتَ في سَبيلِكَ مُدْبِرًا، وأعُوذُ بكَ أنْ أمُوتَ لَديغًا»**[1].

استعاذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعضِ المصائرِ الشَّنيعةِ، والميتاتِ الصَّعبةِ، والمهالكِ المُرديةِ، منها:

الهَدْمُ: بأنْ يسقُطَ عليه بناءٌ، أو جِدارٌ، ونحوُه.

والتردِّي: وهو السُّقوطُ من موضعٍ عالٍ، كجبلٍ، أو سَطْحٍ، أو السُّقوطُ في بئرٍ، ونَحو ذلكَ.

والغَرَقُ في الماءِ.

والحَرَقُ بالنارِ.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٥٢)، والنسائي (٥٥٣١)، وأحمد (١٥٥٢٣)، وصححه الألباني، وضعفه محققو المسند.

واللَّدْغُ بالعقربِ، أو الحيَّةِ، ونحوِهما[١].

والهَرَمُ: وهو كِبَرُ السنِّ الذي يؤدِّي إلى ضعفِ الأعضاءِ، وتساقُطِ القُوَى، وسقوطِ بعضِ الاستطاعَةِ.

وإنَّما استعاذَ من هذِه البليَّاتِ معَ ما وعدَ اللهُ عليها منَ الشَّهادةِ؛ لأنَّها مِحَنٌ مُجهِدةٌ مقلِقةٌ، لا يكادُ أحدٌ يصبرُ عليها، أو يَذكُرُ عندَ حلولِها شيئًا ممَّا يجبُ عليه في وقتِهِ ذلكَ، وربَّما نالَ الشَّيطانُ منه في هذِه الحالِ، ما لم يكُنْ لينالَ منه في غيرِها منَ الأحوالِ.

ولأنَّها تكونُ بغتةً، وقد يكونُ على الإنسانِ دَينٌ، أو حقوقٌ، أو مظالِمُ للآخَرينَ، فلا يستطيعُ ردَّ ما عليه منَ الحقوقِ.

وقد لا يستطيعُ النُّطقَ بالشَّهادةِ.

وقد يُبتلى الإنسانُ ببعضِ ذلكَ، فيَبْقى بعدَه مُصابًا ببعضِ الأمراضِ، والتشوُّهاتِ، أو مُقْعدًا، فيتحسَّرُ، ويتضجَّرُ.

ولأنَّها في الظَّاهرِ مصائبُ، ومِحَنٌ، وبلايا عظيمةٌ، كالأمراضِ التي كان يَستعيذُ منها النبيُّ ﷺ، كالبَرَصِ، والجُنونِ، والجُذامِ، والصَّمَمِ، والبَكَمِ، وغيرِها.

وأمَّا ترتُّبُ ثوابِ الشَّهادةِ عليها: فللبناءِ على أنَّ اللهَ تعالى يُثيبُ المؤمنَ على المصائِبِ كلِّها، حتى الشَّوكة يُشاكُها، ومعَ ذلك فالعافيةُ أوسَعُ[٢].

قال الطيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا ترتُّبُ ثوابِ الشهادةِ عليها: فللتنبيهِ على أنَّ اللهَ تعالى يُثيبُ المؤمنَ على المصائِبِ كلِّها، حتى الشَّوكَة التي يُشاكُها، ولأنَّ الفرقَ بين الشَّهادةِ

---

(١) شرح أبي داود للعيني (٥/ ٤٦٢)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧١٣)، عون المعبود (٤/ ٢٨٧).

(٢) الميسر في شرح مصابيح السنة، للتوربشْتي (٢/ ٥٧٩)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٧١٣)، تحفة الذاكرين (ص٤٢٢)، مرعاة المفاتيح (٨/ ٢٣٣).

الحقيقيَّةِ، وبين هذه: أنَّها متمنَّى كلِّ مؤمنٍ، ومَطلوبُه، وقد يجبُ عليه توخِّي الشَّهادةِ، والتحرِّي فيها، بخلافِ التردِّي، والغرَق، والحرَقِ، ونحوِها؛ فإنَّها يجبُ الاحترازُ عنها، ولو سعَى فيها عصَى»[1].

وقولُه: «وَأعُوذُ بكَ أنْ يَتَخَبَّطَني الشَّيطانُ عِنْدَ المَوْتِ»:

بأنْ يَستوليَ عليه الشَّيطانُ عندَ مُفارَقةِ الدُّنيا حالَ الاحتِضارِ، فيُضِلَّه، ويحولَ بينَه وبينَ التَّوبةِ، أو يعوقَه عن إصلاحِ شأنِه، أو يُؤيِّسَه من رحمةِ اللهِ، ومن إحسانِ الظنِّ بربِّهِ، فيُختَمُ له بالسُّوءِ، ويَلْقى اللهَ وهو ساخِطٌ عليه.

وقد رُويَ أنَّ الشَّيطانَ لا يكونُ في حالٍ أشدَّ على ابنِ آدمَ منه في حالِ الموتِ، يقولُ لأعوانِه: «دونَكُم هذا؛ فإنَّه إنْ فاتَكُمُ اليومَ، لم تَلْحَقُوهُ»[2].

وقال صالِحُ بنُ الإمامِ أحمدَ: «حَضَرَتْ أبي الوفاةُ، فجَعلَ يَعرقُ، ثمّ يضيقُ، ويفتحُ عينيهِ، ويقول بيدِه هكَذا: لا بعدُ، لا بعدُ، ثَلاثَ مَراتٍ، فقلتُ: يا أبتِ، ما هذا الذي قدْ لَهَجتَ به في هذا الوقتِ؟ قال: يا بُنيّ ما تدري؟ قلتُ: لا، قال: إبْليسُ لَعنهُ اللهُ، قائمٌ بِحذائي، عاضًّا على أناملِه، يقولُ: يا أحْمَدُ، فُتَّني! فَأقولُ: لا، حَتّى أمُوتَ»[3].

وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**إنَّ الشَّيطانَ يَحضُرُ أحَدَكُم عِندَ كُلِّ شيءٍ مِن شَأنِهِ**»[4].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «إنَّ

---

(١) شرح المشكاة (٦/ ١٩١٩).

(٢) معالم السنن (١/ ٢٩٦).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ١٧٥).

(٤) رواه مسلم (٢٠٣٣).

الشَّيطانَ قال: وعِزَّتِكَ يا رَبِّ، لا أَبْرَحُ أُغْوي عِبادَكَ ما دامَتْ أَرْواحُهُمْ في أجْسادِهِمْ.

قال الرَّبُّ: وعِزَّتي وجَلالي لا أزالُ أغْفِرُ لهم ما اسْتَغْفَرُوني»(١).

وفتنةُ الشَّيطانِ للمسلِم حالَ الاحتضارِ تكونُ بالوَسْوَسةِ، كما هي في حالِ الحياةِ.

وعلى كلِّ حالٍ: فالمسلمُ في هذِه الساعةِ الحاسِمَةِ، مفتقِرٌ أشدَّ الافتقارِ إلى تثبيتِ اللهِ تعالى؛ حتى لا يتخبَّطَه الشَّيطانُ، فيُضِلَّه عندَ الموتِ، وقد قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقولُه: «وَأعُوذُ بكَ أنْ أمُوتَ في سَبيلِكَ مُدْبِرًا»:

أي: فارًّا منَ الزَّحْفِ عندَ لقاءِ الكفَّارِ، وهو من كبائرِ الذُّنوبِ.

فعَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ**»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قال: «**الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ**»(٢).



---

(١) رواه الإمام أحمد (١١٢٣٧)، وحسنه محققو المسند.

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

الحديث التاسع والثلاثون:

عَنْ أمِّ المؤمنينَ عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أنَّها قالت: كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قال: **«اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ خَيرَها، وخَيرَ ما فيها، وخَيرَ ما أُرْسِلَتْ به، وأعُوذُ بكَ من شَرِّها، وشَرِّ ما فيها، وشَرِّ ما أُرْسِلَتْ بِه»**[١].

الرِّيحُ خَلْقٌ مِن خَلْقِ اللهِ، مَأمورٌ، تَأتي بالرَّحمةِ، وتَأتي بالعَذابِ.

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لا تُسُبُّوا الرِّيحَ؛ فإنَّها من رَوْحِ اللهِ، تَأْتي بالرَّحْمَةِ، والعَذابِ، ولكنْ سَلُوا اللهَ من خَيرِها، وتَعَوَّذُوا باللهِ من شَرِّها»**[٢].

وعن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإذا رَأيتُمْ ما تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ من خَيرِ هذه الرِّيحِ، وخَيرِ ما فيها، وخَيرِ ما أُمِرَتْ به، ونَعُوذُ بكَ من شَرِّ هذه الرِّيحِ، وشَرِّ ما فيها، وشَرِّ ما أُمِرَتْ به»**[٣].

فَنهَى النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن سبِّ الرِّيحِ، وندبَ إلى سؤالِ خيرِها، والاستعاذةِ من شرِّها، عندَ اشتدادِ هُبوبِها.

قال الإمامُ الشَّافعيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «لا يَنبغي لأحَدٍ أنْ يَسُبَّ الرِّياحَ؛ فإنّها خَلْقٌ لله تعالى مُطيعٌ، وجُندٌ مِن أجنادِه، يجعلُها رَحمةً ونِقمةً إذا شاءَ»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٨٩٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٧٢٧)، وصححه الألباني.

(٣) رواه الترمذي (٢٢٥٢)، وصححه، وصححه الألباني.

(٤) الأذكار، للنووي (ص١٨٠).

وقولُه: **«كانَ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ»** أي: اشتدَّ هبوبُها، وريحٌ عاصِفٌ: شديدةُ الهُبوبِ.

وقولُه: **«اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ خَيرَها»** أي: خيرَ ذاتِها، بأنْ تكونَ لواقِحَ.

«وَخَيرَ ما فيها» أي: من منافِعِها كلِّها.

«وَخَيرَ ما أُرْسِلَتْ به» أي: بخصوصِها في وقتِها.

ثمَّ استعاذَ ﷺ من شرِّها؛ فقال:

«وأعُوذُ بكَ من شَرِّها» أي: شرِّ ذاتِها.

«وَشَرِّ ما فيها»: من مفاسِدِها كلِّها.

«وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ به»؛ لأنَّها تُرْسَلُ بالخيرِ، والشرِّ، والرَّحمةِ، والعذابِ[(١)].

وعَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا رَأى غَيمًا، أو رِيحًا، عُرِفَ ذلك في وجْهِهِ، فَقالت: يا رسولَ اللهِ، أرَى النَّاسَ إذا رَأوُا الغَيمَ فَرِحُوا؛ رَجاءَ أنْ يكونَ فيه المَطَرُ، وأراكَ إذا رَأيتَهُ عَرَفْتُ في وجْهِكَ الكَراهيَةَ؟ قالت: فَقال: «**يا عائِشَةُ، ما يُؤَمِّنُني أنْ يكونَ فيه عَذابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بالرِّيحِ، وقد رَأى قَوْمٌ العَذابَ، فَقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾** [الأحقاف: ٢٤]»[(٢)].



(١) مرقاة المفاتيح (٣/ ١١١٥)، فيض القدير (٥/ ١٤٩)، التنوير (٨/ ٤٢٤، ٤٥٧).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٦)، ومسلم (٨٩٩)، واللفظ له.

الحديث الأربعون:

عن أبي سَعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **«كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ من الجانِّ، وعَينِ الإنسانِ، حتى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتانِ، فلمَّا نَزَلتا أخَذَ بهما، وتَرَكَ ما سِوَى ذَلِكَ»**[1].

معنى الحديثِ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتعوَّذُ منَ الجنِّ، وعينِ الإنسانِ، بالأدعيَةِ، والأذكارِ، بأنْ يقولَ: أعوذُ باللهِ منَ الجانِّ، ويتعوَّذُ باللهِ منَ الحَسَدِ، والعَينِ.

فلمَّا نزلتِ المعوِّذتانِ، وهما سورتا: الفلَقِ، والناسِ، تعوَّذَ باللهِ بهما، وكان يقرؤُهُما على مَنِ احتاجَ إلى رُقيةٍ، واجتزأ بهما عن غيرِهِما[2].

وقال المناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **«فلمَّا نَزَلتا أخَذَ بهما، وتَرَكَ ما سِوَى ذَلِكَ»**:

«أي: ممَّا كان يَتعوَّذُ به منَ الكَلامِ غَيرِ القُرآنِ؛ لِما ثَبتَ أنّه كان يَرقي بالفاتحةِ، وفيها الاسْتعاذةُ باللهِ ،فكان يَرقي بِها تارةً، ويَرقي بالمعوّذتينِ أُخرَى؛ لِما تَضمّنَتاهُ منَ الاستِعاذةِ مِن كُلِّ مَكروهٍ، إذِ الاسْتعاذةُ مِن شَرّ ما خَلقَ تَعمُّ كُلَّ شرٍّ يُستَعاذُ منه، والاسْتعاذةُ من شَرِّ الغاسِقِ، وهو اللَّيلُ وآيتُه، أو القَمرُ إذا غابَ، يَتضمّنُ الاسْتعاذةَ من شَرِّ ما ينتشِرُ فيه منَ الأرْواحِ الخَبيثَةِ، والاسْتعاذَةُ مِن شَرِّ النّفاثاتِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٥٨)، وقال: «حسن غريب»، وصححه الألباني.

(٢) المفاتيح للمظهري (٥/ ٨٦)، مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٨٨٦).

تَتضمَّنُ الاسْتعاذَةَ مِن شَرِّ السَواحِرِ وسِحرِهِنَّ، والاسْتعاذةُ مِن شَرِّ الحاسِدِ تَتضمّنُ الاسْتعاذَةَ مِن شَرِّ النّفوسِ الخَبيثةِ، المُؤذيَةِ.

والسّورةُ الثانيةُ تتضَمّنُ الاسْتعاذَةَ مِن شَرِّ الإنْسِ، والجِنِّ.

فجَمَعتِ السّورتانِ الاسْتعاذَةَ من كُلِّ شَرٍّ، فكانَتا جَديرَتَينِ بالأخْذِ بهما، وتَرْكِ ما عَداهُما»[(١)].

قال الحافظُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهذا لا يَدُلُّ على المَنْعِ منَ التَّعَوُّذِ بغيرِ هاتَينِ السُّورَتَينِ، بل يَدُلُّ على الأوْلَويَّةِ، ولا سيَّما مَعَ ثُبُوتِ التَّعَوُّذِ بغيرِهما، وإنَّما اجْتَزَأ بهما؛ لِما اشْتَمَلَتا عليه من جَوامِعِ الِاسْتِعاذَةِ من كُلِّ مَكْرُوهٍ، جُمْلَةً، وتَفْصيلًا.

وقد أجْمَعَ العُلَماءُ على جَوازِ الرُّقى عِنْدَ اجْتِماعِ ثَلاثَةِ شُرُوطٍ:

* أنْ يكونَ بِكَلامِ اللهِ تَعالى، أو بِأسْمائِهِ، وصِفاتِهِ.

* وباللِّسانِ العَرَبيِّ، أو بِما يُعْرَفُ مَعْناهُ من غَيرِهِ.

* وأنْ يُعْتَقَدَ أنَّ الرُّقْيَةَ لا تُؤَثِّرُ بِذاتِها، بل بِذاتِ اللهِ تَعالى»[(٢)].

وفي هذا دلالةٌ على عِظَمِ فضلِ هاتَينِ السُّورتَينِ، كما ثبتَ عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: بَينا أنا أسيرُ مَعَ رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الجُحْفَةِ، والأبْواءِ، إذْ غَشيَتْنا ريحٌ، وظُلْمَةٌ شَديدَةٌ، فَجعَلَ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِأعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وأعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ويقول: «**يا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بهما، فَما تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمثلِهِما**».

قال: وسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنا بهما في الصَّلاةِ[(٣)].

---

(١) فيض القدير (٥/ ٢٠٢).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٩٥).

(٣) رواه أبو داود (١٤٦٣)، وصححه الألباني.

وعنهُ -أيضًا- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيلَةَ، لم يُرَ مثلُهُنَّ قَطُّ: قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**»[١].

وفي روايةٍ: قال: اتَّبَعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو راكِبٌ، فَوَضَعْتُ يَدي على قَدَمِهِ فَقُلْتُ: أَقرِئْني يا رسولَ اللهِ سورةَ هُودٍ، وسورةَ يُوسُفَ، فقال: «**لَنْ تَقْرَأَ شَيئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ من: قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**»[٢].

وعن عبدِ اللهِ بنِ خُبَيبٍ رضي الله عنه، قال: خَرَجْنا في لَيلَةِ مَطَرٍ، وظُلْمَةٍ شَديدَةٍ، نَطْلُبُ رسولَ اللهِ ﷺ؛ لِيُصَلِّيَ لَنا، فَأَدْرَكْناهُ، فَقال: «**أَصَلَّيتُمْ؟**» فَلَمْ أَقُلْ شَيئًا، فَقال: «**قُلْ**»، فَلَمْ أَقُلْ شَيئًا، ثُمَّ قال: «**قُلْ**» فَلَمْ أَقُلْ شَيئًا، ثُمَّ قال: «**قُلْ**» فَقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ ما أَقُولُ؟ قال: «**قُلْ: قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ، والمُعَوِّذَتَينِ، حينَ تُمْسي، وحينَ تُصْبِحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفيكَ من كُلِّ شيءٍ**»[٣].

أي: تَدْفَعُ عنك كُلَّ سُوءٍ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ المعنى: تُغْنيكَ عَمَّا سِواها[٤].

وعنِ ابْنِ عابِسٍ الجُهَنيِّ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال له: «**يا ابْنَ عابِسٍ، ألا أَدُلُّكَ** -أو قال: **ألا أُخْبِرُكَ**- **بِأَفْضَلِ ما يَتَعَوَّذُ به المُتَعَوِّذُونَ؟**» قال: بَلى يا رسولَ اللهِ، قال: «**قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، هاتَينِ السُّورَتَينِ**»[٥].

قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله: «المعوِّذتان لا يَستغني عنهُما أحدٌ قطّ ، فلهما تأثيرٌ خاصٌّ في

---

(١) رواه مسلم (٨١٤).

(٢) رواه النسائي (٩٥٣)، وأحمد (١٧٣٤١)، وصححه محققو المسند.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، وصححه، وحسنه الألباني.

(٤) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٨٥).

(٥) رواه النسائي (٥٤٣٢)، وصححه الألباني.

دفع السِّحر، والعينِ، وسائرِ الشُّرورِ، وحاجةُ العبدِ إلى الاستعاذةِ بهاتَين السُّورتَين أعظمُ من حاجتِه إلى النَّفَس والطعامِ والشَّرابِ واللباسِ»(١).

وقد تضمَّنتْ هاتانِ السُّورتانِ: الاستعاذةَ منَ الشُّرُور كلِّها، بأوجزِ لفظٍ، وأجمَعِه، وأدلِّه على المرادِ، وأعمِّه، بحيثُ لم يبقَ شَرٌّ منَ الشُّرورِ، إلا دخلَ تحتَ الشَّرِّ المُستعاذِ منه فيهما.

❊ ❊ ❊

جملة صالحة مما ورد من الاستعاذات النبوية في الأبواب على وجه الاختصار:

فما ذُكِرَ منَ الأحاديثِ في هذا الكتابِ في جملتِه، وتفصيلِه، يجمَعُ أمرَ الاستعاذاتِ الشرعيَّةِ، الواردةِ في السُّنةِ النبويةِ، ممَّا يكونُ للمسلمِ بها الكفايةُ التامَّةُ من كافَّةِ الشُّرورِ، والآفاتِ، والفتنِ، وأنواعِ الابتلاءاتِ، سواءٌ كانت في النَّفسِ، أو البدنِ، أو الأهلِ، أو المالِ، في ساعاتِ الليلِ، والنهارِ، في أمرِ الدُّنيا، أو أمرِ الآخرةِ، أو حياةِ البرزخِ.

غيرَ أنَّ هناكَ أحاديثَ أُخرَى صحيحةً، وردَتْ بها استعاذاتٌ متنوِّعةٌ، وهيَ لا تخرُجُ في جملتِها عمَّا ورد في هذا الكتابِ، فتُذكرُ هنا؛ إتمامًا للفائدةِ، وجمعًا للشاردةِ؛ ليجتمِعَ لِمَنْ تصفَّحَ هذا الكتابَ، جملةٌ كافيةٌ، منَ الاستعاذاتِ الشرعيَّةِ، تكفيهِ ما أهمَّه، من أمرِ دنياهُ، وآخرتِه، في دفعِ الشرِّ، وكشفِ الضرِّ، وتحصيلِ الخيرِ.

فمن ذلكَ:

❊ سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ:

عَنْ شَدَّادِ بنِ أوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ أنْ تقول: اللهُمَّ أنْتَ رَبِّي، لا إلَهَ إلا أنْتَ، خَلَقْتَني وأنا عبدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ ووَعْدِكَ**

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٩)، بتصرف يسير.

ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبوءُ لك بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأبوءُ لك بِذَنْبي، فاغْفِرْ لي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ».

قال: «**وَمَنْ قالَها منَ النَّهارِ مُوقِنًا بِها، فَماتَ من يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسيَ، فهوَ من أَهْلِ الجَنَّةِ، ومَنْ قالَها منَ اللَّيلِ وهو مُوقِنٌ بِها، فَماتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فهوَ من أَهْلِ الجَنَّةِ**»[1].

*** عند لُبسِ الثَّوبِ الجديدِ:**

عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ، إمَّا قَميصًا، أو عِمامَةً، ثُمَّ يقولُ: «**اللهُمَّ لك الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنيهِ، أَسْأَلُكَ من خَيرِهِ، وخَيرِ ما صُنِعَ لَهُ، وأعُوذُ بكَ من شَرِّهِ، وشَرِّ ما صُنِعَ لَهُ**»[2].

*** ومن أذكارِ النَّومِ:**

عَنِ ابْنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقولُ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «**الحَمْدُ لله الذي كَفاني، وآواني، وأَطْعَمَني، وسَقاني، والَّذي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، والَّذي أَعْطاني فَأَجْزَلَ، الحَمْدُ لله على كُلِّ حالٍ، اللهُمَّ رَبَّ كُلِّ شيءٍ، ومَليكَهُ، وإِلَهَ كُلِّ شيءٍ، أعُوذُ بكَ منَ النَّارِ**»[3].

*** ومن أدعيةِ الفزَعِ عندَ النَّومِ:**

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَلِّمُهُمْ منَ الفَزَعِ كَلِماتٍ: «**أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّةِ، من غَضَبِهِ، وشَرِّ عِبادِهِ، ومن هَمَزاتِ الشَّياطينِ، وأَنْ يَحْضُرُونِ**»[4].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وحسنه، وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٥٨) ، وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (٣٨٩٣) ، وحسنه الألباني.

*** ومن أدعيةِ الفزَعِ أيضًا:**

عَنْ خالِدِ بنِ الوَليدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كُنْتُ أفْزَعُ باللَّيلِ، فأتيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إنِّي أفْزَعُ باللَّيلِ، فَقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَني الرُّوحُ الأمينُ؟**» فَقُلْتُ: بَلى، فَقال: «**قُلْ: أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ، التي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ، ولا فاجِرٌ، من شَرِّ ما يَنْزِلُ منَ السَّماءِ، وما يَعْرُجُ فيها، ومن شَرِّ فِتَنِ اللَّيلِ، والنَّهارِ، ومن كُلِّ طارِقٍ، إلا طارِقٌ يَطْرُقُ بِخَيرٍ، يا رَحْمَنُ**». فَقالَها، فَذَهَبَتْ عَنْهُ[١].

*** وعندَ رؤيةِ ما يكرَهُه الإنسانُ في نومِه:**

عنْ أبي سَلَمَةَ بن عبدِ الرَّحْمَنِ، قال: سَمِعْتُ أبا قَتادَةَ، يقولُ: سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**الرُّؤْيا منَ اللهِ، والحُلْمُ منَ الشَّيطانِ، فإذا رَأى أحَدُكُمْ شَيئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفُثْ حينَ يَسْتَيقِظُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ويَتَعَوَّذْ من شَرِّها؛ فإنَّها لا تَضُرُّهُ**».

وقال أبو سَلَمَةَ: «وَإنْ كُنْتُ لَأرَى الرُّؤْيا أثْقَلَ عَلَيَّ منَ الجَبَلِ، فَما هو إلا أنْ سَمِعْتُ هذا الحَديثَ، فَما أُباليها»[٢].

*** وعندَ الدُّخولِ بالزَّوجةِ، أو شراءِ خادمٍ، أو دابَّةٍ:**

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا تَزَوَّجَ أحَدُكُمُ امْرَأةً، أو اشْتَرَى خادِمًا، فَلْيَقُلِ: اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ خَيرَها، وخَيرَ ما جَبَلْتَها عليه، وأعُوذُ بكَ من شَرِّها، ومن شَرِّ ما جَبَلْتَها عليه، وإذا اشْتَرَى بَعيرًا، فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنامِهِ، ولْيَقُلْ مثلَ ذَلِكَ**»[٣].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٤١٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣٨).

(٢) رواه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١).

(٣) رواه أبو داود (٢١٦٠)، وابن ماجه (٢٢٥٢)، وحسنه الألباني.

*** التعوُّذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ عندَ سَماعِ نَهيقِ الحَميرِ، ونُباحِ الكلابِ:**

عَنْ جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا سَمِعْتُمْ نُباحَ الكِلابِ ونَهيقَ الحُمُرِ باللَّيلِ، فتَعَوَّذُوا باللهِ؛ فإنَّهُنَّ يَرَينَ ما لا تَرَوْنَ**»[1].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إذا سَمِعْتُمْ صياحَ الدِّيَكَةِ، فاسْألُوا اللهَ من فَضْلِهِ؛ فإنَّها رَأتْ مَلَكًا، وإذا سَمِعْتُمْ نَهيقَ الحِمارِ، فتَعَوَّذُوا باللهِ من الشَّيطانِ؛ فإنَّهُ رَأى شَيطانًا**»[2].

*** التعوُّذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ عندَ الغضبِ:**

عَنْ سُلَيمانَ بنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كُنْتُ جالِسًا مَعَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُما احْمَرَّ وجْهُهُ، وانْتَفَخَتْ أوْداجُهُ، فَقال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنِّي لَأعْلَمُ كَلِمَةً لو قالَهَا، ذَهَبَ عنه ما يَجِدُ، لو قال: أعُوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ، ذَهَبَ عنه ما يَجِدُ**»[3].

*** الاستعاذةُ باللهِ منَ الشَّيطانِ عندَ التفكيرِ في الخالقِ:**

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتي الشَّيطانُ أحَدَكُمْ فَيقولُ: مَنْ خَلَقَ كَذا؟ مَنْ خَلَقَ كَذا؟ حَتَّى يقولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإذا بَلَغَهُ، فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ، ولْيَنْتَهِ**»[4].

*** الاستعاذةُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الذي يحولُ بين المصلِّي، وقراءَتِه:**

عن عُثْمانَ بن أبي العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنّه أتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ

---

(١) رواه أبو داود (٥١٠٣)، وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).
(٣) رواه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠).
(٤) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

الشَّيطانَ قَدْ حالَ بَيني وبَينَ صَلاتي وقِراءَتي يَلْبِسُها عَلَيَّ، فَقال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ذاكَ شَيطانٌ يُقال له خَنْزَبٌ، فَإذا أحْسَسْتَهُ، فَتَعَوَّذْ باللهِ منه، واتْفِلْ على يَسارِكَ ثَلاثًا**».

قال: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي[1].

*** الاستعاذةُ باللهِ من شرِّ الغاسِقِ إذا وقَبَ:**

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَظَرَ إلى القَمَرِ، فَقال: «**يا عائِشَةُ، اسْتَعيذي باللهِ من شَرِّ هذا؛ فَإنَّ هذا هو الغاسِقُ إذا وقَبَ**»[2].

*** الاستعاذةُ باللهِ منَ العَينِ:**

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: قال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اسْتَعيذُوا باللهِ تعالى منَ العَينِ؛ فَإنَّ العَينَ حَقٌّ**»[3].

*** الاستعاذةُ باللهِ من شرِّ ما يجدُهُ الإنسانُ من ألمٍ، ووجعٍ:**

عَنْ عُثْمانَ بنِ أبي العاصِ الثَّقَفيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّهُ شَكا إلى رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجَعًا يَجِدُهُ في جَسَدِهِ مُنْذُ أسْلَمَ، فَقال له رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ضَعْ يَدَكَ على الذي تَألَّمَ من جَسَدِكَ، وقُلْ: بِاسْمِ اللهِ -ثَلاثًا-، وقُلْ -سَبْعَ مَرَّاتٍ-: أعُوذُ باللهِ، وقُدْرَتِهِ، من شَرِّ ما أجِدُ، وأُحاذِرُ**»[4].

*** وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا رَأى سَحابًا مُقْبِلًا، استعاذَ باللهِ من شَرِّ ما أُرْسِلَ به:**

فَعن عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان إذا رَأى سَحابًا مُقْبِلًا من أُفُقٍ منَ

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٦)، وصححه، وأحمد (٢٥٨٠٢)، وحسنه الحافظ في الفتح (٨/ ٧٤١).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٥٠٨)، والحاكم (٧٤٩٧) واللفظ له، وصححه الألباني.

(٤) رواه مسلم (٢٢٠٢).

الآفاقِ، تَرَكَ ما هو فيهِ، وإنْ كان في صَلاتِهِ، حَتَّى يَسْتَقْبِلَهُ، فيَقولُ: «**اللهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بكَ من شَرِّ ما أُرْسِلَ به**»، فَإِنْ أمْطَرَ قال: «**اللهُمَّ سَيبًا نافِعًا**» -مَرَّتَينِ، أو ثَلاثًا-، وإنْ كَشَفَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ولَمْ يُمْطِرْ، حَمِدَ اللهَ على ذَلِكَ[١].

* **وكان** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يتعوَّذُ من شُرورِ النَّفسِ، في خُطبةِ الحاجَةِ:**

فَعَنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: عَلَّمَنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةَ الحاجَةِ: «**الحَمْدُ للهِ نَسْتَعينُهُ، ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ باللهِ من شُرُورِ أنْفُسِنا، وسَيِّئاتِ أعْمالِنا...**» الحديثَ[٢].

* **وكان** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا كان في سَفَرٍ، وأسْحَرَ يقولُ:**

«**سَمِعَ سامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ، وحُسْنِ بَلائِهِ عَلَينا، رَبَّنا صاحِبْنا، وأفْضِلْ عَلَينا، عائِذًا باللهِ منَ النَّارِ**»[٣].

* **وكان** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لم يَكُنْ يَرَى قَرْيَةً يُريدُ دُخُولَها، إلا قال حينَ يَراها:**

«**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَواتِ السَّبْعِ، وما أظْلَلْنَ، ورَبَّ الأرْضينَ السَّبْعِ وما أقْلَلْنَ، ورَبَّ الشَّياطينِ وما أضْلَلْنَ، ورَبَّ الرِّياحِ وما ذَرَينَ، فَإنَّا نَسْأَلُكَ خَيرَ هذه القَرْيَةِ، وخَيرَ أهْلِها، ونَعُوذُ بكَ من شَرِّها، وشَرِّ أهْلِها، وشَرِّ ما فيها**»[٤].

* **وكان** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يصلِّي بالليلِ، «فإذا مَرَّ بِآيَةٍ فيها تَسْبيحٌ، سَبَّحَ، وإذا مَرَّ بِسُؤالٍ، سَأَلَ، وإذا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ، تَعَوَّذَ**»[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٨٩)، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٢١١٨)، والنسائي (١٤٠٤)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٨).

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٥٦٥)، والنسائي في الكبرى (٨٧٧٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٦/ ٦٠٩).

(٥) رواه مسلم (٧٧٢).

* **ولَمَّا نَزَلَــتْ هذه الآيــةُ:** ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]؛ **قال رســولُ الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أعُــوذُ بِوَجْهِكَ**»، **قــال:** ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾، قــال: «أعُوذُ بِوَجْهِــكَ»، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾؛ قال رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**هذا أهْوَنُ**»، أو «**هذا أيسَرُ**»[١].

* **وفي ليلــةِ كادَتهُ الشَّــياطينُ: قال له جبريلُ** عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: «**قُلْ: أعُــوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّةِ، من شَرِّ ما خَلَقَ، وذَرَأ، وبَرَأ، ومن شَرِّ ما يَنْزِلُ من السَّــماءِ، ومن شَرِّ ما يَعْرُجُ فيها، ومن شَرِّ فِتَــنِ اللَّيلِ والنَّهارِ، ومن شَرِّ كُلِّ طــارِقٍ، إلا طارِقًا يَطْرُقُ بِخَيرٍ يا رَحْمَنُ**»[٢].

* * *

ومنَ الاستعاذاتِ الواردةِ عن الصَّحابةِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ:

* عَنْ سُلَيم بنِ حَنْظَلَةَ، عن عمرَ، أنَّهُ كان يقولُ: «اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ أنْ تَأْخُذَني على غِرَّةٍ، أو تَذَرَني في غَفْلَةٍ، أو تَجْعَلَني منَ الغافِلينَ»[٣].

* ولَمَّا كانَتِ الليلةُ التي ماتَ فيهــا حُذَيفَةُ قال: «اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من صَباحٍ إلى النَّارِ، ومَساءٍ بِها»[٤].

* وعن أبي الدَّرْداءِ قال: «اسْتَعيذُوا باللهِ من خُشُوعِ النِّفاقِ»، قيلَ له: وما خُشُوعُ النِّفاقِ؟ قال: «أنْ تَرَى الجَسَدَ خاشِعًا، والقَلْبَ ليس بِخاشِعٍ»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٨).
(٢) رواه الإمام أحمد (١٥٤٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٠٢).
(٣) رواه ابن أبي شيبة (٧/ ٨٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٥٤)، وإسناده ضعيف.
(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٧)، وإسناده صحيح.
(٥) رواه البيهقي في الشعب (٦٥٦٧)، وأحمد في الزهد (٧٦٦)، وإسناده ضعيف.

* وعن بِلالِ بنِ سَعْدٍ، أنَّ أبا الدَّرْداءِ، قال: «أعُوذُ باللهِ من تَفرِقَةِ القَلْبِ»، قيلَ: وما تَفرِقَةُ القَلْبِ؟ قال: «أنْ يُوضَعَ لي في كُلِّ وادٍ مالٌ»[١].

* وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: «إذا أتَيتَ سُلْطانًا مَهيبًا، تَخافُ أنْ يَسْطُوَ بِكَ، فَقُلْ: «اللهُ أكْبَرُ، اللهُ أعَزُّ من خَلْقِهِ جَميعًا، اللهُ أعَزُّ مِمَّا أخافُ وأحْذَرُ، وأعُوذُ باللهِ الذي لا إلَهَ إلا هو، المُمْسِك السَّماواتِ السَّبْعَ أنْ يَقَعْنَ على الأرْضِ إلا بإذْنِهِ، من شَرِّ عبدِكَ فُلانٍ، وجُنُودِهِ، وأتْباعِهِ، وأشْـياعِهِ، منَ الجِنِّ والإنْسِ، اللهُمَّ كُنْ لي جارًا من شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَناؤُكَ، وعَزَّ جارُكَ، وتَبارَكَ اسْمُكَ، ولا إلَهَ غَيرُكَ»، ثَلاثَ مَرَّاتٍ[٢].

* وعن مَوْلًى لِسَعْدٍ: أنَّ سَعْدًا سَمِعَ ابْنًا له يَدْعُو، وهو يقولُ: «اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الجَنَّةَ، ونَعيمَها، وإسْتَبْرَقَها، ونَحْوًا من هذا، وأعُوذُ بكَ منَ النَّارِ، وسَلاسِلِها».

فَقال: لَقَدْ سَألْتَ اللهَ خَيرًا كَثيرًا، وتَعَوَّذْتَ باللهِ من شَرٍّ كَثيرٍ، وإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّهُ سَيكونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ في الدُّعاءِ»، وقَرَأ هذه الآيَةَ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وإنَّ بِحَسْبِكَ أنْ تقول: اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الجَنَّةَ، وما قَرَّبَ إليها من قولٍ أو عَمَلٍ، وأعُوذُ بكَ منَ النَّارِ، وما قَرَّبَ إليها من قولٍ أو عَمَلٍ[٣].

* وعن عَطيَّةَ، عن ابْنِ عمرَ، أنَّهُ قال: «اللهُمَّ اغْفِرْ لَنا، وارْحَمْنا، وعافِنا، واهْدِنا، وارْزُقْنا»، قال: فَقالوا له: لو زِدْتنا، قال: «أعُوذُ باللهِ أنْ أكُونَ منَ المُسْهَبينَ[٤]»[٥].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١/ ٢٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٩)، ورجاله ثقات، لكنه منقطع، بلال بن سعد لم يسمعْ من أبي الدرداء.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٠٨)، وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (١٤٨٣)، وحسنه محققو المسند.

(٤) أي: الكثيري الكلام. النهاية (٢/ ٤٢٨).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٦٩)، وإسناده ضعيف؛ لضعف عطية، وهو العوفي.

* وعن أبي موسى الأشعري، أنَّهُ كان يقولُ في دُعائِهِ: «اللهُمَّ إنِّي أسْألُك منَ الخَيرِ كُلِّهِ، ما يَنْبَغي أنْ أسْألَك منه، وأعُوذُ بكَ منَ الشَّرِّ كُلِّهِ، ما يَنْبَغي أنْ أتَعَوَّذَ بك منهُ»(١).

* وعن خالِدِ بنِ عُمَيرٍ العَدَويِّ، قال: خَطَبَنا عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ، فَحَمِدَ اللهَ، وأثْنَى عليه، ثُمَّ قال: «أمَّا بَعْدُ، فَإنَّ الدُّنْيا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ(٢) ووَلَّتْ حَذَّاءَ(٣)»، إلى أنْ قال:

«وَإنِّي أعُوذُ باللهِ أنْ أكُونَ في نَفْسي عَظيمًا، وعِنْدَ اللهِ صَغيرًا»(٤).

* وعن حَنْظَلَةَ القاصّ، عن عَوْنِ بنِ عبدِ اللهِ، قال: كان ابْنُ مَسْعُودٍ يقولُ: «اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من غِنًى يُطْغي، أو فَقْرٍ يُنْسي، أو هَوًى يُرْدي، أو عَمَلٍ يُخْزي».

قال حَنْظَلَةُ: وكان عَوْنٌ يَزيدُ فيه من قِبَلِهِ: «أو جارٍ يُؤْذي، أو صاحِبٍ يُغْوي»(٥).

* وعن حَنْظَلَةَ بنِ خُوَيلِدٍ العَنْبَريِّ، قال: خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَتَّى أتَى السُّدَّةَ -سُدَّةً بالسُّوقِ(٦)- فاسْتَقْبَلَها، ثُمَّ قال: «إنِّي أسْألُكَ من خَيرِها، وخَيرِ أهْلِها، وأعُوذُ بكَ من شَرِّها، وشَرِّ أهْلِها»(٧).



(١) رواه ابن أبي شيبة (٦/ ٦٩).
(٢) الصرْم: الانقطاع والذهاب.
(٣) مسرعة الانقطاع.
(٤) رواه مسلم (٢٩٦٧).
(٥) رواه وكيع في الزهد (١٨٣)، وهو منقطع.
(٦) المراد: مدخل السوق، أو الساحة بين يديه.
(٧) رواه البيهقي في سننه (١٩٩٠٢)، وإسناده صحيح.

الخاتمة

اشتمَلَتْ أحاديثُ الكتابِ على جُملةٍ متنوِّعةٍ منَ الاستعاذاتِ النبويّةِ، في كافَّةِ المطالبِ الدينيَّةِ، والدنيويَّةِ، والأُخرويَّةِ؛ عبوديةً للهِ، ولجوءًا إليه، وتوكُّلًا عليه، واعتصامًا به، وتكميلًا لتوحيدِه، والإيمانِ به، وكفرًا بما يُعبَدُ من دونِه، ويُستعاذُ به، ويُلجأُ إليه، فلا ملجأ ولا منجَى منَ اللهِ إلا إليه، لا نؤمِنُ إلا به، ولا نتوكَّلُ إلا عليه، ولا نعتصِمُ إلا بِحبلِهِ، ولا نعوذُ إلا بِجَنابِهِ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.



